

ANCORA IMPARO



البصيرة

السنة الثالثة

سبتمبر ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فيثاغورسي مجلد ٥ العدد ٢٥

الثقافة اليونانية

وعلاقتها بحضارات الشرق القديمة



— ١ —

١ — مفترق الطرق

قبل أن نمضى في هذا البحث نرى واجباً علينا أن نتناول بالكلام فكرة صدرت عن فئة من مفكرى المصريين الذين أجلبهم كأصدقاء واحترمهم كرصفاً في مهنة الصحافة . فقد اتفقت فكرة فئة غير قليلة من نابهى الباحثين الذين يجب أن نقيم لأرائهم الاجتماعية والسياسية وزناً كبيراً ، أن مصر يجب أن تصدف بمصريتها عن شريقها وأن تقيم أرض الفراغة من فوق ثراها المقدس المحبوب ، حضارة مصرية لحماً وعظماً ودماً كما يقولون . وانى لأومن بنبل هذه الفكرة بل وأذهب إلى أكثر مما يذهبون إليه مغالاة في تقدير الفكرة من حيث أثرها السياسى والاجتماعى في نفسية أمة تريد

أن تكون اليوم لاشرقية ولا غربية، بل مصرية بكل ما تتسع له معاني المصرية من الصور والظواهر الثقافية . غير أنى على الرغم من هذا قليل الايمان مزعزع العقيدة فى الأثر العملى الذى يمكن أن يجنى من وراء فكرة كهذه هى بمثابة البلقع الخراب فى واد مخضوضر خصيب

ليس من ينكر أننا قطعنا بالحكم الرومانى والحكم الإسلامى كل علاقة لنا بمصر القديمة . لا من حيث الأصل والنشأة والسلالة ، على الرغم من أن هنالك شكاً كبيراً فى هذا أيضاً ، بل من حيث الصور الثقافية ومظاهر الحضارة . فإن مختلف الحضارات التى توالى على مصر صورها ، قد ركزت فى نفسية الشعب المصرى صورة خاصة من التناوب وعدم الاستقرار وقلة الايمان بما للصور الثقافية من قوة الاستمرار . فإن شعباً تتوالى عليه خلال العصور لا أقل من عشر حضارات متوالية تمحو كل تالية منها آثار سابقتها أو تندمج فيها أو تتحللها باللقاح ، لا يمكن أن يكون ثابت العقيدة فى حقيقة الصور الثقافية ومقدار ما لها من قدرة على البقاء . وهذا ولا شبهة كاف لأن يجعلنا من المرونة بحيث نستطيع أن نتخير من الصور الثقافية ما يلائم حاجتنا ويتصل بضرورات حياتنا الاجتماعية ولا جرم أن هذا مثلاً يظهرنا على أن من قلة الايمان ما يمكن أن ينتج نتائج إيجابية ، توازى ما ينتج عن قوة الايمان وثابت اليقين ، مع مراعاة الاشياء التى يؤمن بها الانسان ويعتقد بصلاحياتها أو فسادها بقوة استمرارها أو ضعفها عن مقاومة ما يقوم حولها من أعاصير الفكر والطبيعة الانسانية

وفى استطاعتنا أن نضرب لك مثلاً آخر . فإن المصريين اليوم لأشد الناس اقتناعاً بأن الصورة التى صبغت بها انجلترا الثقافة المصرية خلال عشرة عقود الفارطة فى السنين ، لن تدوم ولن يكون لها من الثبات والاستقرار الا بقدر ما كان لما سبقها من الصور الثقافية التى توالى على مصر منذ أبعد الازمان . كذلك تجد ان المصريين أشد الأمم اقتناعاً بأن يوم استقلالهم التام لابد آت يوماً من الأيام . فنحن ننظر للمستقبل بقلوب ملؤها الأمل ونفوس مطمئنة إلى النتيجة ، بصرف النظر عما يمكن أن يعثر هذا الاعتقاد من مناحى النقص أو الفساد . فقد ثبتت على الصورة التى صبغت بها حضارة الامبراطورية الانجليزية ، وقد يكون يوم الاستقلال التام بعيداً جهد ما يذهب بك الخيال . غير أننا نقيس على تجاربنا القديمة . فقد انهارت فى مصر

صروح دول وأمبراطوريات وتهدمت أر كان مدنيات لاتزال آثارها ماثلة أمام أعيننا، ولا تزال ذكر ياتها قائمة في أذهانتنا . ولا جرم أن هذه ظاهرة نفسية أو قل عقيدة يجب علينا أن نحسب حسابها وان نقيم لها وزنها الصحيح في ميزان الاستنتاج النظرى على الأقل .

نعم قطعنا صلتنا بمصر القديمة . مصر الاهرامات والهياكل واللغة الهيروغليفية وأنبتت صلتنا بمصر الفارسية والرومانية وعقدنا أواصر العلاقة بمصر العربية الشرقية، مصر المساجد والزوايا والمآذن والثقافة العربية على جملة من القول . فلسنا نعرف اليوم آمون ولا رع ولا هوروس ولا إيزيس . بل نعرف الله الواحد الاحد ونعرف كتابه المنزل على لسان نبيه المرسل . ولسنا نعرف الخط المسارى ولا اللغة القديمة، بل نعرف الحروف الهجائية العربية واللغة العربية وآداب اللغة العربية . فنحن في أغوار من المدينة العربية لن يمكن بعدها أن نتخلص منها أو أن ندعى حقاً أو باطلاً، أن في مستطاعنا أن نغرس بذور ثقافة أو حضارة مصرية بحتة ، تقطع صلتنا بهذه الحضارة ، اللهم بمعجزه كمعجزة العرب في تعريب الامم التي غزتها في ثمانين عاما من عمر هذه الدنيا الطويل

غير أنه لا يغيب عنا أن هذه الحضارة العربية الرئيسية ، على قدر ما غزت من قلوبنا وأفكارنا ، لانزال قليل الايمان بصلاحياتها في العصر الحاضر للتعبير عن كل حاجاتنا وضروراتنا الاجتماعية مقيسة بمطالب الحياة الحاضرة . وهذه المرونة التي كسبناها من قلة ايماننا بثبات الحضارات تجربة مع طول الزمان ، هي التي تجعلنا نصرخ اليوم هذه الصرخة العالية مبشرين بثقافة مصرية بحتة لحماً وعظماً ودماً ، من غير أن نجعل لهذه الاعتبارات أى وزن يذكر . أما إذا فهمنا هذه النظرية على هذه الصورة ، فلا شك في أننا نكون أقرب إلى الصواب منا اذا فهمناها على الصورة المطلقة التي يفهمها بها الكثيرون من مفكرى هذا الجيل

٢ — الحضارة العربية

لست ممن يقولون بأن هنالك حضارة عربية ، بل هي لدى الواقع حضارة اسلامية ، ليس فيها من العربية الا اللغة وحدها . لا تنكر أن للعرب وللروح العربية فيها أثرها الثابت ،

ولانتكر ان الصبغة العربية مركزة الاثر في كثير من مظاهرها، ولكن من ينكر بجانب هذا أن المدينة الاسلامية العربية ليس فيها من العرب إلا القرآن، وإلا قانون الاحوال الشخصية، وإلا مراسم العبادات. فان هندسة البناء العربي خليط من هندسة البناء الاغريقية والرومانية والمصرية والفارسية. وحتى الفلسفة العربية فاني من المؤمنين بانها كانت في اصلها مذاهب لاهوتية استمدت من فلسفة الاغريق أسسا تقوم عليها، كما كان شأن النساطرة واليعاقبة في جزيرة العرب ومصر وسوريا وبلاد العراق قبل الاسلام. بل لم يعرف العرب المدن قبل الفتح الاسلامي ولا عرفوا كراسي الحكومة إلا على صورة بدائية، بل ان لباسهم مزيج من اللباس الفارسي والرومي، بعد أن دوخوا امبراطورية فارس وانتقصوا امبراطورية الرومان من اطرافها.

من هذا المزيج الغريب خرجنا بما يسمى تجاوزا مدينة عربية، وحقيقة مدينة اسلامية. وعلى قدر ما ثبتت هذه المدينة على ضفاف نهري الدجلة والفرات، وعلى قدر ما امتدت فروعها في فارس وبلاد الافغان، وعلى قدر ما تمكنت من المسلمين من اهل سوريا وفلسطين وشمال افريقيه، كانت في مصر لا اكثر من اداة تؤدي بها الحاجات الضرورية. فاخذنا اللغة العربية وثبتنا عليها. ولكننا استعربنا عندما حكمنا العرب، واستتر كنا عندما حكمنا الترك والماليك، وتفرنسنا عندما غزانا نابليون، ونحن اليوم تكلمنا بحكم الضرورات وتحت ضغط الظروف القائمة حفاينا. ولا جرم اتنا نخطئ. كل الخطأ اذا لم يجعل لهذه النظرية أو بالاخرى هذه الظاهرة وزنا نعترف به في ميزان الاستقراء والاستنتاج. ومن هذه المرونة الغربية التي انصف بها الشعب المصري، سنفوز بخلق حضارة جديدة يمكن ان تتجاوز وتدعوها مصرية، ولكنها لن تكون مصرية لحماً وعظماً ودماً كما يذهب اليه فريق من كبار مفكرينا، بل مصرية بقدر ما ندعو مدينة الاسلام مدينة عربية.

٣ — تلاقح المدنات

نكتب هذه الصفحات لندلي برأى في مسألة ثار غبارها المرة بعد المرة واتسعت لها صفحات مجلاتنا وصحفنا السيارة. ولا شك في اننا انما نذهب هذا المذهب قياساً على ما نرى من تلاقح المدنات قديماً وحديثاً. واذا اردنا ان نضرب على اختلاف الرأى في هذه

المسألة مثلاً، فليس تحت اعيننا من مثل هو ابلغ مما ذهب اليه فريق من اعلام الباحثين في مدينة الاغريق القديمة .

ولا يغيب عنا في بحث كهذا أن تلاقح المدينيات قديم يكاد يكون ونشأة الجماعات الانسانية شيئاً واحداً . هذا اذا تجاوزنا في التعبير وسمينا النظمات الاجتماعية البدائية مدينيات . وانه لدى الواقع مدينيات او حضارات اينت في ظلالها الانسانية، وبنت مجدها الخالد .

ولقد يكون من ماحل الرأي ان تقيس مدينتنا الحاضرة أو المدينيات القرية منها والتي ترجع نشأتها الى أربعين قرناً قبل التاريخ الميلادي بالمدينة البدائية التي نشأت في ظلالها الانسانية خلال العصر الطراني القديم أو الحديث او ما قبل ذلك . غير أن هذا لا يحول دون القول بان الانسان كان له في كل عصر من عصور اجتماعه مدينياته على قدر ما احتملت عقليته وتطلبت حاجاته . فكانت النظمات - وهو اصطلاح افضله على اصطلاح المدنية في العصور البدائية - التي هي اقوم من غيرها ، تلاقحها النظمات التي هي احط منها واقرب الى الغرارة ، فاما أن تندمج فيها وتبيد ، واما أن تخلص النظمات الانسانية من هذا التدماج أو التلاقح او ما شئت فسمه ، بنظمات جديدة تؤدي اليها ضروا الزمان والمكان . فهما لا شك فيه مثلاً أن الجماعات التي عرفت كيف تعيش في الكهوف قد امتازت بهذا الاستكشاف على الجماعات التي ظلت تعيش في الاشجار . كما أن الجماعات التي عرفت كيف تستعمل القوس والنشاب قد استطاعت بهذه الوسيلة أن تستقوى على جماعات الكهوف التي كانت تدفع عن نفسها بالهراوات والاحجار . في حين أن الجماعات التي عرفت كيف تستخدم النار قد اتخذت من معرفتها هذه قوة مكنتها من الضرب في بقاع اكثر برودة واقل اعتدالا من البقاع التي حوطت نشأة الجماعات الانسانية في بداية ظهورها . على أننا لا نكون ابعد عن الصواب منا اذا اعتقدنا بأن الجماعات البشرية التي كانت اكثر ضربا في مجالى المدنية بمثل هذه المستكشافات ، قد افنت كل ما عداها من الجماعات عند أى احتكاك بينها . بل الطبيعى ان يكون احتكاكها ، وأن انقص في الجماعات من الانفس والثرات ، سببا في أن تلاقح مدينياتها وتندمج نظماتها ، فتقوى العناصر الضعيفة بانهال الاسباب

التي قوت غيرها من الجماعات . وبذلك لا تزول العناصر الضعيفة زوالاً تاماً ، ولا تنسود العناصر القوية تسوداً تنقرض معه غيرها من السلالات . هذه الحال بعينها يمكن بسهولة ان نطبقها على المدنيات العليا كما طبقناها على النظمات البدائية .

٤ — مدينة مصر واليونان

لا نستطيع أن نمضى في بحث العلاقة الواقعة بين مدينة اليونان ومدينة مصر على الأخص من غير أن نرجع في ذلك الى ثقات الباحثين ، ونخص بالذكر منهم العلامة « البرت فور » الفرنسي الذي تنقل عنه هذا التقرير المطول وقد ترجم الى العربية ترجمة ادت المعني احسن اداء وحفظ فيها على الاصل بكل أمانة .

قال البرت فور :

إذا تأصلت في الدهن بتقدم التقاليد اصول فكرة من المفكرات سواء أ كانت هذه الفكرة عقلية أو فنية أو اخلاقية أو من أى ضرب من ضروب الثقافة والمعرفة ودرجت عليها الاجيال المتطاوله ، فانها لا تمحص وتختبر ولا تعرض على محك النقد لتبلوا نصيبها من الصحة أو الخطأ . وذلك لانه من وقت تقريرها في الازدهان الى ما بعده ، تكون قد دخلت في حظيرة النحل المقدسة ، وارتفعت الى مرتبة العقيدة الثابتة التي يعد بحثها تدنيساً لقداسها وتهجماً على حرمتها . لهذا السبب ترى كثيرين من مشاهير العلماء والفلاسفة ونابهى الكتاب والمفكرين ، قد أخذوا بأفكار في منشأ والحضارة اليونانية ، بطلانها من الوضوح والجلال بحيث يمكن أن تدركه عقول أقل من عقولهم همه واستعدادا

وبتأثير هذه النظرية كان المعروف منذ مدة طويلة . أن الحضارة اليونانية ، أم حضارتنا الغربية ، ليست مدينة الا لنفسها . وطالما كرر الاكثرون بلهجات مختلفة من التأكيد أن في تلك البقعة الفريدة الممتازة استقى شعب من الانسانية مختار من اعماق نفسه الداخلية ، كل غرائب الفن ومدهشات العلم وروائع الأدب والفلسفة . وموضوع تقريرنا هذا اثبات عكس ذلك واطهار أنه على الأخص في فرع الفلسفة ، كانت اليونان ، إلى حد معين ، آخذة عن مصر القديمة . والاثبات الكامل الوافي ممتنع هنا . لأن المشكل لا يمكن أن تحل عقده اليوم . ولكن لا يخلو من بعض الفائدة ، تفسيرنا وشرحنا للقاعدة التي سيرتكز عليها ،

وسنقوم بعمل مباشر مشعر ، إذا أعددتنا حجراً واحداً للبناء الذى سيتمه غيرنا فى الأيام المقبلة ، عندما يكون علم الآثار المصرية قد قطع فى طريق التقدم الشوط الذى يحق لنا الاستبشار به والاسترسال فيه مع الأمل ، لما تم على أيدي العلماء الذين ترسموا خطوات شموليون ومن تقدمه من البعثة المنقبين .

لقد عملت معاً على خلق الحضارة ثلاثة شعوب ممتازة بمقدرتها الابتكارية الخلاقة . وهم المصريون والكلدان وأسلاف اليونانيين . واليهم ترجع الثقافة اليونانية . ولقد لعبت مصر فى هذا العمل المشترك دوراً خطيراً إذ وقع تأثيرها قبل الجميع على أسلاف اليونانيين — وهم الذين ورثهم اليونان الأيونيون ويونان العصر الأول . وقد دلت الاستكشافات الحفرية الناجحة فى جزيرة كريت و ييلوبونيزيا وآسيا الصغرى من حول مدينة طروادة ، على وجود حضارات متقدمة فى الألف الثانية والثالثة قبل الميلاد . وتلك الحضارات — وإن شئت فقل هذه الحضارة بصيغة المفرد . لأن لها سمات عامة مشتركة — تكشف عن تأثير شرقى بقدر ما . من ذلك مثلاً أننا نجد أوجه شبه كثيرة بين أشياء من منشآت الفن « الميسينى » وأنواع من الفن المصرى ، سواء فى الزخرف الصناعى أم الفنى .

وهناك دليل قاطع على أنه قد وجدت علاقات بين سكان اليونان وبين المصريين . وهذه العلاقة بينة تماماً ، حتى لو آثرنا القول بأن الفن « الميسينى » هو الذى أثر فى الفن المصرى ، لا العكس . كذلك نجد أن قصر « كنوزوس » الذى استكشفه فى جزيرة « كريت » مستر « إيفنز » الانجليزى ، قد شيد على مثال الفن المصرى ، وطبقاً لتقواعد البناء والعمارة المصرية . ولا بد من أن يكون تشييد هذا القصر قد وقع بين سنة ٢٥٠٠ و ١٨٠٠ ق م ، كما يحتمل أن يكون بين سنة ٢٢٠٠ و ٢٠٠٠ . وفى هذا دلالة على أن العلاقات بين اليونان ، وعلى الأقل بين أسلافهم ، وبين المصريين كانت موهلة فى القدم .

غير أننا نذهب إلى أكثر من هذا . نذهب إلى حوالى سنة ١٢٠٠ أو ١٣٠٠ ق م . فانه من المؤكد تاريخياً أن بين سنة ١٠٠٠ و ١٤٠٠ ق م وفى خلال حرب طروادة أو قبل نشوبها بقليل ، قد تحالف أهل آسيا على المصريين . وكان هذا

التحالف قائماً بين التكريين والدانيين والترينيين ، وقبائل غيرهم . ولقد قال الباحثون بأن الملحمة التي نظمت في التنفى بانتصار الفرعون « رمسيس الثانى » ، وكان يسمى « سيزوستريس » ، وهو من ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، على أهل سوريا ، قد أوحى إلى « هوميروس » فكرة نظم الإلياذة . ولا مسوغ للشك فى أن هذه الملحمة قد أثارت ضجة أولاً — وكما هو طبعى — فى مصر نفسها ، لأن أصلها حفر كله أو بعضه فى معابد وآثار كثيرة . أضف إلى ذلك أن الاسيويين الذين انتحلوا حضارة النيل فى الحرب أو التجارة أو المعاهدات السياسية ، قد حملوا بلا ريب صداها إلى أسماع اليونانيين الذين كانوا فى بدء الدخول على دورهم التاريخى المجيد . غير أن استنتاجنا أن الملحمة المصرية قد أثرت فى نظم الإلياذة ، لا يزيد عن أنه أمر نظرى سطحى . فقد يمكن أن تساءل أى تأثير يمكن أن تنقله مصر إلى اليونان من هذه الناحية ؟ لا جرم أن الجزم بأن هنالك تأثير ما يكون عرضة للشك والرجم بالغيب . ومن العبث المضى فى بحث مثل هذا هنا .

ولكننا عند ما تتأمل التشابه فى الشكل بين تمثال « أبولون » الذى عثر به فى « تينيا » على مقربة من « كورثيا » ، وبين التماثيل المصرية للدول القديمة ، تترك الفروض وتدخل إلى عالم الحقائق . ولما كان الأسلوب التقليدى هو الطراز الذى كان سائداً فى العصور المتأخرة من تاريخ مصر ، ولما كانت الفنانون يقلدون الآيات الفنية التى جادت بها قرائح أسلافهم ، سنحت الفرصة لليونان فأخذوا يقلدون النماذج المصرية وينسجون عليها ، فى كل عهد ونقل عن كل مدرسة ، حتى قبل أن يرخص لهم الفرعون « بزاماتيك » بالدخول فى وادى النيل . وبما هو أكثر استئثاراً للعجب من هذا ، التشابه بين التماثيل القعداء — الجالسة — التى تحف بجانب الطريق المقدس الموصل إلى معبد « أبولون » فى « ميلتيس » ، وبين التماثيل الجائمة فى مصر ، والتي يرجع عهد بعضها إلى أبعد العصور ، مثل تماثيل « كيفون » من الأسرة الرابعة مثلاً . وتماثيل « ميلتيس » قد وضعت أيديها على الركب وتلاصقت سيقانها ، شأنها فى ذلك شأن التماثيل المصرية تماماً . ويمكن للإنسان أن يلحظ هذه المشابهة بسهولة ، إذا قارنها بتماثيل « ممنون » التى أقامها أمنوفيس الثالث ، من الأسرة الثامنة عشرة ، وهى متقدمة على النماذج اليونانية بقرون عديدة ، وربما قاربت ثمانية عدداً . ومثل

هذه النماذج تربينا كيف أن الحضارة اليونانية الأولى ، أو بالأحرى حضارة أسلاف
اليونان والحضارة الآيونية المسيرة قد تأثرت بالحضارة المصرية القديمة .
وبعد أن حل شنبوليون الرموز الهيروغليفية ، وبعد أن جاهد غيره من العلماء
صارفين كل جهدهم في إعادة الحياة لمصر القديمة ، أصبحنا في موقف يمكننا من
تكوين فكرة عن الأصول المنقوشة على الحجر أو المكتوبة على أوراق البردى .
وقد تكونت مجموعة وافرة من المخطوطات من كل نوع بفضل جهد علماء العاديات
المصرية الذين زادوا إلى ثروة العلم باستكشافاتهم وباصلاحهم أخطاء عدة ذاعت
على أنها حقائق ، عن حضارة مصر ، وبعد أن كانت قد حازت الثقة بين العلماء .
غير أننا نقول مع الأسف أن هذه المخطوطات على كثرتها ليست في الحقيقة إلا
جزءاً قليلاً من الكتب الكثيرة المكسدة في المكاتب وفي معابد الفراعنة . ولهذا
لا تزال عملية سد الثغرات باقية . كما أن هذا هو السبب في اختلاف المؤرخين
وتفرقهم شيعاً وأحزاباً ، وعلى الأخص لدى النظر في تفسير ديانة مصر القديمة .
ونحن مرغمون على الرجوع إلى المخطوطات التي بأيدينا وتحت تصرفنا ، ومضطرون
إلى أن نستنتج منها النتائج التي تعتبر بالنسبة لحالتنا العلمية محتمة ، إن لم يكن بآلة ثابتة .
ويمكن أن يكون في استطاعتنا تصوير فكرة حقيقية عن الحياة العقلية والأخلاقية
لمصر من السنة الأولى قبل ميلاد المسيح ، وعلى الأخص في القرنين السادس
والسابع ق م — أى من ذلك الوقت الذى تأكدت فيه العلاقات بين مصر واليونان .
حوالى سنة ٦٥٠ ق م ولأسباب سياسية لاتعينا، دعا الفرعون «بزاماتيك» الأول مؤسس
الأسرة السادسة والعشرين ، اليونان من آسيا الصغرى لنصرته . ومن ذلك الوقت إلى
مابعده ، وفي ظل رعاية هذا الملك وخلفائه ، أعطيت لهم اقطاعات خاصة عند مصاب النيل . وفي
القرن السادس اشتهر الفرعون «أمازيس» بسياسة العطف على الهيلينيين - أسلاف
اليونان - وقد خصص لهم اقليلاً لاستعمارهم ابتوا فيه مدينه يونانية كاملة سميت «نوكراتيس»
وألقوا رحالهم أيضاً في بلاد مصرية أخرى ، في منفيس وعبيدوس وفي الواحات
الكبيرة . وهكذا انتشرت في مصر طوائف واشتات من اليونانيين مختلفه الأصول
والسلالات . منهم اليونان الايونيون والكاريون ، ويونان من آسيا الصغرى ويونان
من الجزائر ومن سيرين . ومن أسباب هذا الذبوع والتكاثر وفرة الخصب ورطوبة

الثرى ورخاء الحياة وسلاستها . ولم تكن أسباب هذه الرفاهة مقصورة على ليونة العيش
وغزارة الموارد المادية . بل ترجع أيضاً الى خلق الهدوء والسكينة الذى اختص به
سكان الوادى . ذلك الخلق الوديع المتشبع بالحضارة السياسية والذى صقله التمدن الراقى
« قال ملهود »

« من الحقائق الكبيرة الهامة أن العلم والحضارة اليونانيين لم يتعتسا إلا بعد
الهجرة »

وفى ذلك الوقت كانت الحضارة المصرية فتنة الناظرين وعجب السامعين . ورغم
الانحطاط والتدهور السياسى الذى استمر عدة قرون والذى بدت اعراضه فى كل
ميدان من ميادين العمل - ولو أنه قد غولى فيه كثيراً - فان تسنم الأسرة السادسة
والعشرين لعرش مصر ، كان علامة لعود الحياة الى الفن ، ودليلا على ان العلم والأدب
قد نهضا نهضة ردت الى الحياة عهد الفراعنة السابقين الزاهر من رموس الماضى .
وكانت التصورات الاخلاقية الراقية قد ملكت نفسية المجتمع . وكانت منبثة فى
مجموعة منظمة من القوانين المدنية والجنائية قد بهر تنسيقها وحسن نظامها القدماء .
والفصل الخامس بعد العشرين من « كتاب الموتى » وهو الذى يشمل تزكية الروح .
والمسمى بالاعتراف الاساسى أمام محكمة أوزيريس - يكشف لنا عن خلاصة الآداب
المصرية ويرينا سمو ادراكهم الاخلاقى ورفعته وتهذيبه . ولأسباب معقولة قورن
هذا الاعتراف السلبى بالوصايا العشر عند العبرانيين . ونجد من المؤلفين القدماء الذين
وصلت الينا كتبهم على مهابط السنين وعلى الأخص « هيرودوتس » و « ديودوروس »
من يبرهن على أن هذه الشريعة الاخلاقية كانت منتحلة عن القوانين والبشائر المصرية
ويحاول « ديودوروس » أن يحملنا على الاعتقاد بان « صولون » قد استعار بعض
شرائعه من المصريين . وهذا محتمل الى حد كبير بالنسبة لتفوق مصر على جيرانها
تفوقا عظيما وللتأثير الذى لا يدفع والذى لم تكن مصر لتضعف عن تسليطه على قومه فى
زهرة شباهم الاجتماعى ، متلهفين على العلم ، ولهم مواهب سامية . ولم يكونوا بعد قد
أطلقوا العنان لقوتهم الابداعية . وكانت عبقريتهم الغربية الباهرة ستفتح عن أكامها
بعد « صولون » بقرن واحد من الزمان وقبل ظهور اليونان فى التاريخ الحقيقى ، كان
المصريون هم الذين استحدثوا أكل حضارة وأقن مدينة وأزهرها . وكان التعليم

منتشراً في مصر انتشاراً واسعاً . وعلاوة على طبقة الكهنة الذين كان لهم احتكار العلوم والآداب ، كان هنالك عدد عظيم من كتاب الدواوين ورجال الحكومة يمثل العنصر المثقف من السكان . وكان بكل مدينة عظيمة مدرسة واحدة أو عدة مدارس متصلة بالمعابد ويتكون منها كليات دينية حقيقية . وتدلنا التقاليد على أن أعظم علماء اليونان وأجل فلاسفتها كانوا يترددون على هذه المدن العظيمة . وكانت أكثر المدن زواراً وقصداً مدينة « صان » - سايس - وفيوسطه - تل بسطه وهي أنطاخس الآن بجوار الزقازيق - وتيس وعين شمس وعبيدوس وطيبة . وكانت كلية عين شمس الكهنوتية طائفة الشهرة ، وكان يؤمها اليونانيون ويعتبرون أهمها جزءاً من برنامج تعلمهم . وفي عهد سلطة الأسرة السادسة والعشرين ، أي من وقت أن تولى الفرعون « إزماتيك » الأول إلى موت الملك « أحمس » واستيلاء الفرس على مصر ، أي من سنة ٦٥٠ إلى ٥٢٥ ق م كان يمكن لليونان أن يؤموا وادى النيل ويعيشوا فيه في أحوال مواتية لا تقطعهم عن الدرس والمطالعة ولا تحول بينهم وبين اجتناء ثمرات المعرفة . بل أكثر من ذلك تحت سيطرة الفرس ، لم يكن هنالك ما يعوق المسافرين والمؤرخين والسياسيين من السفر والتنقل خلال الديار المصرية ، يدرسون عاداتها وفنونها ومعتقداتها الدينية . وهيرودوت خير مثال على ذلك .

ولقد أظهرنا إمكان وجود العلاقات العقلية بين مصر واليونان . والآل سنختبر طبيعة هذه العلاقات . وليست المسألة اثبات وزائفة فلاسفة اليونان المبكرين المباشرة للأفكار والتصورات المصرية فإن هذا شيء عسير يصعب أن نحلم به في حالتنا العلمية الراهنة . والامر هنا يدور حول اثبات أن الفكر المصري يلزم أن يكون قد أثر بعض التأثير في الفكر اليوناني . ومن ناحية أخرى نرى أنه من الضروري تجنب الخطأ المضاد لذلك وهو إنكار أية علاقة لمملكة بالممالك التي تجاورها ، حتى بالممالك البعيدة عنها وبخاصة إذا كانت الأخيرة منازل للعلم والآداب والفن .

أخذ اليونان في أفكارهم عن يوم الحساب بعض الشيء عن المصريين . ومن أجل هذا كانوا كالمصريين يمتنعون بوجود روح مجنحة وبخلودها ، وكانت تمثل الروح على الآثار المصرية وفي المقابر بصورة طائر ذي رأس بشري . ومن المحتوم أن يكون اليونانيون قد أخذوا صورة الجنة من مملكة الموت التي كان يحكم فيها أوزيريس .

وحقيقي أنه لا مجال لنكران المشابهة والتقارب في الرنة بين كثير من الكلمات المصرية وبين عدد عديد من الكلمات اليونانية التي تدل على معنى واحد - فضلاً عن ذلك فإن الترع والنيل التي تصور المصريون وجودهما في العالم الآخر على مثال النيل الحقيقي وترعه الأرضية قد اتخذها اليونان نماذج لأنهر العالم السفلي ومجاريه وقنواته . ومن الصعب أن نشك في الاصل المصري لكلمة — Rhudamanthu فهي مأخوذة من الجملة المصرية المعروفة — Ra - in - amenti أى آله الشمس في آمنتى — A Menit وهى الحياة المقبلة . وكلمة شارون - charon - للبلح في العالم السفلي ، مأخوذة من الكلمة المصرية - Karon - . ومعناها زورق أو نونى . ولقد أوحى فكرة محاسبة الموتى امام محكمة أوزيريس الى اليونان افكاراً مشابهة لها والاحرف على ترس « آخيل » - Achilles - البطل الطر واوى المعروف ، مستمد من التماثيل النصفية المصرية . وقد صيغت الاساطير اليونانية الكثيرة من عناصر مجلوبة من مصر ، مثل اسطورة « هيرقل » فان الاصل المصرى ظاهر بها - ومثل اسطورة « اطلس » الحامل للعالم برمته على منكبيه ، وهى فكرة تضرب جذورها في اصول أشهر الاساطير المصرية

وكان اليونان وهم يطوفون بالمدن المصرية يجعلون الآثار والمعابد قيد عيونهم ومرى أبصارهم . وكانت هذه المشاهد جل ما يحتاجون اليه لتدريب خيالهم اليقظ الثواب القدير على التصور وإذا انتقلنا من الاساطير والمعتقدات الدينية الى الافكار الاكثر إستغرافاً للفلسفة ، نجد أثر التأثير المصرى في اليونان . ففكرة العدل العالية التي تراها في « هسيود » هى فكرة مصرية بحتة « وثيمز » اليونانية هى « ما » - Ma - المصرية آلهة الحق والعدل ، ويتمثل في شخصها القانون الاخلاقى والسنن المرعية عند المجتمع ويعنوا لهيتها الفرعون نفسه « وهسيود » يجعلنا نفكر في مصر عند امتداحه لحياة العمل والسير في منهاج الفضيلة « وكذلك عند ما ينصح لنا بالسعى الحر الجرى .

هذه خلاصة وافية من تقرير العلامة « البرت فور » الفرنسى اتينا عليها لتخذها لهذا البحث اساساً وركيزة ولا شبهة مطلقاً في أن المدنية اليونانية القديمة هى أرقى المدينيات التي قامت على وجه هذا السيار في الاعصر القديمة . ويسرى هذا الحكم

على كل الوجوه التي تقلب عليها صفة هذه المدينة . فهي في الفن كما هي في العلم والمعرفة والآداب مثال لما وصلت اليه مدارج التشقيف العقلي في الاعصر القديمة . غير أن هذا لا يقوم حائلا دون القول بان المدينة اليونانية لم تبدأ في الارتقاء الحقيقي الا بعد احتكاكها بالشرق في « إبوليا - Aeolia - و « ايونيا - Ionia - في آسيا الصغرى حيث كان في تلك البقاع مدينة أرقى من مدينة بلاد اليونان لدى أول تحضرها (١) كذلك لم يبق من شيء في مدينة اليونان لم يتأثر باحتكاكهم بمدن آسيا الصغرى ، حتي دينهم . فانه على الرغم من أنه يكاد يكون خاصاً باليونان وحدهم ونشأته ذاتيه بينهم ، فانه تأثر بأديان الشر وأقتبس الكثير من قواعدها ومعتقداتها (٢) ومهما قلنا وجوه الرأي وأمعنا في البحث ، فأتنا لا نستطيع أن نعثر على مدينة يونانية صرفة ، أى مدينة ليس فيها أثر من مدن أخرى

غير أن الاعجاب الشديد باليونانيين القدماء ، قد دفع الكثيرين من الباحثين واصحاب الرأي الا أن يقاوموا حقيقة تأثر اليونان بمدن الشرق القديمة ، حتي انهم لم يكتفوا بإنكار ذلك الأثر ، بل تطرفوا الى القول بان الفكر اليوناني وليد بلاد اليونان ، تأصل فيها ونشأ غير متأثر بشيء مما سبقه من نواتج الفكر الانساني وجهوده وحضاراته وصور ثقافته العديدة (٣)

كذلك تجد أن التعصب لبعض الصفات التي تتصف بها الامم ، والتشبث بما لبعض الامم من النبوغ وفائق المقدرة ، امران ساقا فقة من كبار الباحثين الى العكوف على فكريات هي الى ناحية الرجم بالغيب أقرب منها الى مناهج العلم اليقيني . على انه من أقرب الاشياء الى الحق انك اذا رأيت أمة في التاريخ اخذت تضرب بسهم في مدارج الارتقاء الفكري والفنون وبقية مطالب الحياة ومستحدثاتها وضروراتها ، وانها بدأت تخطو في سبيل ذلك خطوات سريعة ثابتة ، حكمت بان تفوقها على هذا النمط راجع الى ما أحدثه احتكاكها بأمم أجنبية عنها من الانعكاس الذي يظهر أثره في صفاتها

(١) راجع Meyer الاسامي

(٢) راجع - Meyer - - الاسامي - ودكنر Dunker

(٣) راجع روبرتسون في كتابه تاريخ حرية الفكر . ومن الذين يقولون باستقلال الثقافة اليونانية العالم ريتز Ritter في كتابه تاريخ الفلسفة القديمة . ورينان في كتابه تاريخ الادب وزيبلر الاسامي في كتابه تاريخ الفلسفة اليونانية . فان هؤلاء وغيرهم يقولون باستقلال الثقافة اليونانية عن غير هاولكن رأيهم ظاهرا الخطأ

ومشاعرها . أنظر في المدينت الأولى ، مدينة اشور وبابل والكلدان ومصر ، فانك تجد ان ارتقاءها المدني كان بطيئاً واستجماعها لاسباب الرقي والحضارة والتثقيف العقلي كان أبطأ وذلك يدل على أن سرعة الارتقاء المدني يرجع الى ما يؤثر في الأمم ذوات المدينت المستحدثة الثابتة القوية في عصر ما ، من المنبهات التي تستمد اسبابها من معارف الأمم الاجنبية عنها وفكراتها وطرق تثقيفها عامة .

أما تفوق اليونانيين في عصور مدينتهم القديمة المعروفة في التاريخ ، فلا يرجع على ما تقدم الى نبوغهم وتفوقهم الذاتي تفوقاً خارقاً للطبيعة كما يدعى كثير من الباحثين . بل يرجع استنتاجاً الى ما طرأ على صفاتهم المدنية من نشوء وتطور : كان سببه اختلاطهم بغيرهم من الشعوب المجاورة لهم من جهة ، ومن طريق ما وضعوه من النظم الاجتماعية من جهة أخرى . ناهيك بموقع بلادهم الجغرافي وتقسيم أرضهم في الداخل تقسيماً أوسع بين المدائن المتفرقة سبيل المنافسة ، خلا ما تؤدي اليه المنافسة من رقي في الصفات المدنية التي تركز عليها قواعد العمران

قال روبرتسون :

تدل المباحث التاريخية على أن اليونانيين القدماء ، في فجر مدينتهم ، كانوا خليطاً من قبائل شتى . وزاد اختلاطهم على مدى الأيام . كما أن معارفهم وعلومهم ترجع في مبدأ الامر الى أهالي «تراقيا» وهم ليسوا أغريقاً Non-Grecians وكانوا يعبدون آلة الشعر (١)

كذلك ذكر هيرودوت أن أصل اليونان قبيلة حرية ذات نفوذ واحترام عظيمين تبعها كثير من القبائل الأخرى التي كانت آخذة بتعاليمهم ، وصرفت على نفسها اسم تلك القبيلة (اليونان) .

وقال ثيوسيديدس :

لا يمكن أن نعثر في العصر التاريخي على شعب يوناني أصيل لم تجر في عروقه دماء دخيلة من قبائل أخرى — كذلك لا ينكر مؤرخ أن الاسبارطيين يونان . وأما الآثينيون قبلاسيجيون - Plagians - ولكنهم مع الزمن اصطبغوا بصبغة اليونان

وتعلموا لغتهم . ولا جرم أننا اذا قلنا اليونان عنيأهل أتينا قبل أهل بقية المدائن الاخرى .
وفي هذه الأسانيد التاريخية دليل على أن الحضارة اليونانية قد تطورت باللقاح السلالي
عدة تطورات هامة ضاع تاريخها ، وانها لم تنشأ غير متأثرة بغيرها من الحضارات
القريبة منها والبعيدة عنها .

اما اذا رجعنا الى النماذج الفكرية تتخذ منها دليلا على تلاقي الفكر بين اليونان
وغيرهم من أهل المدينت القديمة ، فأننا تقع على سلسلة طويلة من الأفكار والصور تثبت
علاقة اليونان بمصر على الاخص . لهذا نمضي في بحثنا متخذين من مظاهر المدنية
اليونانية ظاهرة الثقيف العقلي موضعاً لبحثنا

اسماعيل مظهر

يتبع



اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة
كتاب

الفصحى المصرية

روايات وأبحاث أخرى
تأليف

طاغور الشاعر الالهى المعروف
بقلم

اسماعيل مظهر

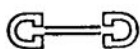
شعر التصوير

مرقس

— Motley —

(من تصوير لورا نايت — Laura Knight ، وقد عرضت في

الأكاديمية الملكية بلوندره سنة ١٩٢٩)



هو مشهد تجد الفسكاهة مرة
تلقاه من خلف الستار، ودونه
ما الألعبان وإن ترنح — ما ترى
مسك الأوزة — وهى وهم مثله
وتسلسل المنبار من فستانه
وترى على الوجه الحزين تقطعا
وتراه ينظر للرفيقة فى أسى
أخذت تجرب رقصة، لكن لها
هى تحفه للفن فى هندامها
تعبت وصيفتها ليبيج لبسها
وترى جوع اللاعبين ازاءها
هذى الوجوه العانيات جميعها
فترى العناء بها يعد تنعما
وإذا برغم تنوع وتباين

فيه، وتعبس — إن بسمت — تغور
يشتاق طلعة صفوه الجهور
بل حظه فى حسرة مغور
فى أنسه — فقواده المورور
للسخر، وهو بيؤسه مجرور
وعليه من هزل الحياة سطور
نظر الشريد وقد جفاه النور
فى غير ما قد جربته شعور
والفن عن آمالها محجور
فى حين لم يسط عليه مرور
كل له سام يكاد يشور
صور الحياة يسوقها المقدور
وترى الحبور بها جفاه حبور
تعب الحياة موحده منظور

أبو شادى



﴿ مَرْقَشْ ﴾

شعر التصوير — أمام صفحة ٣٣٦

منبر العصور

جعلنا هذا القسم من «العصور» منبراً حراً لمعالجة الفراء
في شؤون المجلة المتنوعة باعتبار أن الحقيقة بنت البحث .
ونحن نرحب بجميع الآراء الناضجة المستقلة وإن لم تكن
على اتفاق كلي مع أصحابها ، وغاية ما نشترطه مراعاة
آداب المناظرة ، ومبادئ المجلة ، وحدود القانون .

شكرى

لقد أصابت (العصور) وأحسنست في قولها عن الاستاذ عبد الرحمن شكرى إن
« كل دراسة للشعر الحديث لا تتناول أجزاء ديوانه الخافل تكون في اعتبارنا ناقصة »
... وإنه « تكفيه مدى العمر فتوحاته الماضية » . وهذه شهادة صادقة حاول عكسها
زمننا للأسف الوافى بعض من يدينون لشكرى بمحاولة تثقيفهم وإنضاجهم ، وفي
مقدمتهم الاستاذان عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى . وهذا غير
مستغرب على كليهما ، وخصوصاً بالنسبة للاستاذ العقاد الشديد الكفران والتصنع
وللذى وصف أساليبه ناقد كم الكبير أنزه وصف ، وأظهر بكل أمانة معاييه الفاضحة
حينما استعرضه « على السفود » . فالعقاد ما يزال يقلد استاذه شكرى تقليداً أعمى
في مواطن الاجادة ، كما أنه يغير بمهارة (وإن كان اطلاعه محدوداً) على الآداب
العربية والأوروية التى تنكب بالتفاتة إليها ، وينسب لنفسه حتى حسنات معاصريه
من الشعراء والكتاب — أى تلك الحسنات التى يستطيع استخلاصها ووضعها فى
نظمه أو نثره ، ثم هو بعد ذلك لا يذكر فضل أحد عليه ، ويسىء باللس والمخاربة
الخفية حتى لمعلمه الأول الشاعر العبقري الجليل الاستاذ عبد الرحمن شكرى . ولكن
فضل مثل هذا الشاعر المجدد العظيم لا يمكن إخفاؤه ، وإن أطال ججوده أول من
استفادوا منه واثتموا به .

لم يدعني الى كتابة ما تقدم سوى الملاحظة الآتية فى ختام ديوان (الشفق الباكي)

من قلم الكاتب الناقد المعروف الاستاذ حسن صالح الجداوى حيث قال : . . . لا بد من الاشارة فى ختام هذا الاستعراض الى تباين الأذواق فى الحكم على الشاعرية ، ولكن اذا اتبع حكم الناقد الدليل العلمى الفنى من تقدير معين لمبلغ القوة الفنية والخيال والمعانى وقوة السبك أمكن الوصول الى نتيجة منصفة للحقيقة ، وتقاربت بذلك أحكام الناقدين بدل التضارب العجيب الذى نقرأه فى كثير من الأحوال - وأقرب الشواهد على ذلك ما قيل عن الاستاذ عبد القادر المازنى ، فقد اتهمه كل من الاستاذين عبد الرحمن شكرى وعبد المجيد حلى بالسرقه ، وشبه شعره الاستاذ حسين شفيق المصرى بالوحوال فى طريق العميان ، وقال إن ديوانه كله ركاكة وأغلاط بلا طائل من معنى حسن أو غرض ذى شأن ، بينما أطنب فيه أمثال الاساتذة عباس محمود العقاد وعبد الرحمن البرقوقي وأحمد شاكر الكرمى وغيرهم كما أنشدنا الاستاذ محمود رمزى نظيم :

قد روى (المازنى) غلة نفس * ما شفاها مرور عام فعام
وطوى شعره قريض (ابن هانى) * وطوى بعده (أبا تمام) !
وإذا بالمازنى يعرض أمثلة من شعره الفنى الحق ، كما يعرض علينا هذا الشعر الوجدانى الرقيق فى الوردية الذابلة :

أرج كائنفس الحبيب * به حين تدنى منك فاما
وغلائل بات الغما * م يجودها حتى رواها
ذبلت وأخلق حسنها * ياليت شعرى ما دهاها ؟
رويتها بمدمعى * لو كان يحبها جياها
وضممتها ضم الحبيب * ب عسى يعود لها صباها
وزفرت على زوافرى * بجدى فزادت فى ذواها
فرميتها وبر غم أن * فنى أتى من قد رماها
ولواستطعت حنيت أض * لاعى على ذاوى سناها
وجعلت صدرى قبرها * وجعلت أحشائى ثراها
وفى رأي أنه من الضرورى - خدمة للأدب وإنصافاً للتبوع - التباعد عن

الاسراف في الأحكام تجنباً لامثال هذه المتناقضات ، وتشجيعاً لمن يستحق التشجيع وصيانة لحقوق الأدباء ، . ٥٠١ .

هذا ما ذكره الأستاذ الجداوى ، وهذا مادعانى الى كتابة هذه الكلمة ، لأنى أخشى أن اقتضاب عبارته ربما يؤدى الى سوء تفسير مرماه لدى من بجهل مبلغ ! كبار الاستاذ الجداوى لشاعرنا شكرى ، فيحمل خطأ رأييه في التوفيق بين التناقض الذوقى في الأحكام على محمل رغبة الاستاذ الجداوى فى مؤاخذه الاستاذ شكرى ، وهذا غير صحيح بدليل امتعاض الاستاذ الجداوى — كامتعاض كل أديب مستقل — لما ناله هذا الشاعر العظيم من جحود ، بل من اساءة بالغة ، بأيدي العقاد و المازنى اللذين تأمرا عليه بعد أن انتفعا من شرف صحبته وتهذيبه وارشاده لهما أيام كانا من النكرات . . . ومن لطائف القدر أن العقاد (بعد أن فرغ من التأمر على شكرى) التفت أخيراً الى هدم المازنى حينما هو فى الوقت ذاته يستغله كمطيب له أمام الجمهور !! والنتيجة لكل هذا أنهما صارا سخرية أمام خاصة الأدباء بسبب هذا الرياء والتحول والاساءة ، فضلاً عن التصنع البهلوانى للعظمة الذى اشتهر به العقاد ، وبرزت عن ذى قبل مكانة الاستاذ شكرى أدباً وخلقاً ونفساً ، حتى نادى اكثر من ناقد ممتاز بدراسة شعره فى مدارس الثانوية . وأعود للمازنى فأقول عن نقد شكرى له بعد ان كان يحسن الظن به ويعمل لتهديبه وترقيته : —

(أولاً) ان شكرى لم يذكر ما أخذ المازنى إلا بعد أن شاعت وأضاعت الثقة بالأدب الجديد عموماً .

(ثانياً) عند ذكر كل قصيدة كان شكرى يذكر الصفحة والطبعة من ديوان الشاعر الاوروبى الذى كان يسرق المازنى منه ، ولم يذكر شكرى قولاً بجملاً عاماً ، كما أنه كان ينقل القصيدة الى العربية نثراً للمقابلة .

(ثالثاً) أن المازنى نفسه كان يرد القصيدة الى صاحبها ويعترف بذلك كلما ظهر أن قصيدة فى ديوانه ليست له !!

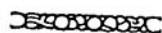
(رابعاً) ان العقاد لم يخالف شكرى فيما ذكر من المأخذ كما قد يفهم من قول الاستاذ الجداوى .

(خامساً) ان العقاد نفسه أرشد شكرى الى بعض هذه المآخذ وقتئذ، وقال
 لا ينبغي يكتب عن هذه المآخذ إن لم يكتب شكرى (وللاستاذ الجداوى العذر إذا
 جهل ذلك) . . .

(سادساً) ان مدح العقاد للمازنى — اذا كان قد مدحه — لا ينافى ما ذكر شكرى .
 (سابعاً) قد تكون للمازنى بعض منظومات جيدة من وحيه وابتكاره ،
 ولكن ذلك لا ينافى ما ذكر شكرى عن سرقاته المتنوعة .

ولا أريد هنا أن أشرح أيادى شكرى العديدة على العقاد الجاحد، فهذه مشهورة
 المذكورة عند الأدباء ، وحسبنا هنا الإشارة الى صاحبنا المازنى لمناسبة ملاحظات
 الأستاذ الجداوى ، فأقول ختاماً إن شكرى أول من شجع المازنى ، ويرجع أول
 تعلق المازنى بالشعر الى إهداء شكرى إياه نسخة من ديوان الشريف الرضى كما أعاره
 كثيراً من دواوين الشعراء ، وكانت لاتتاح له فرصة إلا آزره أخلص مؤازرة ،
 وبذل جهده لانضاج ذوقه الأدبى ، فكان جزاء شكرى من المازنى والعقاد على السواء
 جزاء الحريري من تلميذه وما يزال هذا الحادث الأدبى التاريخى عبرة المتأدبين
 وحديث مؤرخى الأدب العصرى ، ولعل كثيرين منهم يرحب — لهذا السبب —
 بتأليف (رابطة الأدب الجديد) بالقاهرة ، حتى تقضى على تلك الروح الممقوتة —
 روح الأنانية والتخاذل والجحود والتصنع الغريب — وتلك أظهر صفات العقاد
 والمازنى ، حتى استحالت الى مرض نفسى نخشى بحق من عواقب نشره بين شبابنا
 المخدوع .

(مؤرخ)



أطلب من دارالعصور للطبع والنشر
 ومن جميع المكاتب المعروفة كتاب

العقاد

بَيْطَان بَنْتُور

— ٢ —

(المحادثة الثالثة)

قال الهدد : كنت في صدورى عن ميت رهينة تحت سماء الليل أنظر قلة الرسوم لديها . وأرى تدور الاطلال عليها ، وما هى الا مقابر بعض الملوك ، ومدفن العجل أليس وذلك التمثال في حفرة التى تنزل به عن سطح الارض بقدر ما جرى الدهر على نفيس في سائف الاحقاب ، وما عقدت سنابك خيله عليها من متراكم الحصى والتراب . فاعجب له كيف لم يبق من حواء العواصم غير بقية لا تذكر ، في جانب ما رأيتها عليه من السعة المتناهية والعظمة الجمّة والعمارة المدهشة ، وتبصرت مليا في السبب فلم أر الداء الا موقعها الذى عرضها في كل زمان للفيضان يعلوها ، وسلبها الى رياح الصحراء تختلف عليها فتدروها . وذهبت مع المؤرخ عبد اللطيف (١) الى ان معظم البلوى انما جاء من عبث الامم المختلفين أديانا ، الذين أغاروا على وادى النيل ، ومدّهم يد الحسد الى آثار الفراعنة بمعاول الجهل ، وما زال الحسد يمرصد للفضل ، وما انفك الجهل عدو العقل .

قال « وكان جوّجى قد جاش بالشعر عند ما نظرت التمثال في حاله ، وخبرته في يوميه ، فقلت فيه :

إن جئت (منفا) وهى أو لي بازديارك وانتيا بك
ومررت بالاطلال مرأ في بجيتك أو ذهابك
بالأمس كنت مؤلها ماذا لقيت من انقلابك
لا ينظرون الى ذرا ك وينظرون الى رحابك
ويخاطبونك راغد ين الى ثوابك أو عقابك

أزرى برميسيس البلى وهوى به زمن هوى بك

١٠. يشير الى المؤرخ الوصافى عبد اللطيف البغدادى صاحب وصف مصر المعروف

وقصار خطبك عند ذى نظير يبالغ في خطابك
عابت احداث الزمان فكنت اكمل عند عابك

وحضرني بشأن هذا الاثر شيء من قبيل ما مر بالفكر بشأن الاهرام ، فأملت من جهة ان ينشط المصريون يوما ما لتشييد بنائه ، وتكملة اعضائه ، وتجديد حسنه وروائه .
عساهم يقضون بهذا العمل الجليل ، حق خير ملك لخير جيل ، رأى وادى النيل .
وتمنيت من جهة اخرى ان تفشو التماثيل في مصر ، لأن فيها بعض المكافاة لمن سلف ،
وتعظيم شأن الحياة في نفس الخلف . ثم فكرت في رجل عظيم القدر جليل المقام خطير
الشأن في صحائف الايام ، لاصحف الاقوام ، تضيء مزاياه ثانيا التاريخ ، وترفعه اعماله
فوق البرجاس والمرىخ ، اذا مات رشحته الامة المصرية ، ليمثل بالحجارة الابدية ، وييجل
بالكلمات الذهبية . (١) فما زال في الوهم والخيال ، حتى وجدت طلبتي في الرجال ، ولم
يبق الا عمل التمثال . فقلت حيثن في نفسي « أين من يصنعه وأين آلات ترفعه » ، وكنت
خرجت من احلامي في المدينة الغابرة ، وبلغت مقامي في ضواحي القاهرة ، فمت
أطيب المنام ، أصل الاحلام بالاحلام ، حتى اذا طلع الفجر ، انتهت اشواق
ما كنت الي النسر . يطول النهار ولا صبر ، كأن احدى ساعاته شهر ومالي
لا اشتاق إلى معلمى الحكمة في الحديث ، وملمهى القديم من العلم والحديث ،
ومثل الحقيقة في حسى ، وكنت أجهلها في أمسى ، أو أغالط فيها نفسى : ولما جاء الأصيل
هجمت الى شاطئ النيل ، فوجدته كما عهدته ، والفت الحال مازال . صغرت مدينة وكبرت
مدينة ، وعطلت ضفة وضفت على أختها الزينة ، فاطمان قلبي وقلت صدق النسر وعده
وعمدت لأقرب الزوارق الحاضرة ، وهى كالعرائس في النيل خاطرة ، بعضها في جيثة
وذهاب ، ومنها المتسابق في كل منساب ، الآخذ بأنواع الرياضات والالعب ، حتى
خيل لى انه التاميز ، أو أنى لى السين في باريز . فطرت اليه وأنا أحسب أنى سأجد سارية
أحط عليها . واستند في وقوعي اليها ، فلقيت جزاء من ينقل قدمه ولا يبصر قدومه اذ
علق جناحي فالتفت فاذا أنا في يد رجل تعلوه كبرة وقطرة ، ويضرب لونه الى الصفرة ،

« ١ » لقد صحت الامينة وتحققت بظهور المغفور له سعد زغلول باشا فقد اخذت مزاياه في التاريخ به ورفعة
ايماله فوق البرجاس والمرىخ . وانيج له في مصر من النفوذ ما لم يتح من قبله لدارد ولا لابنه سليمان

وعليه ثياب مزر كشة من ثمين الكتان ، وقد جلس امامه غلام من أوسم ما استخدم
الكبراء فقلبي قليلا ثم دفعني الى ذلك الغلام وقال هذه طلبتنا ساقها الآلهة الينا ،
فحفظ عليها فقد تفاءلت أن شفائي فيها . مازال طيبب الرأس يحيلني على طيبب
الاحشاء ، وهذا يرشدني الى الطيبب الروحي ، وهو يرى دوائى فى مسألة الما^٢ كل
وقد أعتت الجميع علتى ، حتى وصف لنا مضحكنا (أوتا) الذى اشتهر بصدق تجاربه
على قصر قامته ، وتشويه خلقته ، أن رأس الهدهد اذا سحق وأضيف اليه قلامه من
حافر البغل ، ومزج هذان بشيء من شحم الخنزير المذبوح قربانا لاوزيريس الاله
والقمر فى ليلة تمامه ؛ ثم تناولت كل يوم حبة من هذا التركيب ، فقد ينفعني ذلك فى علتى
نالتى حارت فيها العقاقير وعجز عنها الاطباء .

قال الهدهد فما استتم الرجل حتى ذبحت من الذعر بغير مديّة ، وقلت فى
نفسى ما ذنبى حتى يختلط رأسى بحافر البغل وشحم الخنزير ، وليس أحقر من
هذين . فجعلت أفكر فى حيلة تنقذنى من هذه الميته الشنيعة فرأيت أن انطق لعل الامير
يستعظم الأمر فيضن بى . ففعلت فاذا أنا طليق الجناح أطير فنظرت تحتى فرأيت
الرجل يشير نحوى براحتيه كأنه يستغفر لى أو يستغيث بى ، والزورق يكاد ينقلب بمن
فيه ، من هول ما فاجأ رجاله من أمرى ، وشهدوا من حالى مع مولاى . فضحكت
من رؤيتهم على هذا الحال ؛ وارتفعت فى المطار ، حتى جازتني المدينة فجعلت أحط
تارة فوق جدار ، واستتر أخرى فى الاشجار ، وانتقل من حانوت الى دار ، وانا
فى هذه الاثناء الحظ بمجمل الاحوال ، واتزود من المدينة نظرة عامة فرأيت حركة لم
أر مثلها فيما غبر ، وشهدت من العظمة ما يصغر المدائن الكبير . شوارع وسيرة ؛
ودور رفيعة ، وحدائق بديعة ، وجماهير متدفقة ، وشرطة منبهة متفرقة ، وخيل مركوبة ،
ومركبات مجرورة ومخازن تفيض من صنوف المتاجر ، وحوانيت لا تحصى لديها
ضروب الصنائع . وكان من أعجب ما رأت العين أنس الحيوان الى الانسان ، واطمئنان
الطير اليه فى كل مكان ، تمشى بجانبه آمنة ، وتتوثب حوله مطمئنة . وأعجبها الكراكي
نالتى رأيها تألف الأهل ، وكنت أظنها لا تستأنس . ورأيت نساء العامة يحملن أحماهن
على الاكتاف ويجعلها رجالهم فوق الرؤس ، وتلبس المرأة ثوبا واحدا ويلبس الرجل
ثوبين وقد دهشت من توحّد الزى عند القوم ، وايتارهم من اللباس الكتان والصوف

واختيارهم من الالوان الأبيض مع نظافة تضرب بها الأمثال، فكأنما كملت الجوامع فيهم حتى هذه .

ونحيثهم في الطريق أن يعطي أحدهم يمينه الى الارض واذا عارض كبير هم صغيرهم تنحى حتى يعبر، واذا مر به وهو جالس

قام له حتى يمر . ورأيت جميع الحيوان في الطريق الا الخنزير، ثم عرفت السبب اتفاقا . وذلك انى ابصرت بزحام فاقتربت منه فعلبت من تساؤل الناس أن أحدهم تمسح به خنزير فهم يسوقونه الى النهر ليغسل فيه بجميع ثيابه، وهم يعتقدون أنه لا يظهر بدون ذلك . فرثيت في نفسى لحاله وضحكك من أمر هذه العادة . ثم احتوانى ميدان عظيم ينحسر الطرف في جوانبه، ولا تحيط العين باطرافه، فابتهجت باستقباله، وقلت لعله ميدان الملك ولعل الملتقى قريب .

وفي الواقع كان الاستاذ بنتور أول أنسان وقع نظرى عليه . رأيت يشير بوجهه المتهلل نحو السماء، وكأنما يفتش عنى الجواء وينشدنى في طبقات الهواء . فلما أخذنى بصره رفع يده يستزلنى فهبطت فيها، ثم وثبت منها الى كتفه منتفضا من التأنس والحبور، مرتقا من غلب السرور .

فسألنى عن أمرى، ومالقيت من وحدى، فى رحلتى . فحدثته حديثى أوله وآخره . فضحك من حادثته الزورق وقال تلك واحدة لم يكن لك عنها غنى، وأنت فى أول أبامك بهذه المدينة . لأنى أردت أن تجمع فى حكمك عليها بين ماتسمع منى وما تراه فى خاصة نفسك من أحوال أهلها وأطوارهم واخلاقهم وعاداتهم . فمارأيك فى ذلك المريض ؟ قلت أحق جاهل يامولاي، وأطباؤكم أحق منه وأجهل . وأنى لاعجب منهم كيف يبلغون فى الطب إجارة الجسد من الفساد، وحفظه من البلى على مدى الآباد، ثم ينزلون الى الايمان بالرقى والطلاسم، واعتقادهم ان رأس الهدهد وحافر البغل من العقاقير النافعة فى بعض الادواء ؟

قال: الخرافات يابنى وجدت مع الانسان منذ البداية، وسوف تصحبه الى النهاية؛ ولو بلغ من المدينة أقصى غاية . وأظنك عهدت باريز لاتخلو منها وهى فيما يزعمون عاصمة العواصم، وكبرى التمدن القائم

قلت كذلكه يامولاي . قال لكن هلا أخذت من عبارة المريض أن الاطباء في منفيس . ضروب ، وأن توزع الاعمال قاعدة التطيب بينهم . فهذا للرأس وذاك للبطن والآخر لأمراض العين ورابع لأدواء الأذن . كل على قدر اجتهاده في الفرع الذي وقف نفسه عليه . وهذا ما صار اليه الطب أخيرا عند الغربيين ، وهم يعتقدون أن ذلك بداية النجاح الحقيقي و فاتحة عصر للعلوم الطبية ، لا يقف ارتقاؤها فيه عند حد . فلو لم يكن من فضل اطبائنا الحمقى الجهلاء سوى أن القوم أخذوا عنهم هذا المبدأ الجليل ، لكفي على أنني عالم بان الطب لم يتقدم في هذه العاصمة التقدم اللائق بمنزلتها في الحضارة الجدير بمبالغها في المدنية ولهذا الأمر أسباب :

أهمها قلة الامراض في هذه الامة ، لأنهم من جهة يعتنون بامر نظافة الابدان والملابس ، إذ من عاداتهم أن يغتسل واحد منهم ثلاث مرات بالنهار ومرتين بالليل . فثلهم كالمثقفين منكم معشر المسلمين الذين يتوضئون خمس مرات في اليوم . ومن جهة أخرى لأنهم في الغالب رجال عمل ونهوض وحركة ، وإذا كان النشاط في الطباع ، سلبت الجسوم من الاوجاع .

وبديهي أن توسيع العلوم يكون بقدر الحاجة اليها فاذا عظمت عظم الاشتغال بها ، وكثر الاختراع فيها وإذا قلت قل . وأكبر برهان على ذلك ما أشرفت اليه من بلوغنا الدرجة القصوى في التخطيط والتصبير ، فلو لا اعتقاد الافراد ان الاجسام بعد الموت مقدسة لا ينبغي أن يصل اليها الفساد ، لما اجتهد الاطباء المختصون بهذا الفن فيما يمارسون من جليله وحقيقه ، حتى بلغوا فيه درجة الأعجاز ، منساقين برغبة الكافة ملين منادى الحاجة العامة . وما يقال عن التخطيط يقال كذلك عن فن العمارة والانشاء ، فليس السبب في رقيه بيننا هذا الرقي المعجز الباهر ، إلا مبالغة المصريين منذ القدم في قيمة الآلهة وتصورهم إياهم في منتهي العظمة المؤيدة الأزلية ، فلا يرفعون لهم من الهياكل إلا ما يليق بمقامهم هذا ، ويسكنونه إلى الأبد . على أنك لو قسمت دور الأهالي من جميع الطبقات . وما رأيتها عليه من البساطة والاقتصاد في البناء ، بالهياكل وما شهدت من فخامتها ، واجتليت من زخرفها ، لعلت أن دعواي مبرهنة من نفسها ، ولأيقنت أن قصور المصريين في الطب لم يكن عن جهل وقلة ذكاء ، لكن عن عدم حاجة ماسة وقلة اعتناء .

قلت وصلى مولاي وأفاد . لكن هذا ميدان الملك فأين قصره ؟ قال وتظل تحلم بالملك وقد أذكرتني أن لي كلمة أقولها لصانعه الخاص بأمر جلالة ، فلنبداً به الآن . قلت . الأمر اليك يا مولاي ، فشى النسر وأنا فوق كتفه حتى مر بحانوت ضيق المدخل زرى المنظر فرأيتهم بالولوج ، فقلت لعلك ضال يا مولاي ، فثل هذا الحانوت لا يكون لصانع الملك . قال بل الضال أنت يا كثير العجلة . فخرست ودخل الأستاذ فخف لاستقباله رجلان كهل و غلام ، وكانا ساعة دخولنا متقابلين على منصة للعمل مكبين على الذهب يفرغانه ثم يصوغانه ، فحياء حق تحية ، ثم عادا إلى العمل وأخذا بما كانا فيه وعندئذ قال الرجل للاستاذ أتأذن يا مولاي أن أتم حديثي مع هذا الغلام ثم أتلقى أوامرك . فأجابه افعل فلا نكره أن نشاطره الفائدة فاندفع الرجل يقول :

اعلم يا بني أن الأمانة رأس مال التاجر ، وهى والاتقان كلاهما رأس مال الصانع . وقد صيرتهمالى عادة منذمارست هذه الصناعة، فلم أكلف عملاً إلا استجمعت قواى لتحديده وأحكامه، وفكرت فى اتقانه قبل الفسرك فى إتمامه . فأن بدائقص بعد ذلك برأت نفسى وقلت على بذل الجهد ، وليس على أخذ المستحيل . وكنت فى بدء تعاطى هذه الحرفة مساعداً لمحبة الحقيقة استاذى الذى انتقل إلى الدور الأبدية ؛ فتعلمت منه محبة العمل والاخلاص فيه وبذل الجهد فى اتقانه ، وهو الذى ذهب تابوت الملك سبى والد جلالة الملك ونقشه فأبدع نقشه وكان أجره عن ذلك مائة قلادة من الذهب خرجت إليه من الخزائن الملكية فهأنه يومئذ بما نال من جسيم الربح فكان جوابه لى

واعلم أنه لو عرضت على خزائن الملك جمعاء وأنا فى العمل أصنع التابوت لما أعرتها نظراً لآنى رجوت أن يقال ملك الصناعة، شرفها يوم مات ملك الجماعة . فوعيت هذه النصيحة كما يوعى الوحى الآتى من جانب الآلهة وهأنأ أبذلها لك كما بذلت لى من قبل فكانت، أصل سعادتى وسر نجاحى والسبب فى تحصيل هذه الثروة الجسيمة . وارتقائى فى القصر هذه المنزلة العظيمة

قال الهدهد: وكان الرجل يقدم النصائح لتليذه وكأنها قلائد يصوغها وبتنوير يتناب و يتمطى فخشيت أن يحول بنومه المعهود دون سماعى مقالة الصانع إلى آخرها

هكان ماخفت أن يكون ، وغلب على النسر النعاس فقال لى بلسان متلعثم اذا جاء الليل
نامت الشياطين ، فارجع الى عشك الآن والقنى غدا فى هذا الخانوت
قال الهدهد: لم يكن الا اغماة حتى رأيت نفسى فوق سطح بيت العمدة فى ميت رهينه
فاستعذت بالله واقلعت من فورى للطيران، أووم عشى فى حلوان.

(المحادثة الرابعة)

قال الهدهد : وكان الغد فأصبحت فيما أمسيت فيه أهفو الى النسر ، ولا اطيع
عنه صبرا ، والنفس الى ما يشغلها شقة ولعة . فما زلت رهن أحوال وجار عيش
وأشغال ، حتى زينت السماء الدنيا بالآصال ، وإذا أنا من جوجى فى سفينة عند
دأماء ، وهى تجرى فى بحر ولا ماء ، من مذاهب السماء . دفتها ريشتان ، وشراها
جناحان . فاستوت على ما وراء النهر . وانى لفى الخانوت كأنى لم أبرحه ، أرانى فوق
كف النسر ، أنظر الى الصائع والغلام وكأن مامر فترة من حلم ، اذ الحديث متصل
والصائع يقول : هذا يابنى صاحب الملك وشاعره ، وبوقه فى الغزاة وظله فى النقلة ،
وداعيه فى الامة ، وآية ملكه فى الاولين ، وحديثه من بعده فى الآخرين أوفده حفيد
السموات ، وشعاع الشمس فى الجماعات ، برسالة عملت بها قبل أن تبلغ الى .
ثم التفت الى بنتوور وسأله قائلا أليس أمر الملك يامولاي أن تنقبش على القلائد
الثلاث صورته الثلاث يوم قدم طيبة ظافرا ، ويوم صلى صلاة الظفر فى هيكلها ويوم المهرجان
وكانت اشارته السابقة أن تتضمن الصور الثلاث حملته على الاعداء فى آتيش ، ودخوله
المدينة فاتحا ، وجلوسه للمكها ومترفوها يأتون أدلة صاغرين . ؟ قال فى هذا جئت ،
فلعل انسانا جاءك به قلبى

فتبسم الصائع حينئذ وقال انه ليس انسانا . إنه الملك بذاته أشرق هذا الخانوت
بنوره . وكأنى به قائم عند رأسى : يقول اصنع كيت وافعل كيت ، وأنا جالس كما أنا
الآن أحدثه كما أحدثك ، ثم مشى تظله السماء وتحرسه عين ذكاه .

قال الهدهد : قد دهشت مما سمعت ، وودت لو كنت حاضرا فى تلك
الساعة أرى الملك وأسمع حديثه وتحسر الغلام كذلك وسأل استاذة قائلا وأين
كنت يا مولاي عند ما تقدس هذا المكان بالملك ؟ قال كنت فى اصباحك لم تغد

بعد الى العمل فلم أشأ أن يخجلك ان تعلم أن ملك الملوك سبقك الى حانوت انت فيه صبي تتعلم صناعة . فخرس الغلام وتلون ألوانا من الخجل .

ثم قال الصانع يخاطب الاستاذ ليس العجب يامولاي أن يسعى الملك الى عبده . فان دأبه الأخذ بيد العاملين ، فكيف بعباده المخلصين أمثالي ؟ على أن كبار الملوك يتكبرون لأخذ الحكم التي لا تنفذ على الملك حجابهم ، وطلب الحقيقة التي لا تلج عليهم . أبوابهم ، كما يتكبر صغارهم ليزدادوا من الصغار لكن العجب كل العجب أن يلغى الملك قد الغيت العمل بأمره الاول ، قبل أن ينقضه ، وعملت بما جاء من أجله قبل أن أعلم به .

أمهله ريثما تكلم وأشار وأمر ، ثم كشفت عن القلائد بين عينيه ، فاستغرب الأمر وسأل عن السبب . فقلت له : القلائد يامولاي للملكة الصغرى وهى بنت ملك آنيش الذى كان عزيزا فاذلته ، وملكها فاستعملته ثم صاهرته ، وأنت تحبها وتفضلها فى هوى القلب على سائر نسائك ، ولجل من مسد تجعله فى جيدها ، أحب اليها من قلائدك التى تذكر هفاشل قومها وذل أيها . فسر الملك بما قلت له وأقرنى على من اخذت به من العمل وقال خلق الغرور للملك ، وقد يبلغ بنا معشر الملوك حتى نسى الى أعز الناس علينا ، ونحن نحسب أننا نحسن اليه .

قال الهدهد : ثم ودع الاستاذ الصانع وخرجنا وأنا أقضى العجب مما سمعت و رأيت ، ولا أستطيع مع الاستاذ صبرا .

فلما صار وحده قلت له : حفظت أشياء وغاب عنى شيء واحد . يامولاي . قال وما ذاك . قلت انفاذ الملك اياك فى أمر سبقت به كلمته للصانع . فتبسم ثم قال : هذا من تأديب رمسيس صحبته لكيلا يطغو . يعلمنا أن له جسدا قد مين ، ولسنا وعينين وأن يبين غمر العامة ولفيف الخاصة من لا يحوزه مجلسه ، من يليق أن يسعى الملوك اليه ، ويأخذوا الحكمة عنه . قلت تظل تشوقنى اليه فهل آن أن أراه أم لم يأن يامولاي ؟

قال لكل شيء ميقات ، وليس هذا وقت رؤية الملك فاصبر معى أو انقلب إلى عشك جاهلا محروما ، فاستعنت بالله على الاستاذ فى نفسى ، ولذت بالصبر فى أمرى .

وظفق يوجب بي الطرق ويجول في الازقة ، حتى خرجنا إلى بناء رفيع فوق طريق وسيع فقصده الأستاذ قصده فسألته ماهذه الدار يا مولاي ولمن؟ قال هذه يابني شمس النهار ومشرق الانوار ، ومهبط الحكمة والاسرار ونقطة تلاقي العقول الكبار دار الادب والفلسفة أسسناها على مثال الدار الكبرى في طيبة وكنا أربعة فلم يعض علينا عشرون عاما حتى نمت وربت ونجحت ورقت ، وأصبحت من تعدد الاساتذة وتكاثر الطلاب وتهافت المستفيدين من الاجانب ، علماء وفلاسفة بحيث تضارع اختها في طيبة ويميزها أن ليس للملك ولا للحكومة ولا لكهنته يد في التأسيس ولا سبيل على التدريس وانها غراس الافراد وإحدى هممهم ، فانظر إلى الكثير كيف يأتي من القليل

وعن ميمون أمر هذه الدار أن وزير الخزينة السلطانية لما سمع بها وزارها وهي في أيامها الاولى كتب لها صكا بربع ثروته الواسعة تستوفي ذلك في حياته وبعدmates ثم مات وانتقلت روحه الكريمة إلى (المغرب) (١) وكان قد أدخل ولديه فيها فلا ورأس الملك يابني ما رأيت أنجب منهما ولا أحب للعلم ولا أصبر على تحصيله ، ولا أطلب للغايات فيه إذا ذكر قتيان المملكة في مجلس صاحبها سماهما واثى عليهما ، وسمع ثناء الناس فيهما . فليت اباهما يرد الى الحياة لينظر كيف تجزى العناية المحسنين ، وتجعل عماد بيوتهم من بعدهم البنين ؟

قلت سعداء اتم معشر الآباء ، اتفق اربعة منكم ولن يتفق اثنان منا وبذل احدكم ربع ماله في البر ، ولن ينفق أحدا دخل عام واحد في صالح الاعمال . ونحن الذين قال بعضهم فينا (اتفقوا على ان لا يتفقوا) (٢) فاحفظت عبارتي الأستاذ وقال : ما هذا السم في الدسم ، ومن ذاك الذي يشبط الهمم ؟ هذا ومثله أيها الهدهم من الاوهام وأنها لتخامر العقول فتعقلها ، وتداخل النفوس فتقتلها . الاوهام داء الامم ومنية الشعوب ، اذا تمكنت من قوم كانت كالفأس في الاساس ، وكالنار في الشعار ، وكالحبل في الخناق ، وكالعلة في القلب لا يحقق معها الا الى حين . ومن تبالغ نكد الدنيا على الشرق الحاضر ، تبالغ هذا الداء فيه . حكومته دواليب تدور بالاوهام ، وبلدانه مملوءة

(١) كانوا يعتقدون أن الروح بعد مفارقة البدن تذهب الى حيث تغرب الشمس .

٢ كلمة معروفة للسيد الافقاني اتفق المصريون على ان لا يتفقوا ولعل زمانها قد مضى الان .

ما بين السماكين من الاوهام ، وأمه تروح وتغدو حيث تجعلها الاوهام . نظر الواحد منهم في الامور عرضا وبعين غيره ، وحكمه فيها من الهوى ، وانقياده في ايراده واصدارها بأزمة الاوهام .

قال لكم رجل قولافو همتمكم فتم أحياء . ليس مع السلوة عيش ، ولا مع القنوط عمل ، ولا مع اليأس حياة . وليس أجلب للشر والضر من الدعوة الى الربوض وتوهين الغرائم ، وامانة القلوب ، واخراج النفوس من الرجاء الى اليأس ، الذى هو الموت فى أشنع صورته ، وأقبح احواله .

قلت الأوهام يا مولاي داء الامم ، منذ القدم . لم تخل منها أمة خالية ، ولن تخلو منها أمة آتية . فما بالك تلزمها فريقا دون فريق ، وتكرها على قوم ولا تنكرها على آخرين ؟ قال خلق الانسان

من ضعف ، فكان الوهم أول دين دان به ، وأول حكومة دان لها ، وأول شيطان سكن اليه كان على وجه الدهر يستقبل المجسمات ، ويتخذ منها آلهة يسجد لها ، ولا يزال آخر الدهر يتوجه اليها بالتأليه والتقديس والتزيه . وإذا عبد الله كما تعبدونه أنتم والنصارى واليهود ، كان لله الشطر من تلك العبادة ، وللأوهام . الشطر . فالمسيحى يبلى الحديد فى كنيسة القديس بطرس بروما استلاماً وتقييلاً ، كما يضع المسلم خده فى عتب الاضرحه بالقاهرة تمسحاً وتأميلاً وتعظيماً وتبجيلاً . وكان فى شبيهة الدهر يؤله الجبابرة من البشر أمثاله ، ويحكمهم فى عرضه ودمه وماله . ولا يزال معظم الخلق حتى الآن عباداً للملوك يأتونهم طائعين ، غرهم التاج ، وخدعهم العرش ، وغشهم الحجاب وضللمهم الاستبداد .

فالسلطان فى الأصل للوهم لا للسلطين وحقيقة الطاعة له لا للبالكين ، وكان الوهم أول شيطان سكن اليه الانسان تولد منه يقينه ونشأ من عليه وجرت عليه أموره ، وأبنى عليه حكمه ، وتألف منه مألوف من عاداته . يحس به ويشعر ، ويسمع به ويصير ، ويعجز به ويقدر . وبه يعيش ، وعليه يموت . خلت آلاف من السنين وحافر البغل فى مصر حافر البغل فيها ، يسمح فى وهم بعض الناس من بعض العلل ، ويشفى من بعض الأمراض ، ومضت مئات من القرون والميت فى مصر يجنز آخر الدهر كما كان يجنز أوله فلورفع الصليب من جنازة قبطية ، وصين القرآن ، عن أن يرتله

الهمل في جنازة مسلمة ، لحيل لك أنها جنازة ميت منا معشر القدماء . رسوم احتفال وقربان ، وأكل وحشو تراب ، وشق جيوب ، ولولة نساء ، وعويل عييد واماء وندب الميت ونعته بكيت وكيت . والأوهام يابني كما قلت لا تخلو منها الأمم الكبيرة والشعوب الحية ، إلا أنها تقف حينئذ حيث العامة . لا تتجاوزها إلى الخاصة ، إلا ما ندر . كما أنها تتملك الأمم الصغيرة والشعوب المنحلة ، فيكون للخاصة منها مثل حظ العامة ، وهنا عظيم البلوى ، ومنتهى نكد الدنيا .

أليس من الرهم القاتل للأنفس ، المميت للقلوب ، أن يصح في اذهان خاصة المصريين من امرء وعظاء ، وأدباء وعلماء أنهم أمة ليس فيهم فلاح ، ولا يرجى في أمرهم صلاح ، وأن اتفاقهم سابع الجهات ، ورابع المستحيلات ، وأن الوطن ميت وإنهم ميتون ؟ وما أشبه ذلك من الدعاوى الباطلة التي لا تنطبق على نوايس الوجود ولا ترد إلى احوال البشر ، وحوادث التاريخ .

الأمم يا بني لا تموت ولئن بدت عليها دلائل الموت في أزمنة الاضمحلال ، فما تلك إلا بؤس تزول ، وحال استحول . الأمة تصح ثم تقتل ، ثم تصح . تتجدد من حيث تبلى ، وتقوم من حيث تسقط ، وتصح بالعلل

هذه اليابان . هل كان في حسابان أحد أن تضم صوتها يوماً ما إلى أصوات دول الغرب في مسألة من أكبر مسائل العصر ، وتطمع مع الممالك الطامعة ، وتسير الجيوش في البر ، وتخرج الاساطيل في البحر ؟ (١) وقد كانت وأنت في زمن الدراسة لا يذكرك اسمها إلا مقرونا باسم الصين ، عنوان المهجعة ، وعنوان التوحش . والمشبّه به إذا ذكر التأخر والانحطاط . وعرض على المسيو « تيرس » الوزير الفرنسي المشهور مشروع يراد به انشاء السكة الحديدية في فرنسا فسخر منه علانية في المجلس ، وعده ضرباً من الهذيان ، ثم لم يمض نصف قرن على ذلك حتى أصبحت سكك الحديد في فرنسا تكاثر الانعام . وقارن المؤرخ فوليه الشهير بأسفاره الطويلة في الشرق وكتبه الجليلة عنه ، بين القاهرة وباريس على عهده ، فذهب إلى أن عدد أهالي القريتين واحد ، وأنهما كليهما تضاءل بالسيرج وزيت الزيتون وتحصنان من الخارج بالأسوار ، ومن الداخل بالابواب ، وأن الإنسان لا يخرج فيها

(١) إشارة إلى حرب اليابان مع روسيا وهزيمتها لها .

بعد ساعة معلومة من الليل ، الى غير ذلك من شبه التأخر ومخايل الانحطاط . و « فولنيه » ، هذا قدم القاهرة في أيام المماليك ، وكتب ما كتب عنهما في القرن الثامن عشر . فانظر كيف تبدلت الامور وتحولت الاحوال ، واصبحت باريز كما عهدت عروس عواصم الغرب ، تعاض كل يوم عن ضوء بضوء ، وتبدل حصونا بحصون ، وتذهب مخترعات وتأتي مخترعات ، وتخرج المدنية من ابوابها ، وتمتد الى ما وراء أسوارها ، من تكاثر الاعمال ، وتزاحم العمال ، على كثرة ما أصابها بعد « فولنيه » من مصائب الدهر ونوائبه ، فكم هول ثورة لاقت ، ونار حرب ذاقت ، وخراب اليه انسأقت . وكم حكومة قلبت ، ودولة غيبت وملك قتلت ، وقصر عزلت .

كل ذلك في قرن ونصف قرن ثم كانت النتيجة خروجها من دجنة هذه الحوادث سافرة زاهرة . عظيمة فاخرة فلو أن أهلها دعوا الى اليأس فلبوا . وقال لهم عقلاؤهم موتوا أحياء فسمعوا . لكن النتيجة بقاءها على ما وصفها عليه « فولنيه » أو اضيق حلقه وأشد انحطاطا من هذا ومنه تعلم يابني أن العلم والبيان خلقا ليكونا حربا على الاوهام : ونورا يخرج اليه الامم من الظلمات وان حاملهما مطالب بالعمل والدعوة الى العمل ، حتي النفس الاخير من الحياة فمن ثبط هممكم من علمائكم وعظمائكم ، فازوا والوجه عنه وانفردا بالاسماع منه ، ومن دعاكم الى حياة ، فذلك داعي الخير فاستمعوا له وانصتوا : قال الهدهد : فما استتم النسر حتى ملئت حياة واملا وثقة من المستقبل الذي اعتقد أنه بيد الله ، اذا شاء صد عنه واذا شاء أقام فيه .

وكان للاستاذ درس يلقيه على الطلبة ، فادرك ان الوقت سرق بعضه بعضا ، وأن حديثه معي كان السبب في ذلك . فغضب في نفسه وهرب حتى دخل القاعة الكبرى وهناك خف مئات الطلبة له اجلالا ، ثم انحنوا اكبارا ، وكان ملل الانتظار تبدو دلائله على وجوههم ، فتأملتهم وأنا لا أصدق حسي فيما أنظر وأسمع ، فاذا هم جميعا مردأوا كالمرد ، لان من عادتهم إزالة شعر الوجه كما قدمنا ، وعليهم أردية ضافية من الكتاب الأبيض .

ثم تصدر الاستاذ للتدريس ، كأنه الملك على عرشه ، فغلب على السرور وقلت في نفسي الآن نلت من السعادة ما لم ينله أحد . لكنني ما أهبت للسماع حتى ثأب النسر وغشيته السنة المعهودة ، فالتفت الى يقول بلسان يعقده النعاس إذا جاء الليل ذهب الشياطين . وموعدا غدا هذا المكان ، فاستعذت بالله . وخرجت من أحلامي ، واذا أنا في وكري بحلولان .

على السفود



جبار الذهن المضحك

— ٣ —

لا بد أن يكون قراء العصور — ومن يستعبرون العصور من قرائها — قد تنبهوا إلى غلطات مطبعية تقع أحيانا في هذه السنافيد لا تخل بالمعنى، ولكن العجيب أن الأقدار أوقعتنا في غلطة بعثت عليها العجلة — في طبع العصور — فسقط سطر كامل من السفود الاول عن جبارنا المضحك. ولما تأملنا موضعه ظهر لنا أن القدر يلفتنا بهذه الغلطة المطبعية إلى جملة من أقبح جهالات العقاد ويبين لنا عن مقتل من مقاتل هذا المغرور لم نكن تنبهنا اليه من قبل وهو كما يقولون في لغة الملائكة من مواضع الضربة القاضية ولا ريب عندنا أن العقاد بعد هذه السنافيد كالمرأة بعد سقوط أسنانها !! لو وجدت من يطعم خديها من شجرة تفاح وئديها من شجرة رمان وشفتيها من فرع ورد وقامتها من غصن بان (و بان) يجعل نظراتها من أشعة رتنجن وابتساماتها

من أشعة إكس ولطوبتها الغرامية من الأشعة التي وراء البنفسجية — لما وجدت مع انقراض
فما وسقوط أسنانها وانحساف شديدها من يعبرها نظرة أو لقطة ، إن كان في عينيه نظر
قلنا في السقوط الاول عن قول هذا المتشاعر

اني إلى الرعي من عينيك مفتقر يا ضوء قلبي فان القلب مدجان

فسر (مدجان) في الشرح بقوله غائم ، ومدجان مفعال صيغة مبالغة ، فكيف
تأتي صيغة المبالغة من الرباعي أى فعل أدجن ؟

وهنا موضع ماسقط من المطبعة وهو : « مع وضعهم وزناً خاصاً للمبالغة : في هذه
المادة وهو فعل ادجوجن »

ولكن سقوط هذه العبارة جاء كما قلنا اعلاناً من القدر أنه لا يرضى هذه الضربة
لأن هنا موضع ضربة قاضية يجب أن يخربها (الجبار) للدين وللفم . وبيان ذلك أننا
احسنا الظن بالعقاد وكانت في اعتبارنا بقية أنه على شيء من العربية لأننا إذا وصفناه
بالعامي فلا نغني أنه من عامة السوق ، بل من عامة محرري الجرائد — وأكثرتهم عامة
فلما رأينا يقول ان القلب مدجان لم يكن لنا سبيل الا أن نعد (مدجان) صيغة مبالغة إذ أخبر
بها عن مذكر وهو القلب وصيغ المبالغة لا تأتي من الرباعي الا ألفاظاً مسموعة منها احساس من
أحسن ومعطاء من أعطي ومعوان من أعان ومتلاف من أتلف عند من يراه من أوزان
الكثرة وهي في الحقيقة زيادة في وزن متلف لانهم يقولون . فلان مخلف متلف فلما
ارادوا الزيادة في المعنى قالوا مخلاف متلاف .

ولكن كل هذا إنما هو سماعي في افعال لم تأت منها أوزان أخرى لتحقيق معنى
المبالغة (وأدجن) وضعوا منه فعلاً خاصاً للمبالغة وهو قولهم (ادجوجن) فلا ضرورة
لارتكاب الضرورة وبذلك لا يجوز قطعاً العربي ولا لأعجمي ولا لمولد ولا لعمالي
كالعقاد ان يجعل مدجان صيغة مبالغة . هذه غلطة فليعد القراء

اذن فنأين جاء العقاد بالكلمة . انه لم يصغها وإنما نقلها وهنا موضع جهله العجيب
فأنهم يقولون : ليلة مدجان أي مظلمة ولا يوصف بها الا المؤنث لانها من الكلمات التي
جاءت في نعت المؤنث بغيرها وشبهت بالمصادر لزيادة الميم في اولها . ومنها امرأة
مفتان ومبهاج ومعطار ومثاث تلد إناثا ومذكار تلد ذكورا الخ فظن العقاد ان
الكلمة لمطلق الوصف ، فنعت بها المذكور وهم لا يقولونها الا في المؤنث خاصة . وهذه
غلطة ثانية

وقلنا فسر (مدجان) في الشرح بقوله غائم : وسكتنا عند هذه العلامات ومعناها

ان هذا التفسير العقادى (بزرميط) كما يقولون لانه يشترط فى استعمال هذه المادة ان يكون فى الجو مطر أو أخفه أى الضباب ولذلك يقولون أدجن المطر فلم يقلع أياما أى دام عليهم ويوم دجن اذا كان ذا مطر . فاذا كان الغيم وحده ولا ضباب ولا مطر ولا جوربان خففوا الكلمة فقالوا يوم دغن (بالغين المعجمة) والغين أخف من الجيم وهذا من مذاهبهم العجيبة التى تكاد تكون فوق العلم وفوق العقل أيضا ما يدل على ان هذه اللغة أراد بها الله الذى الهمها العرب ان يحميها بمعجزة حقيقية وهى القرآن . وأنت ترى أن الغين أخف من الجيم لتدل على ان ظلمة هذه أقل من تلك - وهى أيضا أجف منها فكأنهم يقولون بهذا التعبير ان اليوم غيم جاف لا مطر ولا ضباب ولا رطوبة . وهذه غلطة ثالثة

ثم ان كلمة مدجان ثقيلة أثقل من ذوق العقاد ولا تكاد تصيبها بهذه الصيغة فى نظم شاعر يذوق البلاغة ويعرف مواقع الحروف وسحر تأليفها ؟ ولما اضطر الشريف الرضى الى استعمال هذه المادة جاء بالمصدر منها فقال

يرتمى وجهة الرئال اذا آ نس لون الاظلام والادجان
فانظر كيف جاءت الكلمة ظريفة خفيفة كأنها من النور لا من الظلمة بعد أن جاء بها من المصدر وعطفها على تفسيرها أى كلمة الاظلام . ولكن أين من هذا العلم وهذه الصناعة وهذا الذوق صاحب

ياضوء قلبى :::: فان القلب مدجان

وهذه غلطة رابعة للعقاد فى كلمة واحدة !!!

ثم إذا كانت هذه المرأة التى ابتلاها الله بثقل العقاد وأغنى غزله - اذا كانت (ضوء قلبه) وكان يعبر عنها بقوله (ياضوء قلبى) فكيف إذن يجوز له أن يقول (ان القلب مدجان) وأين ذهب الضوء باعقاد مع أن العبارتين فى شطر واحد؟ هذه غلطة خامسة فى الكلمة نفسها وهذا المعنى الذى جاء به (الجبار) فى بيته المتهدم الحزب كثير فى الشعر لان الجبال فى نفسه ضوء ولكن الشعراء يتفاوتون فى رسمه وتصويره والحيلة على إبرازه ويتفاضلون فى ذلك بمقدار ما يختلفون فى القوة والملكة والبيان كحالهم فى كل المعانى المشتركة انظر مثلا قول ابن نباتة السعدى

عجبت له يخفى سراه ووجهه به تشرق الدنيا وبالشمس بعده

و تأمل فى وصف نور الوجود قوله (وما الشمس بعده) ودقق النظر فى هذا التقيد لتعرف كيف يكون المعنى شعريا وكيف ينتقل بما يستطيعه كل انسان الى ما لا يستطيعه الا أفراد قلائل

وانظر قول بعضهم

الهجر ظآن في فؤادي إسقوه بالله من سلامه
ما كان الا نهار حب لما مضى صرت في ظلامه

واقرا قول العقاد

إني الى الرعى من عينيك !!! مفتقر يا ضوء قلبي فان القلب مدجان
ألا تشعر إنك بعد الأيات الاولى سقطت من علو ألف متر الى بيت العقاد فلا تتمه حتى تقول
آه آه : الاسعاف الاسعاف : فهذه الغلطة السادسة في البيت تظهر من مقابلته بالشعر الصحيح
وقد بينا في السفود الأول خطأ قوله (الرعى) بمعنى النظر مع انها بمعنى الحفظ
لا غير . تقول رعاك الله أى حفظك فهذه هى الغلطة السابعة

ثم هناك معنى آخر توهمه الكلمة فاذا فرضنا أن قائل هذا البيت حيوان فيكون
معناه أن هذا الحيوان مفتقر الى (الرعى) من عيني الحبيب !! لانه وجد فيهما مرعى
وهكذا تكون الألفاظ الشعرية : فهذه هى الغلطة الثامنة . نشدتك الله أيها القراء أستطيع
أحد أن يرد على غلطة واحدة من هذه الثمان أويكابر فيها : وهل من يغلط ثماني
غلطات في بيت واحد مع سخافته التى هى الغلطة التاسعة !! يمكن أن يسمى شاعراً
أو أديباً الا في رأى الحقى وفي رأى نفسه اذا كان من الحقى .

هذا البحث يجرنا الى النظر في ألفاظ العقاد وصناعته البيانية فان الشاعر يجب أن
يكون شاعراً في ألفاظه ومعانيه وخياله . فان كان كهذا العقاد وأعنى الجبار والجبار أعنى
العقاد !!! جاهلاً بطريقة سحر الألفاظ في اختيارها ومزجها وتركيبها والملاءمة بينها
واخراج الألوان المعنوية من ذلك النظم والتركيب — فقل انه رجل عامى بل العامة
خير منه لان الملكة الشعرية فيهم تنصرف دائماً الى ابداع التركيب في أوضاعهم فترى
لهم الاستعارات والمجازات كما ترى لفحول أهل البيان وهذا هو شعرهم . ولكن
جبارنا المضحك ساقط في الجهتين لا الى العامة ولا الى الفصحاء

وبما يدل على بلاهته العجيبة وعلى كذبه ولؤمه وأنه ابن حقد تسعة أشهر ميراثاً ،
فليس في طبعه أن يقر لأحد أو يطيق احسان كاتب في كتابته أو شاعر في شعره —
أنه كتب مقالات في البلاغ الاسبوعى بعد موت المغفور له سعد باشا زغلول اطمأن
فيها الى موت الرجل العظيم اعلمنا ثانياً وذهب يرفع نفسه بأوضاع يزورها على سعد
فكان مما كتبه انه جرى يوماً في حضرة سعد ذكر كتاب من الكتب الحديثة فقال
سعد ، ان عيب صاحب هذا الكتاب كثرة استعاراته

قال العقاد : ألا ترى يا باشا أن الاستعارة في الكلام كالاستعارة في المال
دليل على الفقر ؟

قال سعد للعقاد : ولذلك أنت لا تستعير

هذا ما كتبه الجبار المضحك ومعناه أن العقاد في رأى سعد باشا أغنى الكتاب في
بلاغته بل هو بليغ لا نظير له في تاريخ البلاغة إذ لا يحتاج الى الاستعارات لانه غنى
عنها وعن كل الوسائل البيانية

ومعناه أيضا ان سعد باشا رحمه الله و كان أبلغ خطيب ومتحدث في الشرق كله
— هو فيما يعلن عنه العقاد أجهل الناس قاطبة في الشرق والغرب بل في تواريخ الامم
كافة إذ يرى أن البيان والبلاغة في تجريد اللغات من استعاراتها والرجوع بها الى
أطوارها الاولى الساذجة من الاصوات والاشارات التي يكفى فيها أن تدل دلالة ما
على معنى ما بوجه ما . فالاستعارات فقر وعلى كل ذلك فكل أدباء الدنيا حمير والانسان
وحده هو العقاد الذي لا يستعير واذا أنت رأيت استعارة في كلام أمة من الامم
فقل ان سعد باشا يراها أجهل الامم وأفقرها في البلاغة . واذا قرأت في القرآن
مثلا قوله تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » فقل ان سعد باشا يرى
هذا فقرا في القرآن فيما نقل عند الاحق الكذاب المغرور عباس العقاد

وانظر أين معنى « الاستعارة » في المال من معنى الاستعارة في الكلام ؟ ولكن هذه
هي طريقة العقاد في جهله بالمعاني ومجازفته بالألفاظ وكذبه على الناس . وهل يبلغ
سعد باشا من الجهل هذه المنزلة التي لا يفرق فيها بين اقتراضك شيئا من مال غيرك
لأنه ليس معك منه ، وبين إبداءك بقريحتك في إخراج صورة جديدة من اللغة ليست
في اللغة تزيد بها الثروة البيانية به . وهل سعد باشا كان من الجهل بالفقه واصطلاحات
القانون بحيث يسمى الاقتراض من المال « استعارة » فيقول استعار منه قرشاً كما
يقول استعار منه كتاباً !!!

وليعلم القراء أن « الكتاب الحديث » الذي جرى ذكره في حضرة سعد
واستتبع ذلك القول في رواية الكذاب الدنيء هو نفسه عينه الكتاب الذي أهدى
إلى سعد باشا لما كان بمسجد وصيف وكان قد أعلن عن موعد سفره إلى القاهرة
فاخر هذا الموعد أربعة أيام قرأ فيها الكتاب حرفاً حرفاً ثم كتب لصاحبه يصف

بيانه بالكلمة السائرة التي لم يقلها سعد في أحد ولم يظفر بها منه غير هذا المؤلف وحده وهي قوله : كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم . . (١)

هذه شهادة سعد باشا وقع عليها بامضائه فيكون في رواية العقاد معنى ثالث وهو أن سعداً جبان منافق يخشى مؤلفاً من المؤلفين — مع أنه لم يخش انجلترا — فبتملقه بهذا الرصف البالغ على طبقات البيان الانساني على الاطلاق .

رحم الله من قال : عدو عاقل خير من صديق جاهل . فالعقاد أراد أن يمدح نفسه بلسان سعد باشا فذم سعد باشا بل سبه بلسانه هو . ولقد اتفق أن اجتمع العقاد وصاحب ذلك الكتاب في إدارة مجلة المقتطف فقال المؤلف للجبار العظيم الذي يخشاه كل أديب : أنت كتبت في البلاغ الأسبوعي كيت وكيت . قال نعم . قال والكتاب هو كتاب كذا . قال نعم . قال وأنت كذبت على سعد فان الدكتور صروف كان حاضراً هذا المجلس ونقل إلى كل ما قاله سعد . فامتقع الجبار وخنس العقاد وبهت الذي كفر (٢) !

أوردنا هذا كله ليعلم القراء أن هذا العقاد ليس في طبعه البلاغة ولا أسبابها باقراره هو نفسه فكيف يكون في طبعه الشعر إلا على الأسلوب الذي يجعل اللص دائماً قادراً على الغنى متى أراد ؟

انظر ألفاظ الشاعر الجبار وذوقه العجيب . قال في صفحة ١٢٧ من ديوانه (بين محمد وعزوز) وفي الشرح أن محمد بن صديقه المازني وعزوز ابن أخت صاحب الديوان :

مرحاضه أفخر أثوابنا ونحن لانقصر عن عذره

طرطوره ملقى على ظهره وحجره المرفوع في خصره (٣)

إياك أن ترتاب أيها القارىء فهي مرحاضه ، مرحاضه ، وأفخر أثواب العقاد مرحاض !!!

١» العصور — هو كتاب إعجاز القرآن

٢» وبعد أن رجع الدم في وجه هذا الجبان قال لصاحب الكتاب : هل أخبرك الدكتور صروف (كتابه) أم بالكلام ؟ وهذا سؤال طيبي من مزور لا يخشى إلا الشهادة المكتوبة كما هو ظاهر .

وفي هذا المجلس ادعى المرفوع العقاد أنه أذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا ؛ وأشهد صاحب الكتاب رئيس تحرير المقتطف على ذلك . فالذي يبلغ به الحق أن يقول أنه أبلغ من سعد وأذكى من سعد لا يسب نفسه بأفصح من هذا

٣ بين هذين البيتين اثنا عشر الأبيات في عزوز بن أخت العقاد فلا تنسى هذا وخاله يقول فيه : عزوز هذا ولد قاجر : أحبه أمكر من خاله !!!

والذين يرون أولاد العامة في الازقة حين تجلس بهم أمهاتهم على الطريق وتريد احداهن أن تخ... ابنها يرونها ترفع حجره المرقوع، فتجعله في خصره ثم تجلسه على ساقها وقد جعلت بينهما فرجة هي (مرحاض) الطفل في الطريق العام كما يصف العقاد في البيت الثاني تماما

هذه مسألة بيسيكولوجية يؤخذ منها تاريخ العقاد وتربيته وأصله وذوقه الشعري أيضا ومن أين تربى له هذا الذوق الخ الخ الخ وهي نصر صريح في إثبات أن الرجل من حثالة العامة وأى عامة يا أزقة أسوان ؟

ونظن أن رجلا مسلما متزوجا لو حلف بالطلاق أن لفظته (مرحاض) لا تخرج من فم شاعر في شعره إلا إذا كان غيبا متشاعرا فاسد الذوق لثيم الطبع ذئب الحس — لبرت يمينه ولم يقع عليه الطلاق . وتكون هذه فتوى من الشرع في وصف العقاد وشعره فخبذا لورفع أحد الادباء سؤالا في ذلك الى العلماء والمفتين ومن غفلة العقاد في هذه القصيدة قوله في ابن أخته أيضا

بينما يرى ينتش أثوابه غيظا كمن أخرج عن طوره
إذا به يضحك مستبشرا مصفقا كالديك في طفره

يريد من ينتش أثوابه أنه يجذبها وقد يصح هذا على تأويل . ولكنك ترى القاموس يعرف التناش (جمع ناتش) فيقول : والتناش السفل (جمع سفلة) والعيارون (جمع عيار) وهم الناشطون في المعاصي كالسرقة والفجور الخ الخ فسبحان من أجرى على لسان الحال وصف ميراثه في الطبائع والعامة يقولون (الولد لحاله) يريدون أنه مثله ينزع اليه في الصفات الموروثة

وفي هذه القصيدة يقول العقاد :

وأيا أحلى وكن عادلا فانت من يقضى على بكره
در الثنايا في عقيق اللثى أم فه الفارغ من دره

اللثى جمع لثة في لغة العقاد وحده يعنى في جهله وعاميته وإنما تجمع على لثات لا غير وهي مغرز الاسنان سميت كذلك لان لحم الاسنان ليث بها أى دار بها ولوجعت على (لثى) بالقصر لكان المفرد لثة أولثة أولثية وهذا كله يصلح في لغة العقاد

وحدها لان جبار الذهن جاهل يتخبط بحجة انه جبار مثل «دوت كويكشون» ومنه
الفاظ الرجل الغريبة التي تدل على ذوق اسخف من ذوقه في لفظة (مرحاض) قوله في
صفحة ٢١٥ وقد سمي الحب (الجحيم الجديدة) واخذ يصف هذه الجحيم التي يعذب
فيها اهل الحب بمن يحبون فقال ملح الله ذوقه !!!

وتولى فيها عذاب المحبيين بلاغ المني من الاحباب
ليس غسلينهم سوى الشهد ممنوعا على قرب ورده في الرضاب
فسر هذا المغفل في الشرح فقال : الغسلين شراب اهل النار . والله تعالى يقول
في وصف عذاب الجحيم « ولا طعام الا من غسلين » فما هو بشراب كما ترى . وجعل
الغسلين طعاما في وصف القرآن آية من آيات اعجازه لا يفهمها مثل هذا العاقل الاسواني
لان هذا الغسلين هو ما يسيل من جلود اهل النار قيحا وصديدا فاذا كان هذا طعاما
فلا شراب هناك الا شوبا (أى خلطا) من جحيم ، فالنار تهضمهم وهم يهضمونها
لا هي تقنى ابدا ولا هم يهلكون ابدا

والآن تأمل أيها القارىء . وقد عرفت ان الغسلين ما يسيل من جلود اهل النار .
تأمل ذوق هذا المغفل الذي سمي رضاب الحبيبة غسلينا !!! ان كانت حبيبة العقاد بمن
تصح معهن هذه التسمية فهي ولا ريب مصابة . . . على الأقل بتقييح اللثة !!! فليهنه
غسلينا ولكن لا يجوز له ان يقلب نفوس القراء ويحملهم على التقيء من قراءة
شعره البارد وان كان في وصف الجحيم

ثم نحن نقر ونعترف اننا لم نهم معنى البيت الاول لانه إذا اراد من (بلاغ المني)
بلوغها واتهاؤها وانه لا يعذب المحب شيء كبلوغ مناه من حبيبه فهذا لا يعذب بل يشفى
العذاب وان عذب كان عذابه اخف من عدمه (بلاغ المني) والظاهر ان الرجل جاهل
بالحب أيضا وانما يقلد اناتول فرانس في هذا المعنى وقد بسطه في رواية الزنبقة الحمراء
وجعله مقصورا على بعض النساء مبالغة منه في وصف سعار الحيوانية وجنونها وكل
ذلك تليفق بعثت عليه طريقة فرانس في الكتابة

هب العقاد أراد هذا المعنى فيبقى انه يكذبه في البيت الثاني بجعله شهد الرضاب
« ممنوعا » ووصفه اللذات كلها « ممنوعة » في الايات الاخرى فيقول بعد غسلين حبيته
قبحه الله وقبحها معاً

لا ولا جرهم سوى الخدم مشبو با يذيب الاحشاء قبل الالهاب
 ويطوف الحسان فيها بخمر من رحيق الخلود لا الاعتاب
 فاذا أضرم الجوى قلب صب وتهاوى شوقا على الاكواب
 قيل هذا للوصف ! لا للتعاطى ! . . .

اذن فما معنى (بلاغ المنى) وانه هو الذى يتولى عذاب المحبين به .
 هذه معانى «البلوغ» فى اللغة . لعل فى القراء جبار ذهن غير مضحك يفسر لنا
 معنى البيت : بلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى ، البلاغ ما يتبلغ به ويتوصل
 البلاغ ما بلغك ، البلاغ الكفاية ، البلاغ إبلاغ الرسالة ، بالغ بلاغة وبلاغا اذا اجتهد
 فى الامر ، «هذا بلاغ للناس ولينذروا به» اى انزلناه (القرآن) لينذره الناس .
 البلاغ جريدة البلاغ اليومى والاسبوعى !!!

ولم نرفى كل ما وقفنا عليه من الشعر قديما وحديثا أبرد غزلا من نسيب هذا
 المشاعر العقاد ، الذى لو كان فى الدولة العباسية ايام حسانها وأديباتها وقائنها وامراتها
 الأدباء القادرين ، لكتبوا شعره الغزلى على جلد ثم صفعوه به فى المجالس .
 وهل يستحق اقل من الصفع من يقول فى صفحة ١٠٩

، الحبيب الثالث ،

، نظمت هذه الأبيات ردا على قصيدة الحبيين لصديقنا شكرى . وقد شبه
 احدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم !!
 قلاك من دفاع نار الجحيم * ووصلك الجنة دار النعيم
 وريقك الكوثر لكنه * كالمهل !!! فى صدر المحب الكظيم
 وخذك الزقوم !!! مر !!! لمن * تزويه عنه وهو حلو الشميم
 المهل دردى (اى وساخة) الزيت . وفى القرآن الكريم « كالمهل يغلى فى البطون ،
 والزقوم عبارة عن اطعمة كريهة فى النار ومنه استعاروا قولهم تزقم فلان اذا ابتلع
 شيئا كريها .

هل يعرف القراء فى البله او الحمقى او المغفلين من يجعل الخد طعاما وطعاما
 كريها ومرا ؟ ولكن العقاد جعله كذلك ثم يزيد على هذا السياق قوله « وهو حلو

«الشميم» ، اى والحال انه حلو فى الشم . فمن هنا لا يكون المعنى ابدا الا هكذا : ان
 خلك طعام من الاطعمة الكريمة لمن تزويه عنه على حين انه طعام حلو الشم طيب الراحة
 فهو على كل حال طعام . لا يمكن ان يؤتى سياق الكلام غير هذا
 لعمري لو كان هذا الغزل فى امرأة حقيقية لدبغت قفا هذا الاحق . ولكنه فى
 امرأة يخلقها وهم العقاد من طباع العقاد
 ثم يا لطيف يا لطيف ! اى بليغ على وجه الارض يستطيع ان ينطق (قلاك من
 دفاع نار الجحيم) انطقوها ايها القراء لتعرفوا ان فم العقاد يصلح ان يستخدم فى
 (طره) لقلع الحجارة وتكسير الزلط !!

على سفود آخر



يا موقد الجمر (والعقاد) فى يده • قد أنضجته على السفود نيران
 شب الوقود بمسجور له لهب • كما تشب تنانير وأفران
 وأشكك شواءك بالسفود تصهره • كما تشك طباهيج وحيثان (١)
 كأنما سقر قامت مرجبة • تنوشه عقرب فيها وثعبان
 حضرة محرر العصور الغراء

لعل أشد الناس ولعا بقراءة العصور وإعجاباً بما تحويه من أدب وبحث ، فقد أتيت
 لى أن أقرأ أعدادها الممتعة وأنا بين لذة دونها كل لذائذ الحياة وأعجاب لاحد له .
 وليس أجلب للسرور عندى من أن تصل إلى نسختها فأجدنى بين حداثتها الغناء ،
 ومنازها الفيحاء ، ومعارضها الغنية بالطرف والنفائس ، منتقلا من موضوع إلى

(١) الطياحة الكباب والجمع طباهيج والحيوت معروف والجمع حيثان

موضوع، ومن بحث إلى بحث، حتى أصل أولها باآخرها، وأتتهى من فاتحتها إلى خاتمها، وأنا استجلى في مرآتها الصافية ما تشعه تلك العقول النيرة، والأذهان الحادة من بحوث عليية وآداب عصرية وانتقادات تحليلية ونزعات تجديدية. وقد لفت ذهني بنوع خاص ما قرأته تحت عنوان «على السفود» في نقد العقاد وتحليل نفسيته الخاطئة وتفنيد مزاعمه في الأدب والتدليل على أنه صاحب قوالب يصب فيها ما ينقله ترجمة أو يسرقه انتحالاً ذلك إلى خطأ في البيان والاسلوب ونزول إلى لغة الجرائد وكلام العامة ولحن في التصريف والاعراب لا يتورط في مثله صديّة المكاتب وخبط وهذيان وتخليط لا تصدر إلا من الحمقى والمجانين

ولست بحاجة إلى إعادة ما ذكره ذلك الكاتب القدير والناقد البصير من سرقاته وأغاليطه وتخليطاته فان فيما ذكره ويدكره تباعاً — إن شاء الله تعالى — الغناء والكفاية

وانما الذى يعنيني من العقاد ويجعلني أمعن في الدهشة والاستغراب من أمر هذا المخلوق الشاذ أنه بعد أن انتحل لنفسه آثار غيره وتناولت يد عبقريته الخاطئة بالسرقة كثيراً من معاني الشعر العربي والغربي وبعد أن لم يخجل حتى من سرقة العناوين وأسماء الكتب أخذ ينحل لنفسه أضخم الألقاب وأفخمها فلم يقنع بأن يكون عبقرياً و«جبار الذهن» و«شاعراً فذاً» و«مجدداً حكيماً» و«فيلسوفاً عليمًا»: إلى آخر هذه الألقاب الجوفاء حتى حاول أن يتوثب على مقام الألوهية الأعلى فاطلع في عالم الوهم والخيال إلى حظائر القدس وأراد أن يسرق اسماً من أسماء الله الحسنى يتخذة لنفسه لقباً خاصاً جامعاً لا أجل معاني الانعام والتفضل والاحسان والرحمة فعاد وهو يحمل لقب (رحمان) مع حفظ باقى الألقاب وذلك حيث يسلم عليه شيطانه وصاحب وحيه بأنئن ما ينبعث عن الجيف والكنف فيقف في دوار وغثيان ويقى هذا البيت السخيف

والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس رحمان !!

وقد عرض ذلك الناقد الأديب لهذا البيت فقال: نحن لا نشير إلى الحاد هذا الدعى الزنيم فهو يباهى به ولكنه لما كان يدعى لنفسه أنه شاعر فذكّاه في رأى نفسه إله. أغثوه بطبيب مستشفى المجانين أيها الناس

وأضيف إلى هذا ما يتعلق بالنقد التحليل لهذا البيت فأقول « النفس » : بالتحريك يطلق في اللغة على الهواء الخارج من الأنف والفم وعلى الريح الذي تنسمه ونستروح إليه ، وعلى التروح بين الشربتين ، وعلى السعة يقال هو في نفس من أمره أى في سعة وفسحة ، والنفس مصدر كالتنفيس يقال نفس بنفس نفساً وتنفساً كفرج يفرج فرجاً وفرجاً وإذا أضيف النفس إلى الرحمن كان مصدراً بمعنى الفرج ، وفي الحديث . « لاتسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن » فسر النفس هنا بالفرج أى من تنفيس الله على عباده لأنه بنفس بها عن المكروبين ، ويفرج عن المملوفين ، ويريد عبقرى البيان هنا بالنفس الرحمة ، وليس هذا بالمعنى اللغوى للكلمة ، وإنما هو من مواضع العقاد مع نفسه ، فانه كثيراً ما يعتمد إلى اللفظة فيخلق لها من المعنى ما يشير إليه السياق وإن خالف ذلك أوضاع اللغة واستعمالات العرب وأقيستها وإذا كان الشاعر الفذ هو الذى يستمد روحه وشاعريته من نفس الرحمن - وإن كنا لنعلم ما نفس الرحمن - فهلا كان شاعراً فقط ، ولم كان شاعراً رحماناً ؟! نحن نقرأ في كتب الأدب القديم أن لكل شاعر شيطانا ، فلم يستمد شاعرنا الفذ شاعريته من نفس الرحمن ، وهى من عمل الشيطان !! ثم يكون فى النهاية رحماناً !

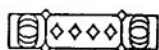
يا سبحان الله ! ، إن مصر الفتية . مصر كعبة الشرق لتفتخر بمثل هذا الجبار الذهن المتناهى فى السخف والحق . ولهذه المناسبة أسوق القصيدة الآتية :

بفسل اسوان - لا بوركت « اسوان » -	صدر الكنانة مكلوم واسوان
بالمشعب اللقس « العقاد » من خبث	بخبت مولده نوب وسودان
ولدت أ كفر مخلوق بخاذه	كفراً والأُم من ترميه بلدان
مستهتراً يزعم الرحمن صاحبه	فى الشعر ، شتان رحمان وشيطان
يقول ضمن سخافات تضمنها	للكس عباس العقاد ديوان :
« الشعر من نفس الرحمن مقتبس	والشاعر الفذ بين الناس رحمان »
تنزه الله عن جبس ينازعه	اسماءه ، وسما الله سلطان
أأنت شاعرنا الفذ المرتل من	قدسية الشعر ما أدته أوزان
أم هل ترى « نفس الرحمن » يبعثه	روض من الشعر أوحقل وبستان ؟

يا صاحب النفس القدسى طاربه جبريل فى زجل تحدوه ألحان.

تقدس الشعر لما قلته وعزا أنفاسه لرياض الخلد رضوان
أقصر، فما أنت روح القدس نافع عن حق ، ولا أنت ان نأخت حسان
ولست د هومير ، يستوحى ملاحمه ولا شكسير ، معروفا له شان
بل أنت سارق أشعار تظر لها جيب القوافي ، وما يعيك ميزان
لك القوالب من شعر ترعه وللأولى سرقوا در وعقيان

ياموقد الجمر والعقاد في يده قد أنضجته على السفود نيران
شب الوقود بمسجور له لب كما تشب تنانير وافران
واشكك شواءك بالسفود تصهره كما تشك طباهيج وحياتان
كأنما سقر جاءت مرجبة تنوشه عقرب فيها وثعبان
غر يغر بالقاب يخص بها ما إن يخص بها في الناس انسان
جبار ذهن ورحمان فنتقم ومنعم فاض من نعام تهتان
وعبرى يان ليس يلحقه في الشعر «هوجو» ولا في البحث «رينان»
ألقاب مفخرة في غير موضعها أمسى يروجها زور وبهتان
عبد الرحمن خليفة



اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن مكتبة الوفد بشارع الفلكي بباب اللوق بمصر
ومن جميع المكتبات المعروفة

مَعْضَا الْمَلِكِ نِيَّ الْحَيَاتِ

وعدة ومقالات أخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

هنرى هيمن

ان الادباء والشعراء والفلاسفة لم يخلقوا فقط لصوغ بعض الكلمات الخلابه الجاذبه لقلوب الناس، نعم ان هذا قد يكون من جهة واحدة ولكنها ليست الالهة بيننا العامة تنظر اليها وحدها : فالهمم هو الأعمال التي يأتون بها بازاء كلامهم وحديثهم والنشاط الزائد الذي يظهر وانه لتحقيق فكرتهم وغرضهم : إذا شاهدنا أدبياً أو شاعراً أو فيلسوفا تكلم هذا من جهته وأنشد ذاك وتفلسف الآخر : ولم يقرنوا قولهم بعلمهم : بل لم يبدون اشتياقاً الى العمل قبل أن يكتبوا أو يتكلموا لقلنا : إن هذا الاديب قوال والشاعر ربما غنى ليخمد ناراً في قلبه قد أخذت في اللهب ولو صفنا الفيلسوف بانه رجل سفسطائى ولو اتنا استطعنا أن نفحص روح الادباء لرأينا كلا منهم يحمل سيفاً مصقولاً هو أحد وامضى من سيف عنقرة البتار : وان لم يجد رذيلة يبارزها ذهب يفتش عنها فهم حماة المدنية . المدنية القائمة على الحكمة وفعل الخير

وهين كاصحابه كان حاملاً سيفه معه . ولكنه كان لدرجة عظيمة من العز لم ينلها أى سيف آخر حتى طلب أن يوضع فوق مدفنه بعد وفاته بدل طاقة الزهور . وهذا لم يكن الا سيف تحرير الانسانية . واذ انه من أولئك الجنود البواسل في حرب تحرير الانسانية ،

وكما أن جرمانيا لا تستطيع أن تنسى ذلك النهر الفياض بشهد لذيد شهى « جيت » كذلك لا تستطيع أن تنسى فرعه الوحيد - هين - وقد ظهر جيت وحرك « الكبش » (جرمانيا) ولكنه لم يستطع أن يجعله منتبهاً تماماً ولم يتم ذلك أى ان تليذه جاء وأكمل ما يجب اتمامه . ولكنه لم يتمكن أيضاً أن يتم العمل النهائي : الا أنه أدى واجبه الى آخر رفق من حياته وكأنه علم بالمثل القائل . على أن أسعى : وهذا هو ما قاله : « أى ماردر دغانى لا كتب كتاب الاشعار لاجر جريدة أن أودى نفسى في أوقاتنا وفائدتها : أن اجرب لابنه الكبش الجرمانى في حجرته من سبات عميق قضى فيه ألف سنة ؟ أى نفع حصلت عليه من كل هذا ؟ إن « الكبش » فتح عينيه فقط ليطبقهما حالاً فقارقه : ليبدأ في غطيته ثانية وكان هذا بعد انقضاء دقيقة ولكنه كان غطيماً أشد وطأة مما سبق وحرك أعضائه الجامدة الخارقة :

وبلج مرة اخرى فقط و يتمدد في فراشه القديم الذى اعتاد ان ينام فيها كرجل مائت
ليستريح ولكن اين يجد موضعاً للراحة ؟ ،

وحقا ان هين لم يقو على ان يجدر اراحة . فهو كان منهمكا ابدا منذ حدوثه الى وفاته .
احب لما كان صغيرا فاذا قلبه الحب ، حارب عند ما كان رجلا الى ان اصبح عتيلا ،
كابد امراضه بينما كان شيخا الى ان داهمه الموت ! فهذا هو هين . وهمه الوحيد كان
في جميع هذه الاطوار التى مرت عليه في جرمانيا . ولم تكن ارض لثمه ، لكن الذى اهتم
له هو تحر يك الشعب لينهض نهضة حقيقية وتكلم عن علاقته بجرمانيا فقال :

ان الامبراطور شارلس الخامس جلس متألما من كثرة الضيق ، في التيرول ، محاطا
باعدائه وقدهجره ابطاله وندماؤه ولم يأت أحد منهم لمساعدته . انى لا اعلم اذا كان
لا يزال حاصلا في ذلك الوقت الحرج على الوجه الحليبي الذى صورته لنا هوللين .
لكني متأكد بأن وراء شفتيه الاحتقار للانسانية نعم ، كان ظاهراً جلياً أكثر من
صورته : كيف يستطيع غير الاحتقار لشعب عند ما كان في اوج مجده ان يتعلق له
ويقدهه ، وأما الآن ، في كربه المظلم ، فقد تركه ذلك الشعب وحيداً ؟ واذا به على حين
غرة فتح باب ، وجاءه رجل محتف ، وعند ما شمر عباءته عن وجهه عرفه القيصر بانه
ذلك النسيم الابن كوزادفون روزين . هذا الرجل جاء لقيصر سلوى وتعزية ،
كيف لا وكان نديم قصره !

آه يا جرمانيا بلاد آبائى ! يا قوم جرمانيا الاعزاء ! انى انا لكم هو ذلك
كوزادفون روزين بعينه : الرجل الذى كانت وظيفته الوحيدة ابهاجكم ، والذى
كان في اوقاتكم السعيدة يتمون فقط لسروركم ويحيى في وقت ضيقكم عند الحاجة :
هنا تحت عباءتى اقدم لكم صولجان ملككم وتاج جلالكم ألا تعرفني يا ايها
القيصر العظيم ؟ اذا لم يكن باقتدارى ان اجعلك حراً فسأخفف على الاقل عناك
وستكون على الاقل ايضا قد حصلت على رجل يشاطرك احزانك ويتألم معك
ويقنعك ان تكون شجاعا ومن الذين يحبوك وهو الذى سيذل تحت اوامركم
احسن تسلية واعز نقطة من دمه لانكم انتم يا ابناء قومي ! انتم هو قيصر الحقيقى المالك
الحقيقى لارض الوطن ! ارادتكم هي الحاكمة واكثرها شرعا من ذلك التاج الارجوانى
الذى يتوسل الى حق الهى ارادتكم يا ابناء قومي هى المنبع الوحيد للقوة اذا كنتم
الآن مطروحين ومقيدين ، فلا تيأسوا ان حقكم الصريح سيكون لكم . ها ان

الخلاص أدنى من قاب قوسين ، اذذاك تنتظر يا قيصر ، الليل الدامى قد تقض !
وهناك ينفلق الفجر الوردى .

ايه يا كوزاد فون روزين يا غي انك على خطأ مبين لعلك تأخذ البلطة الملوثة
بالدم فتحسب وميضها اشعة شمس ان هذا الاحمر من الفجر الذى تراه هو دم بعينه .
لا يا قيصر انها الشمس وان كانت قد اشرقت علينا من الغرب انها قضت ستة آلاف
سنة وهى تشرق من الشرق كغى الوقت جاء ليصير تغييرا

ايه يا كوزاد فون روزين يا أحق لقد اضعت الاجراس من طربوشك الاحمر
وله الآن منظر غريب لذاك طربوشك أحمر

آه يا قيصر إن مصيبتك الدهماء جعلتنى أهز رأسى بشدة وبشراة حتى ان
أجراس المجاذيب وقعت من على طربوشى ولم يكن الطربوش أردأ من حالته هذه .
كوزاد فون روزين يا بجنون ماهذه الضوضاء التى اسمعها خارجا من تكسير وطقطقه
صه ! ان هنا منشارا وفأس نجار وبعد حين ابواب سجنك تنفجر وتبقى
مفتوحة وستكون حراً يا قيصر .

هل أنا هو التيمصر الحقيقى ! آه ، لقد نسيت ، أن المجانين هم الذين اخبرونى بذلك !
أواه ، لاتحسر ياسيدى العزيز ، أن نسيم سجنك الردى جعلك هكذا خائر
العزم ! عندما ترد حقوقك اليك ، ستشعر مرة أخرى بانتعاش وبسريان الدم المملوئى
الجبار فى شرايينك ، وستكون متكبراً كقيصر ، وقاسيا ، ورحيما ، وظالما . وباسم
الوجه وناكر المعروف . كحالة الامراء .

كوزاد فون روزين . يابليلد . إذا أصبحت حراً . ماذا ستعمل عندئذ ؟

سأخطط اجراساً جديدة فى طربوشى .

وكيف اكفى امانتك لى ؟

آه . ياسيدى العزيز . لاتدعنى أموت فى خندق . .

لو أن هين لم يكتب غير القطعة التى مرت امامنا لكفى به فخراً عند الجرمانين . ولو أن
هين عاش الى هذا اليوم ورأى فى عينيه كيف ان قيصر لم يبق له أثر وكيف أن الشعب
أصبح قيصرأ ، وارادته هى الحاكمة ، لقال ، « حاربت وقهرت عدوى الجهل والاستبداد
هما ألدعدائى فلا بأس بى اذا ارتحت الآن

خطرات

في السياسة والتاريخ

- ٢ -

الارستوقراطية

وفد كانت الارستوقراطية في انجلترا سياسية في جوهرها ، وإذا أضفنا إلى ذلك أسباباً أخرى ؛ لم تكن مجرد طائفة منعزلة عن الشعب ، حتى أن الطابع الخاص الذي لا بد منه للتمييز بين الطوائف الاجتماعية قد محى تماماً . ولقد أصبح هذا الاعتبار مسوغاً كما قال أحد الأعضاء الأقدمين في مجلس اللوردات لزميل جديد رقى حديثاً من مجلس العموم إلى اللوردية .

« اعلم أننا جميعاً هنا كالأصدقاء » — وقد يكون ذلك حقاً لا شك فيه من الوجهة الاجتماعية .

ويجدر بنا أن نذكر أن ما وصفه اولو الرأي السديد واصحاب البصيرة أن من أكبر الاصطلاحات الجلية في الشؤون العامة التي اختطتها أية حكومة وهو اصلاح التحول في الترشيح والتعيين في الخدمة المدنية من الرعاية والمحسوبة لمقامات الملوك والاشراف ، الى المنافسة العلنية — قد تم في ظل مجلس وزارة مكون من خمسة عشر عضواً قال عنه المستر غلادستون أنه ليس من المستطاع ان تقوم هيئة اكثر ارستوقراطية في التشكيل منه ، اذ لم يكن من بينها عضو لا ينتمى الى الاشراف الا المستر غلادستون وحده . وقد اتخذ المترجم عن حياته (١) ذلك العمل الجليل مثلاً كيف ان هذا الرجل العظيم قد جمع بقدر لم يتأت لغيره ، بين السليقة الديمقراطية المتأصلة في نفسه البعيدة الغور ، وبين روح الحكم الصالح : اي سليقة المساواة الشعبية والروح العلمية للرجل الاداري المستير .

الملكية والجمهورية .

ولم تلب أية فكرة في كل مجامع الالفاظ المتعلقة بالحكومة نار النشاط والخماسة

(١) وهو الموردمورلي نفسه مؤلف هذه الرسالة

في صدور البشر ، بقدر لفظة الجمهورية المعبود ، اللهم الا لفظة الملكية وفكرتها -
وقد أوجدت فكرتنا الجمهورية وحق الملكية من الانصار من دافعوا عنهما في كثير
من المواطن بنفس الحماسة الملهية والاسلوب العقلي المحكم والبرهان العملي السديد . في
حين انك تجد أن أوجه الخلاف بين النظم المتعددة التي طبعت كلها بطابع الجمهور المشترك
والتباين العميق في الجوهر والأثر والنظام العملي ، كثيرة جهد الكثرة فقد كان كرومويل
حاكما بامر (دكتاتور) اكثر منه رجلا جمهوريا . وكانت البندقية تختلف في نظامها
اختلافا جوهريا عن فلورنسا والجمهورية التي نشأت بعد ان تخلفت مقاطعات سويسرا
من النير النمساوي ، كانت في شكلها واساسها مغايرة للنظام الهولندي بعد التغلب على
اسبانيا (١) وهناك اختلاف بين بين هيكل الجمهورية الفرنسية الاولى والثانية وبين هذه
والجمهورية الثالثة وبين الاثنين الآخرين وولايات أمريكا المتحدة . ولست بحاجة الى
الكلام عن جمهوريات أمريكا الجنوبية حيث تسير الحضارة اللاتينية الكاثوليكية في
سيل متعرج غير مألوف ، وحيث لا تدل الجمهورية كنظام للحكم على اكثر ما نفهمه
من الملكية في بلاد البلقان المضطربة .

ولنتقل الى دعاة الحق المشروع وهو اسم اخترع للتعبير عن
سلالة آل بوربون حينما زالت الجمهورية الاولى والامبراطورية الاولى من عالم
الوجود بمعاهدة فينا سنة ١٨١٥ فاذا كان مدلول فهمنا عن الحكومة المشروعة
هو انها حكومة حازت التملك والسلطة مستندة الى صفة معترف بها مكتسبة من
الوراثة المنتظمة ، او المعاهدات ، او الفتح المعترف بمشروعيتها ، فاي الحكومات
الملكية الآن تتوافر فيها صفات المشروعية اذا قيست بهذه المعايير !!! فوراثة العرش
في انجلترا كما يعلم الكل تستند الى ثورة هي نتيجة احدى تلك الوسائل السياسية التي
ترتفع لدرجة الضرورة ، ولو ان امراء البيان والمفكرين من بيرك الى ماكولى قد
اسبغوا عليها طلاء وافيا من قانون ونظام يعملان باستمرار غير منقطع . وفي إيطاليا
و بلجيكا والسويد والنرويج نرى الملك مكللا بتاج صاغته ايدي الثور

الرأى العام

وحتى كلمة الرأى العام المقدسة — ملكة العالم كما اسموها — لذات معايير عديدة وقد

قال احد الكتاب في الشؤون الدستورية بمن لم تكبت قوة العلم فيهم روح الفكاهة (ولا تخلو السياسة ولا القانون من مواطن عديدة للتفكه) ان رأى البرلمان هو رأى الأمل ورأى القضاة هو رأى اليوم الذى قبله، أى ان القضاة يحكمون حسب سوابق الرأى والحكم وقوانين التفسير والشرح أما البرلمان فيشرع ويقضى بالضرائب وينظم الشؤون الخارجية تلبية لنداء الحركات التى تجرى خارجة . وكذلك مناقشة الفوائد التى تنجم عن أى نظام أو مضاره . فمن ذا الذى يضع حداً فارقاً بين قيمته القانونية والنظرية ، وبين تجربته عملياً ، أو يعمل حساباً لنفسية القائمين على تنفيذه وقيمة الاعتبار التقلدية المتعلقة به ؟ فالقائم على ذلك فى السياسة هو صوت جمهور المنتخبين . وهل هناك أسباب تدعوا الى اعتبار أغلبية الأصوات أو تعددها أقوى من صلاحية هذه القاعدة السياسية عملياً ؟ وهل دلت التجربة على صلاحيتها فعلاً حتى لجأ القوم الى استنباط وسائل أخرى - من استفتاء الشعوب ، لاستفتاء جمهور المنتخبين ، وغير ذلك من الوسائل التى تفرض على الشعب قسراً ، ويقصد بها تشتيت القوى المجتمعة لهيئة نيابة حاكمة ؟

وقد أكد كاتب (١) من خيرة كتاب العصر الحاضر أهمية العنصر الغير العقلى فى السياسة - كالوازع والغريزة ورد الفعل ، ويرى عن عقيدة ان فى السياسة التجريبي (٢) ينحصر غالباً فى تكوين الرأى باستقلال الاستنتاج غير الواعى (٣) والذى لا ينطبق على العقل استقلالاً عن قصد وتعمل ، والحقيقة على الأقل هى أن المشتغلين بالتجارب السياسية يرون من الصعب التكهن بالعوامل الحاسمة

ولست الصحافة بالمعيار الذى نأمن له . اذ الواقع انه فى ثلاثة انتخابات برلمانية عامة منذ ١٨٧٤ كانت النتيجة مفاجأة كبرى لأولئك الذين اتبعوا الرأى الذى اختطته الصحف الاكثر انتشاراً فى اهم مناطق البلاد . فكانت هذه الصحف الكبرى فى واد واغلبية المنتخبين فى واد آخر . ولم يكن اللورد ييكو نسفيلد (٤) ليتوقع الهزيمة الكبرى التى لحقت سنة ١٨٨٠ ، وقد قال « كلارندون » عن « بالمرستون » انه اخطأ فى اعتبار تصفيق الشعب دليلاً على رأى البلاد الحقيقى ، وليس ثمة شئ من الصعوبة بحيث يستعصى على التقدير أو التحقيق . فالرجل الخيالى الذى ينشد الكمال ، يثور أو

١ المستر جراهام ولاس مؤلف كتاب « الطبيعة البشرية فى السياسة »

٢ أمسى لاينصل بقواعد ومقاييس

٣ subconscious

٤ دزرائيل اليهودى أصلاً

يبتس حينما يجد الجماعة تعيره اذنا صماء ، وفي باب التهكم الأدبي يشبهون عدم اكتراث الشعب بكل حديث من الآراء ، بالكلاب تنبح الاغراب ، او الحمار الذي يفضل حملا من التبن على عشر قطع ذهبية . وقد يكون من السهل ان نجد حجة ندافع بها عن هذين الحيوانين الامينين ، وعن الجمهور . ولو رجعت الى الحقيقة لوجدت أن التشبيه غير ذي جدوى . ولو أنه ليس هناك ادنى شك في أن الآراء والاحكام الناضجة الممحصاة والعقول التي صقلها المران القويم ، تقابل دائما بالترحاب . وطبيعى أن مشاغل الحياة القاسية المجعدة ، هي اول العين العادية . بيد ان المزاج الناضج متى كان سديدا المقصد صبورا ، فانه لا محالة متسرب الى الاعماق ، كما أن العملة السليمة من الشوائب ، لا تقدم سوقا . وهناك أشكال عديدة متباعدة من الحكومة النيابية تعد بالعشرات قائمة على مثلها من الحالات الاجتماعية والتاريخ . وليس من يدعي للرأى العام في أحدها أو كلها التقديس أو العصمة . في حين ان السخرية بالرأى العام ماهي الا النزاع مع الحياة البشرية ليس الا ، وكلنا يعرف نقائص الرأى العام ومساوئه في السياسة والخلق السياسى مثل الاقتناع المهلك بالأجوبة السهلة عن أسئلة صعبة معقدة والمصارعة كما يقول « هوبس » الى أن تغلب على العقل اذا كان العقل ضدنا ، والمغالاة الشنيعة في تقدير التافه من الاشياء ، والحللة الشنعاء على شيء اليوم ، ثم رجوع القهقرى لا يقل شناعة في اليوم اللاحق . والمال يبذل جزافا لتأييد معبود الساعة هذا الاسبوع ، ثم اللعنات الشائعات تصب على الجواد الخاسر في الاسبوع التالى . ثم العجلة وجبن الخلق وعيب العمل دون جدوى . بيد انه لو توهم كائن من كان أن هذه النقائص والشرو ولصيقة بالانظمة البرلمانية أو الديموقراطيات ، فقد فاته درس صحائف تاريخ الاستبداد الحزبى والسلطة الشخصية المطلقة والبيروقراطية المركزية وحاشيات الملوك البراقة وأبهة أبلطتهم

ذكرى ميلاد روسو

ويوافق اليوم (١) ذكرى ميلاد روسو منذ قرنين . وقد اقترح في مجلس النواب الفرنسى في الاسبوع الماضى فتح اعتماد من الخزانة العامة للاحتفال به ، فأدلى فريق بحجة أنه من السخف كل السخف تعظيم أب النظريات الهدامة ، بينما فى الوقت نفسه يطلق رجال الشرطة الرصاص ويقتلون عصابات الفوضويين فى ضواحي باريس .

وكان الفريق الآخر يؤكد رأيه وهو أن روسو كان السباق في بيان نظريات العدل الاجتماعي الحديثة، وأن أثره في الآداب الفرنسية والألمانية والروسية خالد لا يبل، بل يتجدد على مر الزمان . فهناك بعض الكتاب في عالم المؤلفات السياسية لا تتجاوز عدد الأصابع عدداً، يجل في التاريخ منزلة الكتب إذ هي بالفعل وثائق ، كمؤلف جروتيوس (أب القانوني الدولي) المعنون « في حقوق الحرب والسلم » (١٦٢٥) و « ثروة الأمم » ، لآدم سميث (١٧٧٦) و « العقد الاجتماعي » ، أحدهذه الكتب بلا جدال ، كما كان كتاب « أنظمة المسيحية » الذي كتب في جنيف قبل عهد روسو بقرنين . إلا أن كالفن المبشر بالبروتستانتية في فرنسا ، لم يكن نظرياً كما كان روسو ، فقد كانت عزيمته الأساس الذي شيد عليه كنيسه . ولقد كانت عزيمته التي لا تقهر ، وقوته التي لا تنزعزع ، عمدته في مكافحة صعاب الساعة . ولو اقتصر الأمر على التعاليم وأوضاع العقيدة الكهنوتية ، لما أصبح هذا الرجل إحدى القوى المسيرة لشئون البشر في تاريخ العالم . ويجب علينا أن نلاحظ بهذه المناسبة ، إن عبادتنا للدول العظمى ، وهي إحدى أهواء زماننا هذا ، لا يمكن أن تعمينا عن التبصر في الحقيقة الأساسية التي تنحصر في أن ثلاث دويلات ليس لها من المطامح والآمال الاستعمارية القليل أو الكثير — هولندا وسويسرا واسكوتلندا — هي التي أنقذت مبدأ الحكم الذاتي الذي آذن بالزوال عند مآظير المذهب البروتستانتي على مسرح العالم . وكانت جنيف الرائدة الأولى لهذه الدويلات الثلاث ، إذ انجبت روسو وكالفن معاً .

عك العقل النافذ هو الحقيقة الرائعة

وقد حمل بيرك Burck حملة شعواء على روسو وعمله بقسوة لا تقل في وحشتها عن تنديده بشارل الثاني في نفس الصحيفة من كتابه . وظهر ارتياحه أذ لم ينل روسو في هذه البلاد ذاك الحب والتقدير اللذين كانا من نصيبه في كافة بلاد القارة الأوروبية ، واستمر برك (كما رآه الشاعر وردسورث) يندد ويحذر ويسخر من كل الانظمة المؤسسة على الحق المعنوي المجرد ، معلناً جلال الانظمة والقوانين التي قدسها كراياهم ومرالهم . وعلى حد قوله ، بدأ يهدم الآراء المستحدثة ، مرسلاتها وإبلا من الاحتقار والسخرية . بيد أن مين Maine وهو أرفع عضو في الهيئة التي تناصر نظرية بيرك في إنجلترا يرى أن روسو مع جهله وقلة فضائله وضعف خلقه ، قد طبع شخصيته على

صحائف من التاريخ لا تبلى . وذلك بقوة خياله المتقدم الحى ، وصادق حبه للانسانية ، مما يحدونا على الدوام ان نغتفر له الكثير من زلاته .

وقد أحسن « بتام » اذ قال إنه اذا أردت أن تكسب البشر الى جانبك فلا بد من أن تحملهم على الاعتقاد أنك تحبهم ، وان خير طريق لحملهم على محبتك أن تحبهم حقيقة وان انشودة قس « سافوى » التى بهرت مشاعر أوروبا وضربت بنغمة جديدة على أوتار الخيال قد انبعثت من نفس العقل والقلب اللذين صاغا القنابل السياسية التى خدمت اغراض روسبيير وفريق من الرجال هم خير منه وأعظم شأنًا . وبذلك هبت عاصفة معركة عالمية جديدة لم تحمل فى جوهرها شررا جديدا ، اذ كانت تدور حول إعادة تعديل فى الانظمة الجديدة للتوافق بين المناسبات الجديدة من الافكار والآراء والانظمة القديمة العهد وأن أسماء هوبس وفلر وسدن وملتون وهارنجتون ، لكافية لان تعيد الى ذاكرياتنا المناقشات حول أصول القانون والحكومة ومبدأ (قانون الطبيعة هو قانون الانسان) وغير ذلك من الآراء السائدة فى أوروبا منذ قرن مضى . وإن مؤرخ الفلسفة السياسية ليرجع بنا الى قرون قبل ذلك . فالتاريخ بتقاليده وعاداته وأساليبه والانظمة المقررة فى جانب ، وقانون الطبيعة وحقوق الانسان فى جانب آخر ، وهذا الشقاق والنزاع لم يمتد الى السياسة لاغير ، بل تغلغل فى الفلسفة والفن والآداب والكنائس والتعليم . فى أوضاع وأشكال لاعداد لها ، لأنه لامرية فى أن الظواهر والمؤتمرات التى تنفذ الى بواطن السياسة ، يسرى نفاذها الى ماحولها

وهذه الظواهر تحمل طابع عصر من أجل عصور التاريخ ، التى هى بمثابة الدعائم التى يرتكز عليها أو النجوم التى بها نهتدى فى تعرفنا تاريخ العالم ودراسته بتعاقب الحقب والدهور

ولد الانسان حراً

تعرفون جملة روسوفى العقد الاجتماعى — تلك الجملة التى تسرى فى الجسم سريان الكهرباء — ولد الانسان حراً بيد أنه فى كل المواطن يرصف فى القيود والغلال . وبينما يفرض الانسان أنه سيد الغير إذ به لا يقل عنهم عبودية . ولا يجب أن نكلف أنفسنا مؤونة تحليل وصف الانسان بأنه ولد حراً فى زماننا هذا الذى قررت فيه الوراثة بين قوانين الوجود الحيوانى . إذ أن هذه الفكرة ترجع إلى زمن أقدم من عصر

روسو وأثرت في عقول وكتابات مفكرين سبقوهم أخرى منه بالاعتبار والتقدير .
والأقرب الى الصواب فيما يتعلق بالاوروبى المتمدين في زماننا الحاضر على الاقل ، أن
نقول إن الانسان ولد وله من العمر ألفان من السنين وهذا هو معنى التاريخ عند
الانسان العادى ، إذا كان عنده من الوقت والصبر ما يحمله على التفكير أبعد من الساعة
التي هو فيها وهنا يجول في خاطرنا أى جدير بالاعتبار ونحن في معرض الكلام عن الحرية ،
وهو ان روسو أكد أن واجب كل انسان هو ان يعاهد نفسه على الاعتقاد في وجود ذات
آلهية قادرة على كل شيء رحيمة بالبشر ، وحياة أخرى حيث الابرار في نعيم والاشرار
في بؤس مقيم . عقيدة تخرج عن دائرة المعتقدات الدينية إلى نطاق عواطف الألفة بين
البشر . بحيث إذا انحرف عنها كان جزاؤه النفي أو الاعداء . وقد فصلت المقصلة رؤوس
أصحاب المبدأ العقلى فعلا سنة ١٧٩٤ طبق مبادئ روسو بالحرف الواحد دون موارد
كما هلك سرفوس وسط النيران التي أضرمها كالفين وطارت رأس سرتوماس مور بأمر
هنرى الثامن

ولا بد من التعقيب على قول روسو المأثور بقول لا يقل عنه جرأة في التعبير ،
بل يفوقه صدقا في القول ، وهو أن الانسان ولد غير متسامح وقد يبدو لنا أن التسامح
عند العقل العام هو آخر الآراء حقاً

حظ البادر والتربة التى بدر فيها

من السهل لدى الناقد البصير في زماننا هذا أن يصوب على كتاب كالعقد الاجتماعى
وابلا من المنطق والنظريات والمقارنات ودروس التاريخ ، كما كان من السهل عند
الدكتور جونسون أن ينتقص من قدر مرتبة جرائى — بيد أن هذه القصيدة ظلت
متعة خالدة وسلوى لقلب المتعب . فقد تناول كتاب روسو بالنقد التحليلي القيم
المستفيض ، أكثر من عالم من جهاذة الفلسفة السياسية والقانونية في زماننا هذا (١)
بيد أن الذى يعيننا أكثر من المنطق أو الجدل الكلامى إنما هو التاريخ - علاقات
الحاضر بالماضى والسوابق المهمة ، والقوى الخارجية ، والحوادث وتسلسل الحوادث
الى نتائجها النهائية ، وما أكثر ما ينبعث سوء التقدير عند السياسى ، كضيق الافق
والخطل في الرأى عند المؤرخ سواء بسواء ، من أهمال الحقيقة المفعممة باصالة الرأى

و نور البصيرة القائلة بان العواطف والظروف التي تسير الراى وتسبقة ابعده غورا واعمق اثرا من آراء البشر نفسها . وما يهمننا الوقوف عليه فيما يختص بعصرنا بل وكل عصر ، ليس هو آراء العصر الخاصة ، بل العناصر المركبة من ذاك الشعور الخلقى والخلق نفسه ، تلك العناصر التي تنمو فيهما الآراء كما في تربتها الملائمة (١) وهذه الكلمات مليئة بالقول الحق وسامى الادراك ، مما هو خليف بكل باحث في تاريخ البشر ان يتدبرها .

ان قوة اى كتاب سياسى راجعة الى انطباقه على الظروف والمناسبات كلما برزت هذه على مسرح الزمن . وفي احدى روايات دزرائيل السياسية يصيح احد اشخاصه قائلا ما أغرب الحوادث فاصغرها اكبر شأننا من اسمى الخيالات واوسعها نطاقا : ومهما بعد هذا القول عن الفلسفة الهادئة ، الا ان في جوفه حقائق ناضجة للنقاد . فالمحصول يتوقف على التربة بقدر ما هو راجع الى البذر . فليست الاهمية كل الاهمية في قوة الدليل المعنوى والاستنتاج ، بل في الحقيقة الراهنة (ونصفها وليد الصدقة) وهى ان هذا الدليل يمدنا باسلحة مقنعة هي مثال الاعجاب وقوة التأثير وهى تستخدم للهجوم او الدفاع المتواصل أو تعطينا طائفة من القواعد والسنن تتطلبها حاجة الساعة او الهدى الذى يملى هذه الحاجة . وقد شبهت الكتب والآراء والمعتقدات بالزهور فى الحديقة فليس خير الادلة وأقواها هو الذى يسود دائما ويتغلب . فان البستانى الذى يلهم الصواب فى اختيار فصل الزرع هو الذى يفوز بالجائزة . وما اكثر الوقت الذى يصرفه الكتاب (حتى خيارهم) فى سك عملة لن يكون نصيبها التداول . وفى سيرنا من القبة الفخمة التى تحوى الكتب المطبوعة فى دار المتحف البريطانى الى آثار الموتى فى قسم آخر ، تتناوب الفكرة احيانا : وهو ان ليس هناك كبير فرق بين الكتب التى هزت العالم وقتا ما ، وبين جثث ملوك مصر المحنطة .

العادة هى التى تغلب فى آخر الامر

فلم ينل اى كتاب حظ الانتشار والنفوذ السريع مثل كتاب شاتوبريان «روح المسيحية» (١٨٠٢) فحتى هؤلاء الذين يرحبون باثره يعدونه من سقط المتاع اذا قيس بمعيار قوة الجدل والمناقشة . وقد اسر صديق للؤلف ان وصفا مزوقا من

رحلاته الواسعة وعبارة خلابة وفكرة مصقولة ، تجذب اليه قراء اكثر عددا ،
نما لوحوى كتابه كل علوم البندكتيين . فاستمع لنصحه ، واذا بالمعلومات التاريخية في
كتابه ليست اكثر قيمة من الطلاب الخارجى .

وأن الفرنسيين الذين يفكرون جديا فى روح المسيحية يجدون بغيتهم فى بعض
مواضع «بوسوية» وبعض صفحات من بسكال وسان أوغسطين أكثر من كل ماخطه يراع
شاثوبريان وعبقريته . بيد انه حدث أن عقد بونابرت اتفاقيته (كونكوردا) مع البابا
يوس العاشر ولعب دوره بأبهة وفخامة فى كنيسة نوتردام معلنا ارتباط الدين بالدولة
وعقد صلح ايمان مع انجلترا . وكانت كل هذه العوامل بشائر صفو فى سماء السياسة
الملبدة بالعواصف والغيوم وبسم الزمان لمصائر الناس المعتمة . ولم يكن كتاب اسعد
امنه حظا أو أكثر توفيقا ساعة تأليفه . غير أنه لم يستطع أن يعمر أو يمتد نفوذه طويلا .
وكما هي الحال فى الكتب ، كذلك شأن المبادئ ، فيقتطف الناس افراد وجماعات من القواعد
والمبادئ وما يترتب عليها من النتائج البسيطة بقدر الحاجة وبقدر ما يلزم لاغراضهم .
وأن الحدود الممكنة للاستنتاج المنطقى لتتسع أو تضيق أو تنبذ ظهريا بقدر ماتمليه
الضرورة الماسة . وخير المقدمات والنتائج المنطقية لتكتسح أمام الابواق المعلنة لدعاوى
الامن العام والنظام الاجتماعى وغيرها من الاسماء المستملحة لحكم الارهاب

الوثائق الثلاث الهامة فى التاريخ

وقد ميز قاض أمريكى الوثائق الثلاث الهامة فى تاريخ البشرية وهى الوصايا العشر
والموعظة على الجبل وعلان استقلال أمريكا .

وربما لم يكن قصد القائل تقرير حقيقة بقدر ايراد عبارة مأثورة . إلا أن جبل
طورسيناء وجبل الجليل وميدان دار الدولة فى فيلا دلفيا على كل حال مراكز بارزة
فى سير الانسانية . وبما يجب ادراكه الضياء الذى صحب انبثاق الكلمات المفعمة بالآمال
والآراء البراقة والمواظ الحارة وقوانين الاصلاح على طوائف انهكتها المظالم غارقة
فى لحج الهموم والنخاوف ألهبتها عواطف الهوى الدينى والجنسى والحرية وآمال التملك .
وهذه هى الميادين الخالدة لصراع البشر . وليس هناك أسهل من تبيان المغالطات فى
إعلان حرية أمريكا . وقصارى القول كما قرر مؤرخ أمريكى بحق ، هو أن هذا الاعلان
كان منبعثا عن الروح الصادقة للبلاد فى ذاك الوقت . إلا أن السليقة السياسية السليمة .

أوجت الى توماس بين Thomas Paine رسالة هي أبعد الرسائل السياسية أثراً واسماها، الحس العادى، وجهها الى مواطنيه الانجليز، من طراز مستعمري أمريكا فكانت قذيفة قوية سلطت على سيرا الأراء الثورية

وحى الساعة

إن الخلاف على خير أساليب الحكم وميزان الانظمة فى الدولة، حتى حول الحقوق الطبيعية، مسائل قديمة نسيا. ومن طبيعة الانسان ميله الى استيحاء هذه المبادئ المنقذة حسب ما تتطلبه الساعة والقضايا. الخلقية تشتعل ويضطرم أوارها كما لو كان ذلك الامر صدقة فتلهب عواطف الجماعة، وقد انقضى سبع وثمانين سنة قبلما أمكن رئيس مشرب بمبادئه أسمى من مبادئه « جفرسن » من حمل مواطنيه على اعتناق عقيدته: وهى إن لم تكن سياسة الاسترقاق خاطئة، فليس على وجه الارض شىء خاطئ، ولذا فليست الكتب النظرية هي التي تروج فى الازمنة العصبية على جانبي المحيط الاطلسي. ومن ذا الذى يهتم الآن بنقد كلمات خطاب جتسبرج الشهير عن امة ولدت فى مهد الحرية وكرست نفسها لفكرة ان كل البشر خلقوا متساوين. بيد ان أقدر الاقلام وافصح الالسن كما قال « بيرك » لم يتناول بيانها السياسة النظرية ولم توجه أقوى النفوس جهودها وعملت وجاهدت وعانت ما عانت، بل انها لم تجد جولاتها الصادقة الا فى مسألة الضرائب دون غيرها. وقد بذلوا الجهد الجهد لوضع المبدأ الآتى كقاعدة اساسية. وهو انه فى كل الحكومات الملكية يجب ان يملك الشعب، بالوساطة أو مباشرة، حق التصرف فى أمواله، والا لم يبق للحرية من ظل أو أثر (١) وليس لذلك معنى ان الضرائب والرسوم هي كل شىء، وان يحصل الضرائب شر اعدائنا وان أقوى مثال لذلك هو بيرك نفسه. فبعد كتاباته الباهرة عن النزاع مع المستعمرات الامريكى (وهى اعظم ما كتب فى الحكمة السياسية فى آدابنا) عصفت العاصفة التى ساعد انتصار المستعمرات على هيو بهابنف وشدة، على فرنسا الملكية. وقد تنبأ بذلك بيرك بحس صادق وحس لم يخطئ، ووصف باسباب الدمار الذى سوف يحل بالبلاذ وأصبح موضع نجوى مهاجرى الاشراف من الفرنسيين الذى هبطوا على نهر الرين، ومهبط وحى كتاب الرسائل الجدلية السياسية « كجنتر » الذى خدم « مترنيخ » أو قاده فى مؤتمر فينا. وما ألهب كتابات بيرك فى افكاره — والصلح القائل للبلوك — لم تكن الضرائب

المحففة ، بل انقلاب التقاليد التاريخية العليا المألوفة . وقد وجدت كل قوى أوروبا الرجعية اللسان الذى يعبر عنها . فى حين انه فى البحث عن السبب والنتيجة ، يجب ان لا نخلط بين الصوت والقوة الناتجة عنه ، فوصف « لامارتين » للجيروندان ، قيل سنة ١٨٤٨ ، ووصف « تيارس » لحالة الامبراطورية الاولى قبيل انشاء الثانية ، وتصوير مسز «ستو» للرقيق وحالة الارقاء ، عامة هذه كتب مزجت الاسلوب والطريقة العقلية بالعاطفة والهوى ، وقلبت العاطفة الملهبة الى صراخ وضجيج . فى حين ان كلا منها كان لها أثرها العملى .

بقاء الاصلح

ان من السهولة بمكان لدى أقل النقاد السياسيين تعمقا فى البحث ، ان يدرك من حالة العالم كما هى الآن كيف انه من السهل (لابل من المحتم) ان تتولد نتائج سياسية هائلة من كتب وابحاث يظهر أن لاعلاقة البتة بينها وبين السياسة . ومن ذا الذى يستطيع قياس أثر « داروين » وكل ما كتب عن مذهب بقاء الاصلح فى سياسة العصر . وليس ذلك فى السياسة العملية وحدها بل اثرها الحاسم فى توجيه آراء مدارس التاريخ النشيطة ذات النفوذ العظيم . وليست خاطرة عارضة هى التى تجمع بين « داروين » ونفوذ بسمارك كعاملين توأمين فى تغيير مزاج الجماعات من القرن التاسع عشر للقرن العشرين . ولا يجب أن يغيب عن بالنا ان هذا التحول العارض على مسرح الدول والحكومات من عصر فضى إلى عصر برونزى ، قد اقترن بانتشار شعور انسانى أعمق وأبعد أثرا نحو الاطفال والحيوان والمصابين بأمراض قاسية والمسجونين والعبيد الذين يرصفون فى اغلال الرق فى مجاهل أفريقية . وكل من هو بحاجة إلى الشفقة والتجدة والمساعدة يحفزها إلى العمل شعور قلب الانسانية المشترك . ولم يقتصر الامر على الدم والحديد . ولم تقف قسوة المنطق السياسى أو الاجتماعى وشدة وطأتها دون حد أو تحفظ . فما أعقد العروة الوثقى وأخفاها وأدقها ، تلك التى تربط أفكار البشر ومشاعرهم خفية وسرا

الحاكم صدفة سعيدة

و كما هو الحال فى الكتب كذلك شأن مشاهير الممثلين على المسرح التاريخى . ولما رجع فكتور هو جو من منفاه منذ أربعين سنة ونيف مضت ، لم يتالك بعض ذوى المقدرة والادراك الذين لم يعجبوا كثيرا بالرجل ولا بفنه ، من الشعور والاعتراف

بأن الرجل الذى تحوطه هالة من حماسة ثلاثة أجيال، لابد من أن تكون توافرت فيه صفات جديرة بالتكريم والسمو، وإن ذلك الرجل الذى يعرف كيف يوقظ فى البشر اسمى المشاعر ويحرك فيها أنبل الدوافع، مهما كانت صفاته الأخرى، لجدير بنا أن نكرمه. فهو الموقد الذى فيه تضرع نار الحمية فى روح الشعب وتظل حية متقدة، وإن امتزاج هذه المصالح السامية لجدير بعناية الناقد أكثر من محتويات كتابه. فقصار هو جو راجع إلى مافيه من السياسى بقدر مافيه من الشاعر. وهذا سر شهرته الواسعة التى لا تقارن إلا بفولتير. ففى كلتا الحالتين كان القلم سيفاً

ما يرمز إليه البطل

وقد قيل لأحد كبار الساسة الانجليزى وقتنا الحاضر لقد كانت حياتك وأعمالك متجهة إلى بقاء روح البلاد حية. وهذا يعدل كل شىء آخر فى السياسى. وإذا طرحنا الشخصية جانباً أو أقللنا من أهميتها أصبح تاريخ التقدم الاجتماعى شيئاً أجوفاً لا معنى له. ولقد نتجت عبقرية أوجست كونت قائمة من أسماء أبطال العالم والمحسنين إلى الإنسانية أملت بها الروح العقلية والتى قال فيها أشهر معارضى نظام كونت البنائى أن ليس هناك مفكر أو سمع إدراكاً وأشمل عطفاً وتقدير أو تبجيلاً لكل ضرب من ضروب الخدمات التى اسديت للبشرية (١) وإن سجلاً للعظماء لا يحوى أسماء لوثر ولا كالفن ولا نابليون، لدعاة للتساؤل وطلب الايضاح. بيد أن تقديره الخاص كان مبنيًا على الخدمات الحقيقية الإيجابية التى أسداها أبطاله لصالح المجتمع الإنسانى.

وهناك صلة منشؤها العمل والمكان تربط أبطالاً بعضهم ببعض. وهذا يخالف كل المخالفة عبادة الأبطال ذوى الأعمال الرنانة. ويختلف من جهة أخرى عن التعلق باسم معلم من معلمى الإنسانية أو الموحين إليها الذى هو من أجل الصفات جمعاء فى خلق البشر. فاختر أبطالك كما تشاء فى أى ميدان من ميادين الفكر. أو العمل سواء أكان من بين خمسمائة أو خمسة فقط. فأول سؤال، أو بمعنى آخر آخر سؤال، يحدد هذا الاختيار، هو ما يرمز إليه بطلك.

وفى الواقع ليس هناك ما يعود بالضرر القاتل كتحويل التاريخ إلى عبادة تشبه عبادة الأصنام. فعبادة الأبطال التى روجتها عبقرية كارليل الشاردة الشاذة بين جيلنا الحاضر بسهولة تخطت حدود المعقول فى التاريخ والسياسة، لتفسد على المرء

١ وهذه القائمة منسقة تنسيقاً بديعاً فى كتاب فردريك هاريسون - السجل الجديد لعظماء الرجال - تاريخ حياة ٥٥٨ عظماء فى كل عصر وأمة وفق مبادئ المذهب الإيجابى

دائرة تصور . بيد أنه لا مرأى في أن وحدة الآراء والمصالح عند الرجل العظيم ذى الرأى السامى ، القادر على عظام الأعمال ، لما يؤثر فى تصورنا تأثيراً يقرب من اقتنائنا بتناسق وجمال أعظم مبتكرات الفن الخلافة — من القطع التمثيلية الخالدة إلى الملاحم الفخمة وقطع الموسيقى ! لجامعة لمختلف الأصوات والأنغام (السيمفونى) وبدائع النقش ، على أن معايير الفن أدلاء غير صالحين فى اختيار أبطال السياسة . وقد قال أحد العارفين عن نابوليون أنه كان كله خيال فى خيال . فقد خلق إسبانيا خيالية وانجلترا خيالية وكثلكة خيالية ونظام مالى خيالى وفرنسا خيالية . وعقبه كارليل الذى خلق نابوليون خيالى كى نعبده عبادة الأبطال .

التحول بالصدقة فى التاريخ

يجدر بنا أن نذكر أن قانون التحول بالصدقة ، الذى يجد التفكير فيه تفسيراً لتولد أنواع جديدة ، قد يصدق خارج دائرة علم الحياة . فالرجل المبرز فى اليوم العصيب يظهر كأنه آخر حلقة فى سلسلة المصادفات ، بكل ما فيه من مهارة ومواهب وعبقرية وإرادة وبصيرة قادرة على خلق الطوارئ والسيطرة عليها أو إحداث الانقلابات فى نظم الحياة وسائلها . وقد قال اسكندر الأول امبراطور روسيا لمدام «دى ستايل» فى آخر الأمر « ما أنا إلا صدقة سعيدة ، والتاريخ الحربى حافل بمئات الحالات الدالة على التحول العجيب فى الحظ والفرص والرياح والأجواء بما لم يتوقع حدوثه أو كان من المحال توقعه . وقد كان أكبر القواد أول المؤمنين بالخط الأعمى الذى يسيطر على لعبتهم الهائلة ، والأخطار التى تنتاب الرجال حين يلعبون بقطع النرد الحديدية فى لعبة الحرب القاتلة . فسواء أكان عظماء الرجال أول الحلقات فى سلسلة المصادفات أم آخرها — ساسة كانوا أو قادة حروب أو مفكرين أو مخترعين — فالمحرك المسير يظهر كأنه وليد الصدقة البحتة ، كالنجم المذنب أو الشهاب . لا كالنجم الثابت — وهذه الصدقة ناشئة عن اقتران شخصية خاصة بالفرصة الملائمة .

وإذا كان لآى انسان أن ينفر من فكرة أن مجرى التاريخ مما يمكن تحويله بصدقة من مصادفات الزمن ، فيجدر بنا أن نذكر أن رجال الكنيسة المتمسكين بمبادئهم ومفكرى الساسة ، ما فتؤا يسهبون فى بيان الخفاء الذى لا يمكن أن نشق حجابيه ، والذى يحيط

بأصل الجماعات البشرية وسيرها وعملها والانظمة الحاكمة عند الانسان . وحينما قال
 قيصر روسيا عن نفسه أنه صدقة بحتة ، لم يعن بذلك أكثر من أنه شيء خفي وقوة لا
 سبيل الى تفهم منبعها . وكيف لنا أن نهت ويستولى العجب على مشاعرنا عند التفكير
 في الصدقة وأثرها في شئون الحكم أكثر من الدهشة من ظهور جبابرة العبقريّة في عالم
 الموسيقى كباخ وبيتهوفن ، أو تألق العقول النيرة في ميدان الفن أو العلم أو الابتكار
 كنيوتن وواط وغيرهم

المنهج التاريخي

وقد قيل بحق عن المنهج التاريخي في البحث أن من بين آثاره الواسعة الرجوع
 بعنصر المصادقة الفردية الى حجمه الصحيح وأهميته الحقّة ، فهو يعتبر الخلق القومي
 والظروف القومية كالقوى الخالقة بما يجب اعتبارها كذلك حقاً وعدلاً . ويقول أحد رجال
 القانون متهمًا إنه خيرا للانسان أن تثبت عليه تهمة سرقة شيء تافه ، من أن
 تنقصه طريقة التفكير على المنهج التاريخي

إن المنهج التاريخي سائد في ميدان البحث والحكم على المسائل الاجتماعية . وهو يحذرنا
 اتنا لا يمكننا أن نفسر العوامل والظروف التي تتناولها جميعاً بالبحث دون الرجوع
 الى منشأها واعتبار الوجهة البيولوجية فيها ويستعيز عن الآراء الجامدة المشتقة من
 المعنويات البحتة بالبحث عن شيئين : أولهما إيجاد العلاقة بين الحقائق الهامة والآراء الاجتماعية
 التي تسود في طائفة أو جماعة معينة في وقت معين : وثانيهما تطور نظام عن نظام آخر
 في المعتقدات العامة والاذواق والعادات وانتشار الثروة وسريان القوانين بين الجماعات
 وكل فنون الحياة . وما هذا القول الا توسطاً في الحقيقة المعروفة وهي أن القوانين
 والانظمة ليست وليدة الصنع ، بل نتيجة النمو ، وما يسرى عليها بحق ينطبق كذلك على
 الآراء واللغة والعادات التي هي منبعها ومحكمها . ومن السهل أن نسوق القول بان
 سيادة المنهج التاريخي لها مضارها فدراسة المعتقدات والانظمة والقوانين
 وأساليب الفن والمراحل المتعاقبة التي تمر فيها ، تنمو وسرعان ما تصبح
 بديلاً عن النقد المباشر الموجه لها حسب طبيعتها وميزاتها والبحث عن حقيقة حادثة
 من الحوادث التاريخية وأهميتها وتفسيرها ، ولوانه يجب أن يعتبر أمر أحيوي لا غنى عنه
 يصبح شيئاً ثانوياً بالنسبة للبحث عن كيفية وقوعها . ولذلك فهناك أكثر من مدرسة واحدة

تعتبر المنهج التاريخي مغالى فيه . يقولون بحق ان في هذه الطريقة في جوهرها تؤول الى رفض كل ما هو مجرد واحلال كل ما هو نسبي بتواصل واستمرار . وهذه الطريقة لا تنطبق على قواعد الخلق ، شأن كل أداة علمية وشأن الطبيعة نفسها على حد معنى من المعاني فهي دامية السن والمخلب ، لا تعنى الا ببقاء الأقوى وليس التاريخ المقارن بأسمى ضمير آمن التشريح المقارن . فنحن نرتب المثل العليا في جداول حسب نوعها وطبيعتها يبدأها في هذه العملية تفقد النور الحيوى الذى تنبعث منه والهالة المقدسة التى تحيط بها . وحتى كبار الرجال تسفر التجربة عن انهم خيالون في ميدان السياسة . كهؤلاء الذين يسرون في نومهم ، وان الأقوال التى تساق جزافا كحقائق السياسة الخالدة ، وأولى الحكم وما إليها ، لا أقوال جوفاء لا معنى لها . وقصارى القول أن التاريخ تحول دائم وصيرورة متواصلة وتعاقب لانهاية له في الفعل ورد الفعل والاحياء والتدمير والتجديد أو كما قال شكسبير . قصة صخب وغضب لا طائل تحتها ، وكما قال هيرقليطس في قديم الزمان - كل شيء في تحول ولا يسبح انسان مرتين في مجرى واحد . فالمياه في تجدد وجريان دائم ، على أن القول بأن التجارب والاختبارات النسبية مفاتيح معرفة التاريخ معرفة حقيقة وتقدير الممثلين على مسرحه تقدير أصائبا ، لأحدى المعتقدات التى ليس من المحتمل أن تفقد قوتها ومبلغ تأثيرها .

السياسة كعلم

وليست هذه فرصة البحث . بل تتساءل هل هناك علم للسياسة ؟ فقد كفاني السير بولوك في كتابه البديع « تاريخ علم السياسة » مؤونة البحث في ذلك وهل هناك اتصال حقيقى بين الجسم السياسى وبين الجسم الطبيعى ؟ وهل سيحدث تقريبا ما بين الطرق والعمليات السياسية وبين الطرق والنهج في علم الحياة ؟ فقد يستخدم السياسى عبارات البيولوجى ويتكلم في الأجنة والحرائيم والأجسام الحية ، في حين أن الحق كل الحق في جانب هؤلاء الذين يؤكدون أننا لم نصل إلى ما يقرب من التكوين الصحيح لعلم للسياسة مبنى على القواعد الاستقرائية . وليس ذلك بسبب يمنع السياسى من الاستنتاج الصحيح وفق الاسلوب العقلى أو يمنع المؤرخ من البحث وارتداد مناطق العلم المجهول بالهمة المنظمة وسلامة الضمير والصراحة والحرص على الحقيقة ، تلك الصفات التى كانت رائد داروين وابطال العلوم الطبيعية وأن العلوم السياسية لينتاهما نفس الضعف الذى إذا أصيب به علم الاقتصاد السياسى في مستهل القرن التاسع عشر . إذ كان الجو الخاص بها قد استشف استشفافا غريبا . والرجل السياسى النظرى تلبسه نفس الصفة المصطنعة كالتى تحيط بالانسان النظرى كما يتصوره الاقتصادى . وقد تصور المفكرون الفرنسيون في أيام فولتير وجود هذا الانسان

في الصين أو الفرس أو أية بلد من البلاد المختارة التي لم يدروا عنها شيئاً في الواقع أكثر من درايتهم بكندها حين وصفوا الحرب بين إنجلترا وفرنسا بالسخف والسخرية كنزاع على آلاف من الاميال المربعة من الثلوج الدائمة. وقد زادت معارفنا الآن. غير أن معايير الدافع الانساني مازالت تطبق بطريق التعسف على كل ما هو مستبعد في الزمان والمكان فالقيمة الاخلاقية ليس لها من الاعتبار أكثر من ضروب الزينة وما زالت شئون الانسان محصورة في وصف الآلة السياسية وسيرها دون اعتبار كافة أنواع الوقود الاجتماعية الذي تتوقف عليه قوة السير والدفع والتغير في نمو الافكار الجديدة وفعال النظم السياسية وقوتها في التعبير عن الآراء الحديثة. كل ذلك يعتبر أمراً ثانوياً أو يهمل شأنه كلية. فطرق البحث التي اختطها الاستاذ ديسي في كتابه عن العلاقة بين القانون والرأي في القرن الثامن عشر، تستحق أن نحدوحدوها. اذ أن ذلك من المحتوم. ومتى تصورنا العلم بهذا الشكل تحقق لنا أن قيمة الاوضاع السياسية يجب أن تقاس بما تأتي به لنا، اذ يجب أن تعبر عن أغراض ودولة، ايا كانت وتلائم فكرتها الحية وذلك بأوسع المعاني، وآمل أن ليس في ذلك ما يعجز جحدوا لفضل طائفة من الكتاب في هذا البلد ممن تملأ مؤلفاتهم خيراً قيمياً في أية مكتبة في هذا الميدان الهام. ومن بينهم جرين وبولوك وداسي وهو بهاوس وبوز انكويت وولس. ولا يحسن أحد أن التفسير والبحث في الدولة ومشعب علاقتها بالفرد ليسا بالشئ المادي أو بما لا طائل تحته فمن المعتبر أن محاولات فريق من قادة الرأي الفرنسيين في تصوير وتقديم نظريات الالمان الخاصة بالدولة في لباس فرنسي، هي السبب المباشر في نشأة السنديكالزم، (١) وانتشارها في فرنسا.

السياسة والقانون

والسياسة بالمعنى الذي صورتها فيه تختلف عن القانون في أن الأخير يميل الى وضع الافكار في قالب خاص وروضها على التقيد بأوضاع محدودة. بينما علم السياسة متى تناولناه وفق المنهج الصحيح دائب على تغيير شكل هذه الاوضاع وتوسيع مداها وخص السبل التي بها تلائم هذه الاوضاع الحقائق الجارية بيننا. ولذا فهو أوسع من القانون مدى، اذ يمكننا القول بأن عمله يبدأ حيث ينتهي القانون وهو بدوره أضيق في اتساعه عن علم الاجتماع اذ يبدأ بافتراض وجود الدولة بكل ما يتبعها من حقوق وسلطات وواجبات.

يتبع

باطيل الرديان

وهي الصفحات الاولى من كتاب « توماس باين » :

الموسوم بـ « عصر العقل » . قال :

أؤمن بمساواة الانسان . واعتقد بان الدين الحقيقى هو ما كانت فرائضه
منحصرة فى اتباع العدل ، وتعشق الرحمة ، والعمل فى سبيل اسعاد رفاقنا
الانسانية .

ولئلا يكون من ظن أحد بان ايمانى وعقيدتى تتعديان الى اشياء عديدة غير الذى
ذكرته ، فانى سأجعل هذا البحث اعلانا لرفض ما لا تقره لى هذه العقيدة وبياناً
لأسباب هذا الرفض ، وهى عندى وجيهة :

فانا لا أعتقد بالطقوس التى تعترف بها الكنيسة اليهودية (١) أو الكنيسة
الرومانية الكاثوليكية أو اليونانية الارثوذكسية أو الاسلامية أو البروتستانتية أو
أى كنيسة اتانى خبرها . انما فكرى وحده كنيسة التى آمن بها . بل ان كل المؤسسات
الدينية من يهودية أو مسيحية أو اسلامية أو غير كل هذه لا تظهر لى أكثر من
اختراعات بشرية اختلقت لارهاب الانسانية واستعبادها ، ولا حتمكار
القوة والارباح .

وليس من قصدى بهذا الاعلان ان ادعى ان الحقيقة المطلقة هى ما اعتقده ،
ولا أريد التحكم بمن يذهب غير مذهبي ، فان لكل انسان حقه فى التفكير
كما ان لى حق . ولكن وجوب سعادة الانسان يقضى على الانسان
بان يكون أميناً لتفكيره ، وصادقا فى التعبير عن هواجس نفسه ومكونات
ضميره . فان الاتحاد ليس فى اعتقاده بهذا أو فى عدم اعتقاده

(١) يقصد المؤلف بهذا التعبير مجموعة الرسوم والطقوس والعقائد المبنية عليها الجمعية اليهودية وكذلك

سمى الاسلام بالكنيسة الاسلامية

بذلك ، بل هو في تعمل الاعتقاد بما لا يعتقد في الحقيقة والواقع
 ويستحيل علينا تقدير الضرر الاخلاقي الهائل الذي يولده النفاق في التفكير والاعتقاد
 فالانسان الذي يفسد طهارة تفكيره ويعهد فيه لدرجة ارهاق معتقده في سبيل اشياء
 لا يصدق بصحتها ، يكون حينئذ قد اعد نفسه لقبول اقتراف كل جريمة اخرى .
 وهو حينئذ لا يأنف من ان يتخذ الكهانة تجارة رابحة ، ولا يأنف في سبيل تقوية
 بنيان تجارتها الدينية هذه من الخوض في كل رذيلة . وهل اعطى للاخلاق من هذا ؟
 لقد كان الاتصال الفاسق بين الدولة والكنيسة - من موسوية او مسيحية او محمدية
 الصبغة - قد منع بكل ماله من قدرة وقوة : بانواع العذابات والعقوبات ، اى بحث
 يتناول مذاهبه المؤسسة ومبادئه الاولى ، حتى بات من اليقين في شيء كثير ان تلك
 المواضيع لا تشرح بعدل ووضوح امام الناس ، الا بتغير نظام الدولة الحاكمة ، وحتى
 بات من اليقين في شيء كثير ايضا ان حدوث مثل هذا التغير اقل ما ينتج ثورة
 في انظمة الدين واعتقادات البشر التي تصطبغ بلون القداسة والتأله

إن كل دين قد ثبت دعواه بزعم رسالة خاصة من عند الله الذي اصطفى لها أشخاصا
 معينين فاليهود لهم موساهم والنصارى لهم يسوعهم المسيح ورسولهم وقديسهم والاسلام
 لهم محمدهم كأن السبيل الى الله لم يكن مفتوحا لكل انسان بالسواء بل حتى في الاعتبار
 لالهية والسموية يوجد رفيع ووضع كبير وصغير غنى وفقير مصطفى وغير مصطفى
 وأخيراً جنة وجهنم

وكل من تلك الاديان تريك كتبها التي يسمونها « تنزيلا » ووحيا وطلبه الله -
 فاليهود يقولون إن كلمة الله تختص بهم وحدهم وقد أعطاها الله لموسى وجهها لوجه
 والمسيحيون يقولون بأن كلمة الله ملكهم دون غيرهم أنهم وحيا وتنزيلا
 والمسلمون يقولون بان كلمة الله عندهم وليست عند سواهم ، وقد جلبها لهم ملك
 سماوى من عند الله . وكل من تلك الاديان تتهم الاخرى بالكفر والخروج
 وتكرها . وانا من جهتي انكرها جميعا !

قد قص احد الناس بعض الاخبار وذهب الى أنه استوحاها من السماء . ولربما

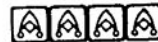
وجد نفسه مجبراً على تصديق وحيه ، ولكن ليس فرضاً على انا ان اصدق ، لان وحيه لم يكن وحيّاً الى . وليس لدى برهان على صدق وحيه سوى ادعائه ان كلامه حق وحقيقة . فموسى حين قال لبني اسرائيل انه استلم لوحى الوصايا العشر من يدى الله لم يكونوا مجبرين على تصديقه والايمان بما ادعاه ؛ لان الشاهد الوحيد على صدق قوله هو قوله فقط . واما انا فليس لى مصدر يثبت لى صحة كل ذلك الادعاء والاستيحاء والقول سوى مؤرخ أو قصاص اخبرنى ذلك الخبر الذى لم يصدقه الخبر . أما الوصايا نفسها فهى لاتحمل طيها أى دليل ضمنى يشير الى ألوهيتها وجل ما تنطوى عليه هو بعض القواعد الاخلاقية المشكورة التى يسع أى انسان خص بموهبة الشارع ، ان يعطى مثلها واحسن منها ، من دون ان يدعى فى ذلك الاتصال الالهى (١)

وكذلك حين يقال لى ان القرآن كتب فى السماء وجلبه ملك من الخلد لمحمد تكون هذه القصة كالأولى ليس فيها شاهد قيم سوى ادعاء ذلك . ولكننى لم ار الملك بنفسى فلذلك لى الحق بان لا اصدق ما يقال لى

وهذا هو الحال نفسه حين يخبرونى بان سيدة واسمها مريم قالت ، أو شهرت ، بانها حبلى من دون جماع مع رجل ، وحين يخبرونى بان زوجها الموصول بها قريباً . زعم بان أحد الملائكة اكد له ذلك فى الحق الطبيعى بان اصدقهما أولاً اصدقهما . ومثل هذه الحادثة الغريبة تحتاج الى دليل أقوى من دليل القول المبني على القول . وانا لن اصدق مثل هذه الادلة

طرابلس الشام :

سليم خياطة



١ ولكن من الضرورى ان نستثنى من هذا الحكم الوصية الاولى من وصايا موسى التى تقول : « انا الرب الهك إله غيور افتقد ذنوب الاباء فى الانشاء » لان هذه الآية بر بديهة اللهجة مخالفة لكل رحمة واسكل عدل اخلاق ...

مشروع اتفاق

بين مصر وإنجلترا

المسألة المصرية بين الوطنية والسياسة

تتلخص المسألة المصرية في مسألة أساسية تنفرع إلى مسألتين . أما المسألة الأساسية فتحق مصر في الاستقلال التام والتمتع بكل ما تنص عليه الحقوق والاتفاقات الدولية التي قررتها الحوادث الاجتماعية منذ بداية القرن التاسع عشر إلى الآن . أما المسألتان الفرعيتان فاعتباريتان . المسألة الأولى اعتبار قضية مصر قضية وطنية صرفة . وهنا نقرر أن بقاء عسكري بريطاني واحد على أرض مصر ، سواء أخذ وجوده صبغة الاحتلال ، أم صبغة المحافظة على مصالح بريطانيا العظمى ، انتقاص من سيادتنا القومية . والمسألة الثانية اعتبار قضية مصر قضية سياسية تاريخية . وهنا نقرر أن الاتفاق الأخير الذي وصل إليه صاحب الدولة محمد محمود باشا على وزارة العمال أفضل اتفاق يحفظ مصالح الطرفين المتخاصمين من ناحية سياسية ، وإن كان لا يخلو من نصوص تنقص سيادتنا القومية بعض الشيء . فالاتفاق أكثر من استقلال داخلي وأقل من استقلال تام . وعلى كل حال ففي المشروع إذا قبل من الطرفين متسع للتعديل بما يضمن لمصر عصرا طويلا من السلام والتفرغ للإصلاح الداخلي . وهنا ننشر نص المشروع لنعود إليه بكلمة مفصلة في عدد آخر

نصوص مشروع الاتفاق

كتاب من سعادة وزير الخارجية البريطانية

لحضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء

وزارة الخارجية في ٣ أغسطس سنة ١٩٢٩

حضرة صاحب الدولة

إن الاقتراحات المرفقة بهذا والمذكرات الأيضاحية التي سيتم تبادلها بشأن

التفاصيل التي ستعرضونها دولتكم على البرلمان المصرى هى أقصى ما أستطيع أن أشير على حكومة جلالتة ببريطانيا العظمى المتحدة وشمالى أرنلدا أن تذهب اليه فى رغبته فى انجاز تسوية دائمة وشريفة للسائل المعلقة بين بريطانيا العظمى ومصر . وان من أقصى أمانى حكومة جلالتة أن يفحص المصريون المخلصون لوطنهم — بغير تمييز بين أحزابهم — هذه الاقتراحات بروح الصداقة والمسالملة اللتين امتازت بهما محادثتنا الاخيرة فيجدوا فيها أساساً مرضياً للعلاقات المستقبلية بين دولتنا . فاذا كان هذا حكم البرلمان المصرى الجديد فان حكومة جلالتة ستقوم من جانبها فى الحال بعرض الاقتراحات على البرلمان بقصد ابرام معاهدة شاملة لها والتصديق عليها

ولى الشرف أن اكون مع اسمى الاحترام خادم دولتكم المطيع
(الامضاء) آرثر هندرسون

المذكرة المصرية

المفوضية المصرية بلندن فى ٣ أغسطس سنة ١٩٢٩

يا صاحب السعادة

أتشرف بأن أبلغ سعادتكم أنى تسلمت رسالتكم إلى اليوم والتي تتضمن الاقتراحات والمذكرات الايضاحية التى سيتم تبادلها بشأن التفاصيل التى كانت موضوع البحث بيننا بقصد الوصول إلى تسوية دائمة وشريفة للسائل المعلقة بين مصر وبريطانيا العظمى اننى أدرك أن هذه الاقتراحات تمثل أقصى حد يمكنكم أن تشيروا على حكومة جلالتة البريطانية بأن تصل اليه . واننى مستعد من جهتى أن أعرضها على الشعب والبرلمان المصرى واثقاً تمام الثقة بأن قبولها هو فى مصلحة بلادى . واتى أشاطر حكومة جلالتة البريطانية الرجاء بأن هذه الاقتراحات سيفحصها جميع المصريين المخلصين لوطنهم بدون تمييز بين الأحزاب و بروح الصداقة والمسالملة التى سادت بحثنا فيجدون فيها أساساً مرضياً للعلاقات المستقبلية بين شعبيينا

فبهذه الروح وبهذا الأمل أحمل تلك الاقتراحات إلى الشعب المصرى

(الامضاء) محمد محمود

اقتراحات لتسوية العلاقات الانجليزية المصرية

- ١ — ينتهى احتلال مصر عسكرياً بجيوش جلالة ملك بريطانيا العظمى
- ٢ — تعقد محالفة بين الدولتين المتعاقدين توطيداً لصداقتهما والتفاهم الودى وحسن العلاقات بينهما
- ٣ — إن مصر رغبة منها فى أن تصبح عضواً بجمعية الأمم ستقدم طلباً للانضمام إلى تلك الجمعية طبقاً للشروط التى تنص عليها المادة الأولى من عهد الجمعية وتتعهد حكومة جلالتها البريطانية بتأييد هذا الطلب
- ٤ — إذا قام أى نزاع مع دولة ثالثة نشأت عنه حالة تندر بخطر قطع العلاقات مع تلك الدولة فإن الفريقين المتعاقدين يعملان معاً بقصد تسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية طبقاً لنصوص عهد جمعية الأمم ونصوص أى تعهد دولى يمكن تطبيقه على تلك الحالة
- ٥ — يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين أن لا يقف فى البلاد الاجنبية موقفاً لا يتفق مع هذه المحالفة أو ينشئ صعباً للفريق الآخر . وعملًا بهذا التعهد لا يقاوم أحدهما سياسة الآخر فى البلاد الاجنبية ولا يعقد مع دولة ثالثة أى اتفاق سياسى قد يكون بحسباً بمصالح الآخر
- ٦ — تعترف حكومة جلالتها البريطانية بأن تبعة المحافظة على أرواح الأجانب فى مصر وأملأهم تقع من الآن فصاعداً على عاتق الحكومة المصرية . ويتكفل جلالة ملك مصر تنفيذ تعهداته فى هذا الشأن
- ٧ — اذا اشتبك احد الفريقين المتعاقدين فى حرب رغم نص الفقرة ٤ الواردة آنفاً فإن الفريق الآخر يبادر إلى معوثته مع مراعاة نص الفقرة ١٤ التى ستذكر فيما بعد وذلك بصفته حليفاً . وبوجه خاص فانه فى حالة وقوع حرب او خطر وقوع حرب يقدم جلالة ملك مصر الى جلالتها البريطانية فى الاراضى المصرية جميع التسهيلات والمساعدات التى فى وسعه ومن ذلك استخدام موانئه ومطاراته وو سائل مواصلاته
- ٨ — نظرا الى الرغبة فى توحيد نظام التعليم و الاساليب فى الجيشين المصرى و البريطانى يتعهد جلالة ملك مصر بانه اذا رأى من الضرورى الالتجاء الى مدرسين عسكريين اجانب فانهم يختارون من الرعايا البريطانيين

٩ — تسهلاً و ضماناً لمحافظة جلالته البريطانية على قناة السويس بصفتها طريقاً ضرورياً للمواصلات بين اجزاء الامبراطورية المختلفة يميز جلالته ملك مصر لجلالته البريطانية أن يستبقى على الاراضى المصرية وفي موافق يتفق عليها فيما بعد شرقى الدرجة ٣٢ من خطوط الطول . القوات التى يرأها جلالته البريطانية لازمة لهذا الغرض . ووجود هذه القوات لا يعتبر احتلالاً بأية حال من الاحوال ولا يمس حقوق سيادة مصر

١٠ — نظراً الى الصداقة بين الدولتين والى المحالفة المرجو عقدها هذه الاقتراحات فان الحكومة المصرية عند احتياجها لخدمات موظفين اجانب تستخدم رعايا بريطانيين كقاعدة عامة

١١ — يعترف جلالته ملك مصر بريطانيا العظمى بان نظام الامتيازات القائم فى مصر الآن لا يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة . وعليه فان جلالته البريطانية يتعهد ببذل كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات فى مصر لنقل اختصاص المحاكم القنصلية الحالى الى المحاكم المختلطة وتطبيق التشريع المصرى على الاجانب بشروط تضمن مصالحهم المشروعة

١٢ — نظراً الى الصداقة بين الفريقين المتعاقدين والى المحالفة المراد عقدها بموجب الاقتراحات الحاضرة يمثل جلالته ملك بريطانيا العظمى لدى بلاط جلالته ملك مصر سفير يعتمد بالطرق المروية . ويحفظ جلالته ملك مصر اسمى مركز سياسى فى بلاطه لممثل جلالته البريطانية

ويمثل جلالته ملك مصر سفير لدى بلاط سانت جيمس

١٣ — مع الاحتفاظ ببحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل تعديلاً لاتفاق سنة ١٨٩٩ يتفق الفريقان المتعاقدان على أن تكون حالة السودان هى الحالة المترتبة على الاتفاق المذكور وعلى ذلك يواصل الحاكم استعمال السلطة المخولة له بموجب الاتفاق المذكور بالنيابة عن الفريقين المتعاقدين

١٤ — لا يقصد بهذه الاقتراحات ولا يمكن أن ينبنى عليها الاخلال بالحقوق والالتزامات المترتبة اوالتي يمكن أن تترتب لاحد الطرفين المتعاقدين أو عليه بمقتضى عهد جمعية الامم أو ميثاق نبد الحرب الموقع عليه فى باريس فى ٢٧ اغسطس سنة ١٩٢٨

١٥ — يتفق الفريقان المتعاقدان على أن أى خلاف ينشأ بينهما بصدد تطبيق نصوص هذه الاقتراحات أو تفسيرها مما لا يتسنى لهما تسويته بالمفاوضات مباشرة يعالج بمقتضى نصوص عهد جمعية الأمم

١٦ — فى أى وقت بعد انقضاء خمس وعشرين سنة من نفاذ معاهدة تبنى على الاقتراحات المار ذكرها ، يجوز اجراء أى تعديل فى شروطها يرى من الملائم عمله وفقا للظروف القائمة وقتئذ وذلك بالاتفاق بين الفريقين المتعاقدين

الجيش — المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

فى خلال محادثاتنا الاخيرة نشأت بعض مسائل عسكرية وتم النظر فيها باتم العناية . وتنقسم هذه المسائل بطبيعتها الى قسمين .

أولها — ما يتعلق بقوات الجيش المصرى التى قد يمكن ان تدعى لمعاونة القوات البريطانية ، المحالفة لمعاونة فعلية فيما لو نشأت لسوء الحظ احوال من التى اشير اليها فى الجملة الاولى من الفقرة السابعة من الاقتراحات

وثانيهما — المسائل الخاصة بالقوات البريطانية التى سيكون مقامها بجوار قناة السويس طبقا للفقرة (٩) لضمان الدفاع عن ذلك الشريان الحيوى من طرق المواصلات البريطانية الامبراطورية

فاما فيما يتعلق بالقسم الاول فقد اتفقنا على ما يأتى :—

١ — ينتهى النظام الحالى الذى يقوم بموجبه المقتش العام واركان حربه بتأدية بعض الوظائف

ويسحب الموظفون البريطانيون من الجيش المصرى

٢ — على ان الحكومة المصرية ترغب وفقا للفقرة الثامنة من الاقتراحات فى الانتفاع بمشورة بعثة عسكرية بريطانية . وحكومة جلالة ملك المملكة المتحدة وشمالى ايرلندا تعهد بتقديم بعثة كهذه

وترسل الحكومة المصرية موظفى الجيش المصرى لتدريبهم فى بريطانيا العظمى فقط . وتعهد حكومة جلالتهم من جانبها بقبول جميع الموظفين الذين تريد الحكومة المصرية ارسالهم الى بريطانيا العظمى لهذا الغرض

٣ — لمصلحة التعاون الوثيق المشار اليه آنفا يجب ان لا يختلف نوع الاسلحة والمهمات في الجيش المصرى

وتتعهد حكومة جلالة بالتوسط لتسهيل الحصول على تلك الاسلحة والمهمات من بريطانيا العظمى كلما ارادت الحكومة المصرية ذلك

اما فيما يتعلق بالقوات البريطانية المشار اليها في الفقرة (٩) من الاقتراحات ١ — فان الحكومة المصرية تقدم مجانا لحكومة جلالة الاراضى والشكنات الخ .. فى الاماكن التى يتفق عليها وتكون معادلة لما تشغله القوات البريطانية فى مصر فى الوقت الحاضر

وعند اكمال المحال الجديدة تنقل تلك القوات اليها وتسلم الاراضى والشكنات بعد اخلائها الى الحكومة المصرية ونظرا الى العقبات الفنية التى تعترض اجراء النقل تدرى بما فانه ينتظر اكمال المحال الجديدة ثم يؤخذ فى النقل .

ونظرا لطبيعة المنطقة الواقعة شرقى درجة ٣٢ من خطوط الطول فتتخذ التدابير لتقديم وسائل الراحة المعقولة بزراعة اشجار وحدائق الخ .. للجنود ومدعم ايضا بمورد للباء العذب يكون كافيا فى الاحوال الطارئة

٢ — تستمر الامتيازات التى تتمتع بها الجيوش البريطانية فى مصر فى المسائل القضائية والمالية ويجوز تعديل ذلك فى المستقبل بالاتفاق بين الحكومتين .

٣ — تمنع الحكومة المصرية مرور الطيارات فوق الاراضى الواقعة على كلتا ضفتى قناة السويس الى مدى عشرين كيلو مترا منها الا فى حالة الاتفاق بين الحكومتين على عكس ذلك .

على ان هذا المنع لا يتناول قوات الحكومتين او الخطوط التى تقوم بتسييرها هيئات بريطانية حقيقية او مصرية حقيقية تعمل تحت سلطة من الحكومة المصرية وقد اتفقنا ايضا على ان تقدم الحكومة المصرية جميع التسهيلات اللازمة للطيارات الحرية البريطانية وموظفيها ومهامها المتجهة الى المطارات الموضوعة تحت تصرف القوات البريطانية طبقا للفقرة (٩) من الاقتراحات او القادمة من تلك المطارات .

وتقدم حكومة جلالة التسهيلات الملائمة للطائرات الحربية المصرية وموظفيها
ومهامها في الاراضى الواقعة تحت مراقبتها

المذكرة المصرية

يا صاحب السعادة

اتشرف بأبلاغكم وصول مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة ببعض مشاغل حرية
وبان أقرر لكم انها تمثل بالدقة الاتفاق الذى انتهينا اليه

المستشاران - المذكرة المصرية

يا صاحب السعادة

تعلون سعادتكم ان الحكومة المصرية قد أخذت على عاتقها القيام ببرنامج واسع
النطاق للاصلاحات الداخلية . واننى ادرك ان هذا العمل سيكون ابعد غورا واكثر
صعوبة بسبب التعديلات المهمة التى ستدخل على نظام الامتيازات كما ترمي اليه
لاقتراحات . وارى ضمانا لانجاز هذا البرنامج الاصلاحى على وجه يدعو الى
الارتياح . ان الحاجة ستدعو الى الحصول على افضل مشورة ممكنة . فانتز هذه
الفرصة لابلغ سعادتكم ان نية الحكومة المصرية ان تحتفظ بخدمة بريطانيين فى
منصبى مستشار مالى للحكومة المصرية ومستشار قضائى لوزارة الحقانية وذلك مدى
المدة اللازمة لاكمال الاصلاحات المشار اليها . أما اللذان سيشغلان هذين المنصبين فى
المستقبل فستختارهما الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة البريطانية بالملكة
المتحدة ويعينان كموظفين مصريين من قبل الحكومة المصرية .

المذكرة البريطانية

يا صاحب الدولة

اتشرف بأبلاغ دولتكم وصول مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة بمنصبى
المستشار المالى للحكومة المصرية والمستشار القضائى لوزارة الحقانية وقد علمت مع
الارتياح ما ذكرتموه دولتكم عن مقاصد الحكومة المصرية .

البوليس - المذكرة المضرة

يا صاحب السعادة

اتهن هذه الفرصة لابلغ سعادتك ان الحكومة المصرية تنوى الغاء الادارة الاوربية بادارة الامن العام ، ولكن عملا بالتعهد الذى تنطوى عليه الفقرة ٦ من الاقتراحات ، ستحتفظ الحكومة المصرية ، لمدة خمس سنوات على الاقل من بدء تنفيذ المعاهدة المبنية على الاقتراحات ، بعنصر أوربي بوليس المدن يبقئ طوال تلك المدة تحت قيادة ضباط بريطانيين .

فاذا رغبت الحكومة المصرية فى المستقبل فى اعادة تنظيم قوة البوليس فيسرنى أن أعلم هل تستطيع أن تعتمد على مساعدة حكومة جلالة البريطانىة فى هذه المهمة

المذكرة البريطانىة

يا صاحب الدولة

إن حكومة جلالة البريطانىة بالمملكة المتحدة قد علمت مع الارتياح أنه عملا بالتعهد الذى تنطوى عليه الفقرة ٦ من الاقتراحات ستحتفظ الحكومة المصرية بعد الغاء الادارة الاوربية بادارة الامن العام ، لمدة خمس سنوات على الاقل من بدء تنفيذ المعاهدة المبنية على الاقتراحات ، بعنصر أوربي بوليس المدن يبقئ طوال تلك المدة تحت قيادة ضباط بريطانيين .

فاذا رغبت الحكومة فى المستقبل فى اعادة تنظيم قوة البوليس فيها فان حكومة جلالة البريطانىة تكون سعيدة بأن تعيرها أفرادا خبيرين أو بعثة من البوليس كما فعلت مع بلاد أخرى رغبت فى اعادة تنظيم قوات بوليسها

الامتيازات - المذكرة البريطانىة

يا صاحب الدولة

جاء فى الفقرة (١١) من الاقتراحات ما يأتى : « يعترف جلالة ملك بريطانيا العظمى بأن نظام الامتيازات القائم فى مصر الآن لا يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة . وعليه فان جلالة البريطانىة يتعهد ببذل كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات

٢ في مصر لنقل اختصاص المحاكم القنصلية الحالي الى المحاكم المختلطة وتطبيق التشريع المصري على الاجانب بشروط تضمن مصالحهم المشروعة ،

ومن المفيد أن ابين لدولتكم الخطة التي أرى من الممكن أن يجرى عليها اصلاح نظام الامتيازات اذا ساكون مستعدا لتأييد مساعي الحكومة المصرية لعقد اتفاقات مع الدول على أساس هذه الخطة متى بدىء بتنفيذ المعاهدة المبينة على هذه الاقتراحات في سنة ١٩٢٠ بينما كانت المفاوضات دائرة بين الحكومتين البريطانية والمصرية كان يرجى وضع التدابير لتلغى الدول الاجنبيه محاكمها القنصلية في مصر . وعليه تم اعداد مشروعات قوانين في تلك السنة لتوسيع اختصاص المحاكم المختلطة بحيث يشمل الاختصاص الحالي للمحاكم القنصلية

وساكون مستعدا للاتفاق على اعتبار مشروعات تلك القوانين أساساً لاصلاح نظام الامتيازات اذا رضيت الدول الاجنبيه بنقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة .

أما فيما يتعلق بالتفاصيل فلا شك أن الحاجة ستدعو الى تغييرات كثيرة وهذه يجب أن يبحث فيها الخبراء

على أن هنالك بعض تعديلات اعتقد أنها ستكون ضرورية على أى حال . وأله أرغب أن اتهمز هذه الفرصة لا ذكرها لدولتكم

وقد يصعب على بعض الدول أن ترضى بنقل جميع قضايا رعاياها الخاصة بالاحوال الشخصية الى المحاكم المختلطة فنقلها في هذه الحالة يجب أن يكون اختيارياً . والاختصاص في هذه الامور يجب أن يظل للسلطات القنصلية إلا اذا تم الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة الاجنبيه ذات الشأن على نقل ذلك الاختصاص الى المحاكم المختلطة . واننى أتوقع الاتفاق على أن تخول المحاكم المختلطة الاختصاص في هذه الشؤون فيما يتعلق بالرعايا البريطانيين

وفي حالة العفو أو التخفيف من عقوبات صادرة على الاجانب وفي حالة تنفيذ حكم الاعدام فيهم فان وزير الحقانية يستشير المستشار القضائى مادام هذا الموظف باقيا وذلك قبل تقديم مشورته الى الملك

إننى أعترف بأن الاحوال التي تطبق فيها الامتيازات في الوقت الحاضر فيما يتعلق

بسلطة الحكومة المصرية في سن قوانين تسرى على الاجانب أو فرض ضرائب عليهم
للاتفاق مع الاحوال الحاضرة

وسأكون مستعدا للاتفاق على ان تقوم الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة في المستقبل
بإبداء كل موافقة لازمة لتطبيق التشريع المصرى ، ومن ضمنه التشريع المالى ، على
الاجانب الا فى حالة التشريع الخاص بتشكيل المحاكم المختلطة وتحديد اختصاصها فانه
لا ينفذ الا بموافقة الدول عليه .

ويكون على الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة ان تثبت من ان التشريع المشار اليه
لا يناقض المبادئ التى يجرى العمل بموجبها عادة فى التشريع الحديث الذى يسرى
على الاجانب وانه فيما يتعلق بوجه خاص بأى تشريع ذى صفة مالية لا يوجد تمييزا
غير عادل ضد الاجانب بما فيهم الشركات الاجنبية .

وان توسيع اختصاص المحاكم المختلطة الجنائى يستلزم اعداد وتنفيذ قانون جديد
للتحقيق الجنائيات . وفى مشروعات القوانين التى اعدت فى سنة ١٩٢٠ بعض نصوص
مهمة خاصة بقانون تحقيق الجنائيات (انظر المواد ١٠-٢٧ من القانون رقم الصادر فى ١٨
ابريل سنة ١٩٢٠) ولا شك ان دولتكم توافقتنى على ان قانون العقوبات الجديد
يجب ألا يحيد عن المبادئ المقررة بتلك المواد .

وهناك بضع مسائل لا بد فيها من الوصول الى الاتفاق بين الحكومة المصرية
وحكومة جلالته البريطانية بالملكة المتحدة ، على اننى لا اعتقد ان من اللازم عمل
اى شىء فى الوقت الحاضر اكثر من مجرد ذكر هذه المسائل .

فاما الاولى فهى تعريف كلمة "اجنبى" فيما يتعلق بالتوسيع المقترح لاختصاص
المحاكم المختلطة

اننى افهم من كلام دولتكم ان القوانين التى تطبقها المحاكم الاهلية بمصر فى الوقت
الحاضر تجعل جميع الاشخاص المقيمين بمصر خاضعين للمحاكم الاهلية ما عدا أولئك
الذين يخرجون من اختصاصها اما بحكم قانون او عرف او معاهدة

فانا اقبل هذا المبدأ بشرط ان يكون مفهوما ان جميع الاجانب الذين كانوا يتمتعون
بنظام الامتيازات فيما مضى يصبحون خاضعين لاختصاص المحاكم المختلطة بقطع
النظر عن تغييرات السيادة القومية التى طرأت بعد حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨

واما الثانية فهي زيادة موظفي المحاكم المختلطة زيادة يستلزمها توسيع اختصاصها واختصاص وظيفة النائب العمومي الجديدة للمحاكم المختلطة والموظفين الذين استدعو الحاجة اليهم لتمكينه من القيام بتلك الواجبات على وجه يدعو الى الارتياح ويؤخذ رأى المستشار القضائى — ما دام باقيا — بشأن تعيين القضاة الاجانب فى المحاكم المختلطة وتعيين رجال النيابة الاجانب ان كان

المذكرة المصرية

يا صاحب السعادة

لى الشرف ان ابلغكم اننى تسلمت مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم وفيها تخبروننى بالخطه التى تعتقد حكومة جلالته بالمملكة المتحدة انه يمكن بموجبها اصلاح نظام الامتيازات وتلقون نظرى الى بعض الاعتبارات الخاصة التى تعلقون عليها اهمية ويسرنى ان اقول ان الاقتراحات الخاصة التى تشيرون اليها تتفق مع رغبات الحكومة المصرية التى هى ايضا على اتفاق مع حكومة جلالته البريطانية بوجه عام فيما يتعلق بالخطه التى يجب ان يسير عليها اصلاح نظام الامتيازات اما فيما يتعلق بتعريف كلمة « اجنبى » فأتى الاحتذانه وان تكن الحكومة المصرية لاتمانع فى ان يسرى قضاء المحاكم المختلطة المدنى والجنائى على الاجانب الذين كانوا يتمتعون بالامتيازات الاجنبية قبل الحرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ فان الاجانب الذين ليست لهم هذه الامتيازات وما كانت لهم قط يجب بالطبع ان يكونوا خاضعين لقضاء المحاكم الاهلية

الموظفون الاجانب — المذكرة المصرية

يا صاحب السعادة

فى خلال محادثتنا بشأن الفقرة (١٠) من الاقتراحات فهم ان حكومة جلالته البريطانية بالمملكة المتحدة وشمالى ارلندا لن تشدد فى تفسير ضيق غير معقول لهذه الفقرة وانه ليس ثمة ما يمس حرية الحكومة المصرية فى استخدام موظفين اجانب غير بريطانيين فى المناصب التى لا يتوافر لها موظفون بريطانيون ملائمون

المذكرة البريطانية

يا صاحب الدولة

اتشرف بأبلاغ دولتكم اتنى تسلمت مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة باستخدام موظفين اجانب واننى اثبت هنا الكلام الوارد هنالك من التفاهم الذى وصلنا اليه

الاقليات — المذكرة البريطانية

يا صاحب الدولة

اود ان اسجل انه لم نر من الضرورة ان نذكر فى الاقتراحات مسألة حماية الاقليات المشار اليها فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . وان المسلم به ان هذه المسألة ستكون فى المستقبل من اختصاص الحكومة المصرية وحدها

المذكرة المصرية

يا صاحب السعادة

لى الشرف ان احيطكم علما باستلام مذكرة سعادتكم بتاريخ هذا اليوم بشأن مسألة الاقليات

السودان — المذكرة البريطانية

يا صاحب الدولة

لما تباحثنا فى الفقرة ١٣ من الاقتراحات اتفقنا على ان تفحص مسألة الديون التى على السودان فى الوقت الحاضر بقصد تسويتها على اساس العدل والانصاف . واتفقنا أيضا على أن يبحث ممثل الخزينة البريطانية مع ممثل لوزارة المالية المصرية فى هذه المسألة حالما تنفذ المعاهدة التى تعقد على أساس الاقتراحات

المذكرة المصرية

يا صاحب السعادة

ردا على مذكرة سعادتكم بتاريخ هذا اليوم اتشرف بأبواب اتفاقنا على أن مسألة الديون التى على السودان سيفحصها ممثلان عن الخزينة البريطانية ووزارة المالية المصرية بقصد تسويتها على اساس العدل والانصاف

المذكرة البريطانية

يا صاحب الدولة

من الملائم ان تسجل الاتفاق الذى قد انتهينا اليه بشأن الطرق التى بمقتضاها
تجمل الاتفاقات الدولية منطبقة على السودان

والاتفاقات التى سيكون من المرغوب تطبيقها على السودان ستكون بالطبع ذات
صبغة فنية أو انسانية . ففى الحالة التى يتم فيها امضاء اى اتفاق من هذا النوع
من مصر وبريطانيا العظمى ويراد تطبيقه على السودان فان المندوبين البريطانى
والمصرى يبدان معا فى الوقت الملائم تصريحاً كتابياً فحواه ان توقيعهما المشترك
بالتبابة عن مصر والمملكة المتحدة يقصد به ان يشمل السودان وانه (فى الحالة التى
يجب فيها التصديق على الاتفاق) متى تم ايداع الوثيقة التى تتضمن هذا التصديق
من جانب جلالة ملك مصر ومن جلالة البريطانية يصبح هذا الاتفاق سارياً على
السودان طبقاً لشروطه

فاذا لم يعمل مثل هذا التصريح فالاتفاق لا يصبح سارياً على السودان الا بطريقة
الانضمام التى سيشار اليها فيما بعد

وفى الحالة التى يعمل فيها مثل هذا التصريح لا يذكر السودان ذكراً خاصاً فى
مستندات التصديق

وفى بعض الحالات التى ينص فيها الاتفاق على الانضمام اللاحق ويكون من الملائم ان
يسرى الاتفاق على السودان بهذه الطريقة يتم الانضمام بوثيقة مشتركة يوقعها من
مصر وبريطانيا العظمى مندوبان يعينان لهذا الغرض

اما طريقة ايداع وثيقة الانضمام فيتفق عليها فى كل حالة بين الحكومتين وفى
هذه الاحوال لا يكون ثمة محل للتصديق

وفى المؤتمرات الدولية التى تجرى فيها المفاوضات بشأن امثال هذه الاتفاقات
يظل المندوبان المصرى والبريطانى على اتصال اجل اى عمل يتفقان على انه
من المرغوب فيه لمصلحة السودان

المذكرة المصرية

يا صاحب السعادة

اتشرف بأبلاغ فخامتكم اننى تسلمت مذ كرتكم بتاريخ هذا اليوم بشأن طريق تطبيق الاتفاقات الدولية على السودان مما قد يرغب فى تطبيقه على تلك البلاد . وانى اؤيد ما جاء فيها بشأن التفاهم الذى اتيننا اليه

المذكرة البريطانية

يا صاحب الدولة

فى أثناء محادثتنا الأخيرة اعربتم دولتكم عن الامل بانه عند تنفيذ المعاهدة تعاد الجنود المصرية الى السودان . فاذا نفذت المعاهدة بالروح الودية التى تفاوضنا بها فى الاقتراحات كما ترجو باخلاص حكومة جلالته البريطانية ببريطانيا العظمى وشمالى ايرلندا فان الحكومة تكون مستعدة لان تفحص بروح العطف الاقتراح بشأن عودة اورطة مصرية الى السودان فى الوقت الذى تسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة

المذكرة المصرية

يا صاحب الدولة

اتشرف بأبلاغ سعادتك وصول مذ كرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة بعودة اورطة مصرية الى السودان وقد أخذت علما بموقف جلالته البريطانية فى هذا الشأن
(محمد محمود)



خطاب

حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء

في الاحتفال باستقبال دولته يوم السبت ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٩ بالاسكندرية

حضرات السادة

لا أستطيع أن أوفيكم حقكم من الشكر على ما كلفتم أنفسكم من مشقة لتحيي، كذلك لا أستطيع أن أصف لكم حق الوصف ما يغمر نفسى من الغبطة والسرور لاجتماع كلمة أهل الراى فى البلاد على الرضا بنتيجة مفاوضاتى مع الحكومة البريطانية

أما الشكر لكم فما أحبه الى دينا أفخر على وجه الزمان بالاقرار به ، وأما السرور باتحاد الكلمة واتفاق الراى فساأحاول أن أجعل نصيكم ونصيبي فيه سواء بان أبسط لكم بمجل ماتحصل عليه البلاد بمشروع المعاهدة الذى سيعرض عليها ليكون لها فيه القول الفصل

ولقد تعلمون انى رجل لا يعدل عندى شىء مهما عز او غلا مصلحة البلاد ولا يشغله ما يلقى فى سبيل تلك المصلحة من عنت او تضحية وما يقتتل عليه الناس من فخر أو مجد ، عن العمل لتلك المصلحة فى هدوء وسكينة. لذلك لن يكون حديثي لكم حديثا عن شخصى او اعتدادا بعملى وانما هو حكاية حال عما كان ما ضينا وما هو حاضرا وما نرجوه للمستقبل ، فان صادف قولى رضاكم فذلكم عندى الجزاء خير الجزاء

ظلت هذه البلاد مدى اثنين وثلاثين عاما منذ بدأ الاحتلال البريطانى الى حين أعلنت الحماية البريطانية ليس لها كم يعرف ولا كيف يوصف من وجهة النظام الدولى فى ولاية عثمانية تحتلها قوة عسكرية بريطانية تشرف على حكومتها ، بوجه مرافق الامة وحرىاتها الى ما يراى بها لا الى ماتريده موظفون بريطانيون يتلقون الوحى من المعتمد البريطانى ، حتى اذا كانت الحرب الكبرى ضربت عليها الحماية البريطانية وسفر ذلك النفوذ البريطانى الذى ظل طول الاحتلال مقنعا وان كان القناع لا يخفى ما وراءه وجعل يتغلغل فى نواحي الحياة المختلفة ويرمى الى أفناء الامة المصرية بان يجعل انظمتها

السياسية والادارية والقضائية حقاً مشاعاً بينها وبين ممثلى النفوذ البريطانى والاجانب النازحين للبلاد ، نصيب الامة فيها هو النصيب الموكوس

هبت البلاد هبتها الماثورة فاشهدت العالم على رشدھا وبقظتها وعلى أنها لا تبغى بديلاً من استقلالها وحریتها ، ولبت بعد ذلك تجاهد وتصابر الحوادث وتعالج حل المشاكل ، فطوراً تحس بالنتيجة دانية للقطوف وطوراً يحافىها الحظ وتعتنها الظروف وهى فى ذلك كله ترقب فجر الحرية بين أمل دافع وصبر حازم

توسط ذلك الجهاد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ خلص به للامة جانب كبير من حرياتھا وان كان يظل ذلك الجانب قدر غير هين من الابهام ويتهدده من وقت لآخر ماعلق التصريح عليه من التحفظات وقد سبق هذا التصريح مفاوضات ولحقته مفاوضات ، أبلى فى اربعتها جميعاً كبار رجال مصر أحسن البلاء ودافعوا عن حقوق البلاد خير دفاع ، ولكن هذه المحاولات حتى أخرها لم تحقق للبلاد غايتها أو تغير من حالها على الوجه الذى ترجوه وتمناه

فإذا اذن حالنا هو الذى نرجوه للتغير . هو جيش الاحتلال ايضا فى عاصمة البلاد وثغورها يؤيد غير منازع ولا مدافع مركز الحكومة البريطانية فيما احتفظته لنفسها من مطلق التصرف فى الامور الاربعة المعلومه . هو ذلك السلطان الخفى الظاهر الذى جعل الكثيرين يرون فى استقلال مصر الذى أعلن منذ سنة ١٩٢٢ وفى أى مخالفة لاذهب به ، اسماً بغير مسمى وكلمة خلوا من المعنى هو فوق ذلك سلطان على الجيش المصرى لم تقو أزمة الجيش التى قامت فى سنة ١٩٢٧ ولا مفاوضات تلك السنة على دفعة أو زعزعة أساسه ، هو تدخل فى الادارة المصرية يتخذ صورة الادارة الاوروية للأمن العام والبوليس فى المدن والمستشارين المالى والقضائى وموظفين كلما انتهت عقودهم تدخل المعتمد لتجديد عقودهم ، هذا الى شئ يسمى المحافظة على أرواح الاجانب وأموالهم

يسوغ فوق غل الامتيازات الثقيل مناقشة مصر الحساب عن كل دقيق وجليل فى أمور الحكم والادارة هو مركزنا فى السودان جعل يتضاءل حتى أصبحنا حكومة وشعباً فى حكم الغرباء عنه

على أنى لم أكن فى أى وقت من الاوقات التى حملت فيها مسئولية الحكم ولا حين

قصدت لوندرة هذا الصيف أنوى فتح باب المسألة المصرية . ليس ذلك تجافيا عنها أو تقصيرا في شأنها أو تساهلا في اعتبار أن تسوية مسألتنا مع بريطانيا العظمى هو المطمح الاسمى والغاية الاولى لكل من حمل قسطا من المسؤولية في حكومة مصر وانما كان تقديراً منى أن الوقت ربما لم يكن قد حان لفتح ذلك الباب وأن تنفيذ الاصلاحات التى أخذتها وزارتي على نفسها خير استجمام لقوى مصر وفضل تمهيد لنجاحها في أى مفاوضة عامة ولما كان تنفيذ هذه الاصلاحات يقتضى الفكك با كبر قدر ممكن من أغلال الامتيازات الاجنبية كان همى في زيارتي للوندرة قاصرا على السعي في هذا السبيل ولكن الحديث نانتقل من هذا الخصوص الى عموم المسألة المصرية ، وتبينت من الظروف السياسية العامة ومن ميول الحكومة البريطانية . أنى بازاء أفضل فرصة وأبرك مناسبة لمعالجة التسوية العامة

ويقيني أنى أكون مقصرا في حقوق بلادى مفرطا في واجباتى كرئيس حكومة وكمصرى لو عرضت لى فرصة سانحة لتحقيق آمال البلاد فلم انتهزها . لذلك لم أتردد لحظة في توجيه أحاديثى الى وضع أسس لتسوية الامور الاربعة التى احتفظت بها الحكومة البريطانية . كان هذا الاساس عندى زوال الاحتلال وعقد محالفة بين البلدين تبنى على التكافؤ التام في الحقوق والتكاليف . ذهبنا اذن نرتاد نواحي الخلاف ونلتمس وجوه الحل حتى انتهينا الى المشروع الذى تشرفت باعلانه للبلاد بمجرد الفراغ من وضعه ولقد أكون فى غنى عن شرح ذلك المشروع أو التعليق عليه اذ كان حلا بسيطا واضحا . ولكنى لا أستطيع أن أمسك نفسى عن التقدم اليكم ببيان استمدته من تطور الاحاديث وتفاصيل المناقشات واختيار الالفاظ والصيغ أدلكم به على ما تصيبه الامة من المزايا وتجنیه من الفوائد بهذا المشروع

اقرأوا المشروع سطرأ سطرأ وكلمة وكلمة وحرفا وحرفا واقرأوا ناقدین غير متساحین فلن تجدوا فيه مظهرا أو معنى أو أثرا ظاهرا أو خفيا للحماية ، ذلك انه یرى فى جملة وتفاصيله الى تحقيق معنى الاستقلال كما تفهمه كل أمة فى شؤونها الداخلية والخارجية وكما تفهمه الامم جميعاً فى الحياة الدولية وإذا كان قد أمن الحكومة البريطانية على بعض مصالحها . فقد جاء ذلك التأمين بالقدر الذى لا يعطل الاستقلال أو يبطل له صورة أو معنى

كان بين الامتين المصرية والبريطانية حتى الآن نوع من سوء التفاهم استعصى على كل علاج ، ولكن المشروع الذى بين يديكم يبحث جذوره ويستأصل أساسه كان كل من الاثنين يظن بالآخر الظنون ويشك فى حسن نيته وصدق طويته ، فبريطانيا العظمى تبالغ لذلك فيما تطلبه لتأمينها على مصالحها ، ومصر ترى فى هذه المطالب وجوها مسترة لرغبة بريطانيا فى المحافظة على مركزها واستدامة نفوذها ولا تحشى أن تعلن حذرها واتهامها لنوايا بريطانيا والتعريض باغراضها الاستعمارية على وجه من الخصومة واللديترى فى نفس بريطانيا أن أول هم لمصر اذا القيت أمورها اليها أن تعمل على مناوأتها والكيد لها فيبعثها ذلك الى التشدد فى مطالبها كما يبعث ذلك التشدد مصر الى زيادة التظن فى نوايا بريطانيا وهكذا دو اليك حلقة مفرغة لا تعرف كيف تبدأ ولا أين تنتهى مثل هذه العقدة وجدانية لاعقلية لا تعالج بالمنطق والدليل بعد الدليل وانما بالثقة والاطمئنان يخلان محل الشك وسوء الظن . ذلك ما وقفنا اليه وذلك ما ينطوى عليه المشروع . دعك من الفاظ الصداقة وحسن التفاهم وصيغها التى تتخلل المشروع فهما يكن لهما من قيمة أو معنى قد تنهم بانها الفاظ وصيغ لازيادة أنظر الى صميم الحلول وحقية المعانى لا يفسرها ولا يوضحها الا ان كلا من الطرفين يعالج ما يعرض له على اساس الثقة بالطرف الآخر : قد يظهر ذلك سهلا ولكن قد يكون أسهل الامور اصعبها فى السياسة بعد دياجة صيغت من معنى التبادل التام فى الحقوق والتكاليف وبنيت على تقدير الوجود الدولى الكامل لمصر ، صدر المشروع باعلان زوال الاحتلال . ولست بحاجة للتنبؤ به بفضل هذه النتيجة فهى البرزخ الفاصل بين هذا المشروع وكل ما تقدمه ، وهى الشارة القاطعة لان كل ماتناله مصر بهذه التسوية يكون امرا واقعا وحقيقة راهنة لا سبيل للتظن فيه ولا وجه للخوف عليه من النقص أو الانتقاض . لن يتم استقلال مصر بعد اليوم بانه ذر للرماد فى العيون أو أنه اسم بلا مسمى ، وانما تعمل الحكومة المصرية وتصرف شؤون البلاد بلا حسيب أو رقيب فى ضوء النهار وعلى هدى صدق النية وحسن التفاهم

هذه النتيجة ما زالت تنسدها البلاد متحدة الكلمة أو مفترقة الهوى وما فتئت تراها الحد بين الحق والباطل ومعيار الثقة الذى لا تزول عنه ولا أمان دونه . هذه

النتيجة التي ارتطمت بصخرتها كل مفاوضه سابقة وخاب من أجلها كل جهود وسعى.

هذه النتيجة جعلت ركن هذا المشروع الركين وأساسه المتين

ولا يظن أحد أن تمت تعارضا بين زوال الاحتلال والاذن للحكومة البريطانية

بالمراقبة في منطقة القنال بقوات عسكرية لحماية المواصلات بذلك الطريق ، فقد انكر

المشروع صفة الاحتلال على تلك القوات. وقد بما جمع المشروع المقدم من جانب الوفد

المصرى بين زوال الاحتلال وبين الاذن بمراقبة قوات في منطقة القنال دون أن يرى

في ذلك تنافراً أو تعارضاً. على أن المشروع الذى عرض على البلاد يجعل لانكار

صفة الاحتلال على القوات البريطانية المراقبة في منطقة القنال ضمناً جديداً ، فان كل

خلاف في هذا الشأن ككل خلاف في أحكام كل المعاهدات الاخرى يحل بطريق

التحكيم طبقاً لميثاق جمعية الأمم. وقد يبدو غريباً أن يربط حليف في أرض حليف

بقوات عسكرية ولكن الغرابة ليست في الحل الذى اتخذ بقدر ما هي في الوضع الذى

اتخذ الحل من أجله فان قناة السويس طريق مواصلات يتوقف على أمنه ميزان

الحروب العالمية ولمثل هذه الحروب مفاجآت يجب لها مقدماً الحيلة الشديدة والحذر

البالغ خصوصاً وان كثيراً من المسائل التي خلفتها الحرب العظمى لم تنته بعد الى قرار

ولا تزال قوات مصر فتية لا يسهل أن يقتنع أحد بانها تستطيع وحدها الاضطلاع

بتلك المهمة الخطيرة مهمة الدفاع عن القنال ، لذلك لم يكن بد من قبول الاشتراك في

القيام بها ، وليس اشتراك جمعية الأمم على فرض امكان تنظيمه بافضل من اشتراك

حليف أو أقل مساساً بالسيادة المطلقة. وهو على أى حال دون اشتراك الحليف في

ضمان تحقيق النتيجة المطلوبة بولند ذكر أبداً أن المشروع الحالي لا ينسخ اتفاق سنة ١٨٨٨

الخاص بحياض القنال ولا يخل بما فرضه ذلك الاتفاق على مصر من الواجبات ولندكر

فوق ذلك أن مصر يعينها الدفاع عن قنال السويس لا باعتباره جزءاً من أراضيها

نحسب بل باعتباره طريقاً للمواصلات العالمية فهي ستقوم بعد نفاذ المعاهدة بكل

ما تستطيع في هذا السبيل ، ويقينى انه متى صح تنفيذ المعاهدة وتوثق ما بين مصر

وبريطانيا من حسن التفاهم وصدق التعاون لا يمضى نصف مدة المعاهدة دون أن

تطمئن بريطانيا الى قيام مصر وحدها وقواتها الخاصة بواجب الدفاع عن القنال

لا يزول الاحتلال وحده بالمشروع بل يزول معه ذيله وهو سلطة الضباط

البريطانيين على الجيش المصرى ولا تختلطن هذه المسألة بما اتفق عليه فى المشروع من ايفاد بعثة عسكرية بريطانية لجعل التدريب العسكرى فى الجيش المصرى من نوع التدريب المتخذ فى الجيش البريطانى ، فليست البعثة العسكرية صورة مستترة أو محددة لسلطة الضباط البريطانيين . اذ ليس لها أى سلطة تنفيذية كما أنه ليس لها صفة البقاء والدوام . وانما استقر رأى على طلب بعثة بريطانية لسبيين ،

الاول أن مصر حرصا على صفاء العلاقات بين البلدين وتجنب اثاره الشبه بلا جدوى ولا فائدة ، تتعهد فى مشروع المعاهدة بأنه نظراً لاستحسان الوحدة فى التدريب بين الجيشين المصرى والبريطانى بسبب احتمال اشتراكهما فى العمل تنفيذاً للمحالفه التى ينشئها المشروع . تتعهد مصر بأنها اذا استخدمت مدربين أجانب يكون هؤلاء المدربون من الرعايا البريطانيين . والثانى أن الجيش المصرى بحاجة حقيقية الى بعثة لتعليمه وتدريبه فليس ايفاد بعثة بريطانية الى مصر فى ذاته فرضاً على مصر

ولو لم يكن الجيش المصرى بحاجة الى بعثة لما كان هناك بعثة بريطانية ولن تكون هناك بعثة بريطانية حين تفرغ حاجة مصر اليها وليس شأن مصر فى هذا الصدد بمختلف عن شأن كثير من البلاد التى استقدمت اليها بعثات عسكرية أجنبية لتنظيم جيشها ولا يسع أى انسان أن يعترض على الحل الذى اعتمدته المشروع إلا أن يريد أن يستبدل بالبعثة البريطانية بعثة أجنبية أخرى ومثل هذا نستطيع أن نقول أنه مهما يكن من شهرة بعض البلاد الاجنبية الاخرى بأنظمتها العسكرية فان من دواعى الفخر لمصر أن تتلقى دروسها فى هذه الانظمة من الجيش البريطانى الذى كان له أحسن البلاء فى الجرب الاخيرة وعندى فوق ذلك أنه يجدر بمصر ، ان لم يجب عليها أن تقدم هذا العربون من الثقة لحليفتها المستقبلية

لم يبق بعد هذين القيدين الظاهرين اللذين كانا يقيدان سيادة البلاد وحريتها فى تولى شئونها الا قيود صغرى ، ومع ذلك فان المشروع لم يهملها فقد تضمن الغاء الادارة الاوربية للامن العام ، كما أسقط وجوب أن يكون بالبوليس عنصر أجنبى وان كان قد رتب للامر الاخير فترة انتقال خمس سنين . ولست بحاجة لان أطيل فى أهمية زوال هذين القيدين فان الادارة الاوربية كانت ترمى بطبيعة الحال وبسبب

استحالة الفصل بين الامن العام للبصريين والامن العام للاجانب الى التدخل في شئون الامن العام قاطبة كما أن في دوام قيام الاجانب باعمال البوليس وصمة للمصرى لا تتسق مع مجموع الحريات التي يتمتع بها أو تتفق مع كفاءة الحكم التي أظهرها في مختلف الادارات الحكومية

كذلك لم يعد بقاء المستشارين المالي والقضائي فرضا على مصر وإنما استبقيا لان مصر بحاجة حقا الى خبيرين فيما تنويه من الاصلاحات المالية والقضائية الواسعة النطاق. كما أنها بحاجة عند اعداد مشروعات هذه الاصلاحات الى انتشار الثقة بأعمالها والاطمئنان الى نواياها، وليس ثمة سبيل أفضل لهذه الغاية من الاستعانة بخبيرين أجنيين. ومن العبث ان يعدل عن خبيرين موثوق بكفائتهما الى غيرهما خصوصا وأنهما لم يعودا موظفين سياسيين كما كانوا بل أصبحا موظفين مصريين، وأن في اختيارهما من الرعايا البريطانيين لعربونا آخر على الثقة التي نريد توطيدها بيننا وبين الامة الخليفة وليس وجود المستشارين كما كان شأنه قيدا غير محدود لسيادة مصر فانه أصبح مرهونا بحاجة مصر الى مشورتها وهي هي وحدها التي تقدر مقدار هذه الحاجة ومداهها وقد أشير في غير موضع من المعاهدة الى الصفة الوقتية لبقائهما كما رد الى مصر حقها الطبيعي في اختيار أشخاصهما اذا دعت الحال الى تغيير المستشارين الحاليين خلافا لما كان جاريا من فرض المنصب وصاحبه على مصر

ثم الاجانب وحماية أرواحهم وأموالهم من جانب وامتيازاتهم من جانب آخر. وأما حماية الاجانب التي كانت بريطانيا العظمى أخذتها على عاتقها، فإن المشروع يرد الامر فيها الى نصابه الطبيعي وينقلها الى العائق الوحيد الذي يصح أن يحتملها. عائق الحكومة المصرية فلن تصبح هذه الحماية وسيلة أو تكفة للتدخل في الشئون المصرية. أو سيلا للهيمنة والاشراف عليها بل تصبح كما هي في البلاد الاخرى متعلقة بادارة الشئون العامة وجزءا مندمجا فيها غير منفصل عنها

أما الامتيازات الاجنبية فليس المشروع الحالي حلا نهائيا لها اذ أن ذلك متوقف على موافقة الدول الاجنبية الاخرى

على أنه لم يكن سبيل لتسوية كاملة بين بريطانيا العظمى ومصر دون أن تعرض هذه التسوية الى البحث فيما ترضاه تلك الدولة بدلا من الامتيازات الحالية التي أصبحت

غلا ثقيلًا وقيدًا شديدًا لسلطة الحكومة المصرية . ولم يكن ليتمكن أن يعرض المشروع .
لتفصيل التعديلات التي ترغب مصر في ادخالها على ذلك النظام نظراً لوجوب
اتفاق الدول صاحبات الامتيازات عليها

لذلك أقصر على المسائل الكلية . وقد يكفي أن أشير الى النقطة الاساسية .
من ذلك الاتفاق وهو أن الحكومة البريطانية تقبل انتقال اختصاص المحاكم القنصلية
الى المحاكم المختلطة وأنه فيما يتعلق بسريان التشريع على الاجانب ، ويدخل في ذلك
الضرائب ، تقبل أن يحل محل موافقة الدول موافقة الجمعية العمومية للمحكمة المختلطة .
على أن هذه الموافقة لن تكون مشاركة في توجيه الامور العامة أو تدخلا في تكييف
الاعمال التشريعية وتنظيم الضرائب : وإنما تنحصر مهمة تلك الجمعية العمومية في
الاستيثاق من أن الاجانب لا يصيبهم بذلك التشريع حيف أو يعاملون بسببه على
غير ما يعامل به الاجانب في البلاد الاخرى ومن حسن الحظ أن جمعية الامم تشتغل
باعداد اتفاق دولي عام يرسم القواعد العامة لمعاملة الاجانب في الشؤون المختلفة .
فستكون مهمة الجمعية العمومية بحسب المشروع الحالي النظر فيما يعرض عليها من
التشريعات بمعيار تلك القواعد العامة .

لا أترك هذه النقطة من غير أن أعلن بلسان مصر الى الاجانب النازلين فيها
أن مصر التي اكرمت ضيافتهم وأحسنّت معاملتهم واعتدت بنشاطهم المالى والادبى .
الذين كان لها أثر يذكّر في تقدمها ان مصر التي كان شأنها معهم كذلك في الماضى ستكون
لهم من اليوم أكرم وطن لنازليه وسيعلم الاجانب بالعمل لا بالقول ان مصر المستقلة
ستضاعف جهدها في حسن رعايتهم والقيام على مصالحهم وسيجدون ان هذه الرعاية
التي قام شيء منها على الامتياز ستكون أشد وأعظم حين تقوم على أساس الصداقة
وتبادل المنافع الحيوية .

لا تقصد مصر من فرض الضريبة على الأجانب أن تزيد بنصيبهم منها في خزائنها
من الاموال انما هي تريد من فرض الضرائب أمرا أجلا وأعلى من الشأن المالى هو
تثبيت سيادتها في أرضها . وسيرى الاجانب أن المصريين على اختلاف نزعاتهم أهل
لتنفيذ هذا العهد الذى نجدده لهم في كل فرصة وأنهم يعلمون حق العلم أن منفعتهم ومنفعة
النزلاء الاجانب في بلادهم شيء واحد هذا كررته كل الحكومات المختلفة التي تداولت

السلطة في مصر ولا شك أن تنفيذه في المستقبل سيكون أكـد أثرا من تنفيذه في الماضي على أن حديثي وإن طال عليكم لم يستقص كل مزايا المشروع فهو لم يحص الا مزاياه السلبية أى ما كان منها إسقاطا لقيد كما هو الحال في الاحتلال وسلطة الضباط البريطانيين في الجيش المصرى والادارة الاوربية والبوليس والمستشارين وحماية الأجانب أو تخفيفا لقيد كما هو الشأن في الامتيازات الاجنبية ولكن له مزايا إيجابية أولها المحالفة بين مصر وبريطانيا وهى عهد سلام وميثاق صداقة أوقن أنه سيكون سابع الخيرات موفور البركات فهى لمصر عزة جانب ونصر مبين وهى للبلدين امان من غوائل المنازعات والاعتداءات والمطامع وقد انعقد الاجتماع في البلاد منذهنضتها الاخيرة على أن المحالفة خير حل للمسألة المصرية وانما اختلفت الآراء بشأن بعض آثار المحالفة خشية أن تتجاوز معنى المحالفة إلى الحماية أو ما يشبهها، على أنها فى المشروع الحالى بمنجاة من كل اعتراض فهى محالفة الحر للحر بنيت على تبادل الحقوق والتكاليف وحصرت آثارها فيما يلزم عن كل محالفة ويجرى معها عادة وعرفا فكلما الطرفين يتعهد بأن يعين الآخر فى حالة الحرب والا يتخذ خطة تنافى المحالفة أو تثير للطرف الآخر صعوبات والا يعقد اتفاقات سياسية تضر بمصالحه، وكلا الطرفين يتعهد بأن يبادل رأى مع الطرف الآخر قبل قطع العلاقات مع دولة أخرى سعى فى تسوية النزاع بالطرق السامية وكلا الطرفين يمثل فى بلاد الطرف الآخر بسفير ويضاف إلى هذه آثار الاذن للقوات البريطانية بأن ترابط فى منطقة القتال وأنه إذا تهددت إنجلترا حرب تمدها مصر بالتسهيلات والمساعدات فى الاراضى المصرية من قبيل استعمال الموانى وطرق المواصلات ولا يرجع هذان الاثران إلى علو احد الطرفين عن الآخر أو تسلطه عليه أو حمايته له وانما يرجعان إلى اختلاف الأوضاع الجغرافية بين البلدين كما تقدم الكلام. كذلك يضاف اليهما تعهد مصر بأن تخص بمثل حليفها بأعلى المراتب السياسية وهى مرتبة السفير وأن تؤثر على وجه العموم الرعايا البريطانيين عند استخدام الأجانب وليس بين الأثرين الأخيرين وبين السيادة أى تنافر عملى وهما أدخل فى باب المجاملة والكرامة التى تستحق لحليف عظيم فى حلفه القوة وعزة الجانب

ومن المزايا الإيجابية للمعاهدة أن تتعهد بريطانيا العظمى بتعزيد طلب مصر الانضمام الى جمعية الامم، وقد ظلت مصر تحدث نفسها بهذه الامنية طول هذه

السنين الأخيرة ويحول دون سهولة البحث في طلبها ما احتفظت به إنجلترا من المسائل الأربعة وما أعلنته للدول ولسكرتارية عصبة الأمم من وجوه التحذير المختلفة : فالآن وقد حلت هذه المسائل تستطيع مصر أن تسعى لتحقيق تلك الأمانة وأن تطلب الدخول مختارة لا مسخرة كريمة عالية الرأس وأن تتبوأ مقعدها بين الأمم :

ومنها ما تم عليه الاتفاق بشأن السودان ، ولقد تعلمون ما آل إليه مركز مصر في السودان بعد الحوادث المعلومة وكيف أصبح أثراً بعد عين فلا جيش ولا موظفون ل أن المصريين يعاملون في السودان كالغرباء غير المرغوب فيهم ويضيق عليهم في غدوهم ورواحهم وفي استقرارهم وتملكهم إلى غير ذلك من وجوه التضيق ، وحكومة السودان تسلك في كثير من الأمور كما لو لم يكن للحكومة المصرية شأن بها : فالآن وحتى تعدل اتفاقات سنة ١٨٩٩ طبقاً لما احتفظت به مصر في المشروع الحالي تؤيد تلك الاتفاقات وتنفذ على وجهها الصحيح فيقدر لجانب من الجيش أن يعود ويقدّر المصريين ألا يكونوا دون البريطانيين في المعاملة وتستعيد الحكومة المصرية حقوقها في غير ما فوضت فيه الحاكم العام من الشؤون وعلى هذا الوجه تستعيد مصر فعلاً مركزها قبل الحوادث المعلومة بل تحصل فعلاً على خير منه دون أن تفقد حقها في المناقشة في مسألة السودان عندما ترى الفرصة ملائمة لذلك

وأخيراً توجهت كل هذه المزايا سلبية وإيجابية بأن وضعت أحكام المشروع كافة سواء في تنفيذها أو في تأويلها في ذمة التحكيم وضمانته طبقاً لميثاق جمعية الأمم وعلى ذكر هذا المشروع ومزاياه أحب أن أنوه بفضل عالمنا القانوني صاحب السعادة عبد الحميد بدوي باشا الذي كان له الفضل في المعاونة الصادقة الوافية في وضع المشروع بجملته وعلى الخصوص في مسائل الامتيازات المتشعبة الأطراف ومعالجتها على الوجه الأتم وأحكام الصيغ النهائية للمشروع على وجه حقيق بالثناء عليه والاعجاب بكائه النادر وعلمه الجلم

هذه جملة القول في المشروع المعروض على البلاد ولا يشك أحد في أنه لم يبلغ مبلغه في تحقيق الآمال المصرية أية وثيقة أخرى على أنى لا أدعى لنفسى فضلاً في ذلك فهو ثمرة جهاد النهضة المصرية دفعت ضحاياها وشهداؤها بدمائهم وأرواحهم ثمته

معجلاً وتعاونت الامة قاطبة في اخراجه للوجود نباتاً قويا وثمرا سويا للصغير قسطه
والكبير قسطه كل منهم بقدره

ايها السادة

تخللت سني نهضتنا الاخيرة مشاقات ومشادات بين اجزاء الامة لم تخل من الحدة
بل بلغت التقاطع والتناكر كان مدارها أصلاً وفرعاً وجملة وتفصيلاً على طريقة
وقواعد تسوية المسألة المصرية مع بريطانيا العظمى . وها هو يعرض على البلاد اليوم
مشروع لتلك التسوية يمثل أقصى الجهود والممكنات ويحقق ما اجتمعت عليه كلمة
الامة المتحدة او مفترقة بل ليحقق بفضل تطور الزمن استقلال البلاد والعزة القومية من بعض
الوجوه على صورة أكمل مما اتجهت اليه الآراء في بدء النهضة

فالمشروع إيدان بزوال الانقسامات الماضية التي لم يعد لها أساس أو وجه أو محل ،
والمشروع لواء تتضام حوله الصفوف وتتراص القلوب حتى تعود وحدة الامة رائعة كما تجلت
أول مرة . ولقد أحسن الظن في هذه الاونة الرهيبة من حياة امتنا العزيزة فازعم ان
ما تخلل خلافاتنا وانقساماتنا من الاقوال والافعال جزء من بناء نهضتنا لافائدة
الآن من البحث فيه أحقا كان أم باطلا وصوابا كان أم خطأ اذ كان البناء كله قد
أنتج هذا المشروع الذي ينظم أمانى الامة عقداً آخرًا ويصورها خلقاً سويا

ولقد أزيد على ذلك ان الاحزاب المختلفة لم تكن في وقت انقسامها بريئة من
العيب وقد يأخذ كل حزب على الآخر بحق انه تجاوز معه حدود النضال المشروعة
وان هناته نحوه قد خلقت كثيراً من المرارة والحيفظة ولقد أعترف بأن بعض من
كانوا أصدقاؤنا بالامس يذكرون شيئاً من مثل هذه الهنات التي دفعت اليها حرارة
النضال ولكن المناسبة أجل وأعظم من أن نقف على هذه الذكريات تثيرها وننسى
بها ما يجب علينا في الوقت الحاضر من التصافي والتصافح

أقدم للبلاد هذا المشروع خاتمة جلية لعقد كامل من الجهاد وهو في الوقت نفسه
مستهل حياة دولية مباركة تنبؤ بها الامة مقعدها بين الامم وبدء جهاد جديد يوجه
الى تنمية موارد البلاد بزيادة ثروتها ورفاهيتها وتوطيد مركزها واعلاء كلمتها بين الدول
أقدمه للبلاد وملئي ثقة أن ترى فيه ما أراه من أنه محالفة الحر للحر، ولقد كنت

مع زملائي من مجاهدى الساعة الاولى وظللنا طول هذه المدة ليس شئ أشغل لنفوسنا أو أملك لعقولنا من الوصول الى تسوية مرضية مع بريطانيا العظمى يحتمل فى سبيل هذه الغاية كل تضحية فما وينا ولا وكلنا ولا ترددنا حتى جاءت الساعة التى نستطيع أن نقدم فيها الى البلاد ثمرة جهادها دانية القطوف

أيها السادة

مهما يكن من يقينى ان هذا المشروع لا يصح التردد فى قبوله ومهما يكن من أن وقعه وأثره فى نفس كل من اطلع عليه داخل البلاد أو خارجا عنها لا يترك شكاً فى أنه يرضى الامة ويحقق أمالها فانه لم يكن لى ولا للوزارة ان تستقل برأى عن البلاد فى أمر مثل هذ المشروع الخطير . فلبلاد اذن الكلمة الاخيرة فى هذ المشروع ، على ان الوقت لم يتسع لى بعد لتحديد الطريقة التى يتمثل بها رأى البلاد وسيكون أول ما أعنى به فى الايام التالية النظر فى هذه المسألة وإمضاء رأى فيها

وانى لأناشد كل مصرى أن يطيل النظر فى مشروع المعاهدة ويصدر حكمه فيه بقلب خلا من الغرض والهوى وعقل يرى الاشياء حقيقة لا خيالاً أناشده أن ينسى الفوارق الحزبية الماضية فهذا المشروع خاتمة كتابها ليس هذا المشروع عملا يكاثربه حزب حزبا وانما هو عمل وطنى تلتقي عنده أمانى الامة وتلاشى حوله الفروق والانقسامات

فليؤدى كل مصرى واجبه وليستشعر مسؤوليته أمام أمتنا وأمام الأجيال المقبلة وأمام الله وليحاسب نفسه أيهما خير وأجدى ، جهاد عقيم أم حياة مثمرة . واتنا لدعوا الله أن يتولانا جميعا بهداه وأن يسدد خطانا الى ما فيه خير البلاد وسعادتها فى ظل حضرة صاحب الجلالة الملك ونبتهل اليه تعالى ان يجزيه عن الامة التى يسهر على رفايتها ويحوطها بعطفه وتأييده خير الجزاء



Enormity - مناعة

By Eden Phillipotts

تعرض العصور هذه القطعة الشعرية لترجمتها شعراً ، والترجمة ترسل لتحرير
مجلة العصور . وسننشر من الترجمات عدداً مناسباً .

Musing on the indiction of the moon,
Whose silver skeleton doth ever bend
Above our feast, foreshadowing the end,
How greatly may we hunger for the boon
And signal truth, our ignorance to mend,
Touching the children of her ancient noon,
Upon whose way we also surely wend,
Since she from us, as Eve from Adam, was hewn.
Did we behold one work of consciousness
If, 'mid her lifeless antres, we could guess
That hand and brain in vanished time of yore
Had left a single mental manifest,
Then might we people space and none protest.

Yet who that's sane shall ever dare feel doubt
With conscious life the universe is filled ?
What mad almighty architect has willed
To shut the galaxies and glories out
And to this petty, minor planet build
The only thing that knew its way about,
And, in some faulty, fruitless sort, fulfilled
A mightier part than all the heavenly rout ?

Was earth alone so rare that for its sake
 Omnipotence must need be crucified ?
 How long, how long shall patient Reason ache,
 Shall common sense deny and wit deride
 The Egoistic Honor of a claim
 To redden every cosmic sum with shame ?

Or is it argued by Theology
 That, when a God willed consciousness to sow
 On myriad mightier worlds than we can know,
 All creatures fell and only saved could be
 By suicide divine, to overthrow
 Dark plots maturing through eternity
 Led by a thing God made, now turned to foe,
 From whom God's death alone could set all free ?
 Shall each new home of life lift up a cry
 And welkin shriek with far-flung frantic call
 For God to visit every star and die,
 Lest conquering Evil Swallow up them all ?
 Oh pitiful dilemma, abject plight
 For him who brought the heavens into light !

Bless ye the day when man no longer broods
 On these unspeakable ineptitudes .



الجمجمة

للشاعر الالهى الكبير رابندرناث طاغور

ترجمة الأديب المعروف

عبد اللطيف النشار

كان يجاور غرفتنا ونحن أطفال ، غرفة أخرى بها جمجمة معلقة . وكان نسيم الليل يحدث صوتاً إذ يمر من خلال تلك العظام ونحن بالنهار نحدث مثل هذا الصوت إذ نعبث بها .

وكان صديقنا المقيم فى تلك الغرفة طالباً بمدرسة الطب . وكنا نتلقى عليه درساً فى التشريح لأن أوصياءنا أرادوا أن نكون ملين بكل العلوم . أما أصحابنا فقد عرفوا مقدار نجاحهم فى تلك الرغبة وأما الذين لا يعرفوننا فغير لنا أن نستر عنهم الحقيقة مضت سنوات كثيرة على ذلك العهد ونقلت الجمجمة من تلك الغرفة وحى من أذهانتنا علم التشريح . ومنذ أيام قليلة زارنا ضيوف كثيرون فتركتم لهم غرفتي وقضيت الليلة فى الغرفة التى كانت بها الجمجمة . وانقضى معظم الليل وأنا مسهد أسمع أجراس الكنيسة تدق ساعة بعد ساعة . وما زال يضعف نور المصباح حتى انطفأ . وكان قد حدث للأسرة مصاب فى الأيام الأخيرة فاتجه ذهني بالطبيعة بعد انطفاء النور إلى التفكير فى الحياة والموت وفى أعمارنا القصيرة التى ينتقص منها مرور الليل والنهار ووصلت إلى جولة الفكر إلى ذكرى الجمجمة . وبينما كنت أتخيل الجسم الذى كانت له هذه الجمجمة إذ تصورت فجأة أن إنساناً يمشى بالغرفة ويدور حول السرير . وكنت أسمع بوضوح تردد أنفاسه السريعة وتصورت أنه يبحث عن شىء مفقود . ولم تزل خطاه تسرع وكنت أشعر يقيناً بأن هذا مجرد وهم بعثه فى ذهني المكثود طول الأرق . وكنت أعرف أن نبض قلبي العالى هو الذى حسبه خطوات السائر ولكننى بالرغم من ذلك أحسست برعشة باردة . ولكى أخلص من هذا الوهم ناديت بصوت عال : « من هنا ؟ » فتخيلت أن الذى يسير قد وقف وأجابنى : « لقد رجئت أبحث عن جمجمتى » .

وخجلت أن أخاف من وهم خلقه خيالي فرفعت رأسي عن الوسادة وقلت :
« أفى هذا الوقت من الليل ؟ وماذا تفعل بجمجمتك الآن ؟ »

فكان الجواب : « ما هذا السؤال ! ألم يكن فى هذه الجمجمة كل سحر الشباب
وأثر الستة والعشرين عاماً التى عشتها ؟ أليس لى من أجل ذلك أن أبحث عنها
لأراها ؟ »

قلت : « لك ذلك فأبحث عنها كما شئت ودعنى أنم ، فأجانبى الصوت وهو صوت
امرأة : « ولكنك الآن وحدك فهل أجلس معك لتتحدث قليلاً ؟ لقد كنت فى مدة
الحياة أتحدث مع أمثالك من الرجال وأود الآن أن أعيد ذكرى الحياة الماضية ،
ثم شعرت بأن إنساناً يجلس على مقربة منى فأجبت : « يسرنى أن أتحدث معك
فحدثنى بخبر لطيف »

وهنا دقت الساعة الثانية وقالت الزائرة : « أغرب شئ أذكره هو تاريخ حياتى
فدعنى أقله :

« لما كنت فى عالم الأحياء لم أر ما أخافه غير زوجى فلست أشبه قلبى بشئ
غير الأسماك التى تصاد بالخصوص « السنارة » فقد صاده هذا الغريب وأخرجه
من هدأة الطفولة وراحة الأسرة فلم يعد إليها . ومات زوجى بعد
شهرين فحزن عليه أهلى وأصدقائى وقال أبو الزوج لأمرأته ان عيني تدلان على
السوء — هل أنت مصغ ؟ أرجو أن تسمع القصة

قلت أنا مصغ وهذا ابتداء غريب فقالت : « دعنى أتمها . . . فعدت مسرورة إلى
منزل أهلى وقد كنت أعلم أننى من أجمل الناس وان كان أصحابى لا ينصفوننى فإذا
ترى أنت ؟

قلت : « ربما كنت جميلة ولكننى لا أذكر أننى رأيتك » فقالت كيف كيف
لم ترى ألم تنظر إلى الجمجمة ؟ ثم ضحكت وقالت : « نعم ان الشهادة التى شهدتها الجمجمة
عن جمالى شهادة باطلة فليس فى الثقبين الحاليين أقل إشارة إلى سحر نظراتى وقتنة
العينين والخدين وليس فى عظام الفم ما يدل على حسن ابتسامى وجمال الشفتين
العقيقتين وليس من السهل اقناعك أن العظام التى رأيتها كانت لوجه فاتن مشرق الطلعة

لين الملمس غض الشباب وأن محاولتي اقناعك لتدعوني إلى الابتسام ولكنها تبعث في نفسي غيظاً منك وما كان الاطباء في عصرى يتخيلون أن هذا الوجه سيصير أداة يتعلم عليها الطلبة علم التشريح ، لقد كان في عهدي ، طبيب لقبني بالزنبقة وما كان ليدعوني كذلك لو فكر في أنك أنت وأصحابك ستدرسونه علمه على جمجمتي

« لقد كنت كلما مشيت أشعر بأنني كالناس وان لي مثل ماله من ضياء ما فأنيما التفت الفيت حولي شعاعاً من الحسن و كنت أقضي الساعات ناظرة إلى يدي ، إلى هاتين اليدين اللتين فتتا أجمل الرجال

ولسكنك قد نظرت إلى جمجمتي فما تصدق ما أقول ولهذا أبغضك وسأشردنومك في ليلة من الليالي بأن أريك فتنة الحسن في بعض أحلامك وأضيع ما في رأسك من علم التشريح !!

قلت : « اقسم بجسمك ان كان لا يزال له وجود ان ليس في رأسي كلمة من علم التشريح وليس به الآن غير صورة من الجمال تسطع في حلك الليل . وما أستطيع الآن أن أزيد ، فقالت : « لم يمكن لي صواحب من النساء . وكان لي أخ واحد وضع نصب عينيه ألا يتزوج . وكنت وحدي في منزله أقضي الساعات في الحديقة حاملة بان الكون يحبني وان نجومه الساهرة ترتوي من ينبوع حسني . وان الرياح تنف من تبريح شوقها وان الارض التي اطؤها لو كانت تعقل لغاب عنها رشدها حينما اخطو عليها . وان كل شباب الدنيا حشائش خضراء قد امتد منها بساط لاسير فوقه . ولكن قلبي بالرغم من ذلك كان يزيد حزناً على حزن

« لما نجح شيكار — صديق أخى — في امتحان الطب أصبح طبيباً للأسرة . وكنت قد رأيته مراراً من وراء حجاب . وكان أخى غريب الأطوار فهو لا يريد أن يرى الدنيا بعينين مفتوحتين ولم يكن له صديق غير شيكار فهو هو الرجل الواحد الذي عرفته . . هل أنت سامع ؟ فيم تفكر ؟ »

فتنهت وقلت : « تمنيت ان أكون شيكار ! » فقالت : « انتظر واسمع قصتي : في ليلة مرضت وجاء الطبيب ليراني وكانت هذه أول مقابلة . ونمت عندما جاء بقرب النافذة لينعكس احمرار الجو عند الغروب على وجهي . ونظر الطبيب الى فتخيلت

نفسى فى مكانه وتصورت أننى انظر الى مثل وجهى . وقد انسدت فوق جبينى الناصع
خصلة من شعرى الأسود وتحت خدى الوسادة البيضاء . وقد انسكب فوق وجهى
شعاع الغروب . فسأل الطبيب أخى فى استحياء : « هل أجس نبضها ؟ » فددت
اليه معصما وقلت فى نفسى : « آه لو كان يزين معصمى هذا اسواره ! » (١)
ولم أرى حياى طبيياً غيره يضطرب وهو يحس نبض المريض فقد كانت أصابعه
ترعش وكان يحس النبض من ذراعى ليعرف حرارتى وأنا أجس النبض من قلبه
لأعرف مبلغه ، الاتصدق ؟ !

قلت : « بل أصدق لان القلب يروى حين ينبض قصة العمر » فقالت : « وبعد أن
مرضت مراراً وشفيت مراراً . وجدت ان الذين يسكنون دنيا خيالى قد انتقصو
حتى لم يعد غير اثنين فواحد الطبيب ثم عليله وهو انا

» وكنت فى بعض الليالى ألبس جواهرى سرا وارتنى ثياب العرس وأضع على
رأسى أكليلا من الفل والياسمين وأجلس فى مجلسى المعتاد تحت الشجرة

» هل تظن أن الجليل يتعب من النظر الى جماله ؟ كلا ! فقد كنت انظر الى نفسى
بعينى الطبيب وكنت أنظر اليه بعينى نفسى لقد كنت واحدا ولكنى اثنان . وافقتت
وسحرت وأحببت ولكنى أسرفت فى ذلك . وكنت أفطن فى بعض الاحيان فأتهتد
حسرة على نفسى السابحة فى الاجواء كأنها النسيم

من ذلك العهد لم أعد وحيدة . . ثم ماذالو جعلت هنا نهاية قصتى ؟

قلت ان شئت فلا بأس ولكن تكون قصة غير كاملة . وفى استطاعتى أن أضع
بقيتها عند الصباح . . فقالت ! ولكن لا بد من تمامها لافسر لك الابتسامة البادية على
فم الجمجمة فبعد أن جلست مراراً مع الطبيب صرت أسأله عن أنواع السموم وأيها
أقرب للقتل . وملاّت هذه المحادثات ذهنى بفكرة الموت . وهكذا لم يعدلى فى الحياة شاغل
غير الحب والموت : وقد قاربت قصتى النهاية فقلت : « وكذلك قد قارب الليل النهاية »
قالت : « وبعد عهد لاحظت أن الطبيب يحتفظ بسر يخجل من ابدائه لي وجاء
مرة فى ثياب جديدة وطلب أن يعيده أخى العربة فى الليل فسألت أخى عن السبب
وعلمت أن الطبيب سيتزوج وان هذه الليلة هي ليلة عرسه

« عند ذلك ضحكت ضحكة عالية وعلمت أن زوجته وارثة وأنه خطبها من أجل مآلها . ولكن لماذا يخفى سره عني ؟ لقد كنت أتوسل إليه ألا يتزوج لأن ذلك يكسر قلبي . ولكن الرجال لا ينبغي أن يوثق بهم .
ولما عاد الطبيب في عصر ذلك اليوم قابله وكنتم أضحك كالعادة . وقالت ..
هل ستزوج الليلة ؟

فارتبك من هذا السؤال . وعدت فقلت : « ولكن أين الموسيقى وابن معلم الفرح ؟ ، فتهد وأجاب ! « وهل الزواج مفرح ،
ضحكت مرة أخرى وقلت ! « لا بد من إيقاد الشموع واستدعاء الموسيقى ،
وحملت أخي على طلبهما فذهب وتركنا وظللنا نتكلم عن عروسه وعن إكرامى لها
عند ما تزورنى وقلت . وهل ستبقى تجس نبض الناس ؟ ،
فبدالى اضطرابه وإن كان ما فى كل النفوس أخفى من الحفاء ، ولما جاء أخى قدمت
اليهما النيذ فشربا ثم ذهبا الى العرس

« ولا بد هنا من اخبارك بشئ . هو أننى كنت اشتريت سما ووضعته فى كأس
الطبيب ثم شربت كأساً أخرى مسمومة وظللت اسمع صوت الموسيقى وأنا ألبس
ثياب العرس وأتحلى بالجواهر والازهار ثم نمت وكانت ليلتى جميلة وكانت الريح
الشرقية تهب فتحمل لى روائح الفل من الحديقة وتحمل عني ذكريات الدنيا . وصار
يضعف صوت الموسيقى شيئاً فشيئاً ثم أغمضت عيني وابتسمت

وأظن أن الناس أتوا وأقرأوا فوق ابتسامتى أثر النيذ والسم . وأظننى دخلت
القبر وأنا لا ازال ابتسم . ولما انتهت روحى بعد الموت رأيتم تتعلون التشريح
على جمجمتى التى كانت بها ذكر يأتى ... هل أعجبك هذه القصة ؟

فقلت : « هى قصة ممتعة ، ثم صاح الديك فقلت ! « هل أنت هنا ؟ ،
فلم يجبنى أحد ثم انار الفجر غرفتى .



التعاليم البرهانية

مضى على العالم الانساني ألوف من السنين اشتغل فيها بالحروب والقتال لاسباب عديدة مابين دينية وجنسية ووطنية واستعمارية ولم يفكر يوماً في استبدال هذه الوحشية بالآلفة والمحبة الا منذ ظهور حضرة بهاء الله الذي يدعى بحق انه أول معلم للانسانية فنادى في العالم بضرورة الصلح والصلاح وترك الحروب وانشاء محكمة دولية تفصل في المنازعات بين الدول كما تحكم المحاكم بين الافراد. وأسس بنيان هذا النظام. وأرسل الخطابات بذلك الى ملوك العالم. فابتدأ العالم منذ ذلك التاريخ يتنبه من سباته العميق واجتهد العظماء والافاضل في تنفيذ أو امره الى أن أرغمت الدول فعلاً بعد الحرب العظمى على تأسيس جمعية الامم. واجراء معاهدة ميثاق السلام.

ولم يكن أمر هذا المعلم العظيم أمراً بشرياً عادياً بل إنما هو مؤيد بشديد القوى وجميع الدلائل تدل على ذلك.

(فاولاً) جميع الاديان في العالم قد بشرت بظهور شخص جليل لهداية العالم واحياء النفوس الميتة وبعث الملل من قبور الأوهام والمخاضات. وهدايتهم الى السبيل السوى والطريق المستقيم طريق السلام. والصلح والصلاح.

(ثانياً) انتباه الأمم الى الخطر المحدق بهم. والمهاوى المعدة لفنائهم من قبل الحروب المدمرة التي لا بد أن تقع بينهم والتي يكون ما لها فناءهم حتى أدى لهم الحال الى اطاعة أو امره و انفاذ رغباته. فعلاً قام العقلاء بالتدريج على السير في الخطة التي انتهجها وبينها في كتاباته. نعم انهم لم يصلوا للآن الى الدرجة العليا التي يتطلبها ولكنهم جادون في اقناع جميع الشعوب بان هذه الطريقة هي خير وسيلة للراحة والاطمئنان في العالم وبدونها يكون الخراب والدمار.

(ثالثاً) ان جميع الذين قاوموه اصبوا بالفشل وضاعت ممالكهم وثلت عروشهم. فنبليون الثالث الذي استكبر على الله خرج الملك من كفه وثل عرشه العظيم. ومات مسجوناً مدحوراً، كذلك سلاطين آل عثمان الذين حبسوا بهاء الله في السجن الاعظم انمحقت دولتهم وبادت سلطنتهم ونكست أعلامهم. وطاشت سهامهم - كذلك دولة

القاجارية في ايران اندثرت ومحيت من الوجود وأصبحت في خبر كان - وهذه كانت الدولة العاتية الظالمة التي قاومتها ونفتته واضطهدت أتباعه . كذلك علماء ايران الذين قاوموه طردوا من الدولة وباءوا بخسران مبین . وفي نفس الوقت أخذ أمر حضرة بهاء الله يعلو يوما فيوما وأشرقت الارض بنوره ولمع وسطع ضياء شمس تعاليمه في بلاد اميركا واوروبا . واتبعه الملايين الذين قدسوه وعزّزوا اسمه وعشقوا امره وباءوا بحجته ودخلوا في جنة رضائه ونادوا في الخافقين رافعين أعلام هدايته . ونهبوا الرافدين في قبور الوهم والهوى . فاتحد الاتباع جميعهم شرقا وغربا . وتناسوا الاحقاد القديمة . وعقدوا الخناصر على المحبة والوثام . وتعاقد أهل الشرق مع أهل الغرب وأصبحوا بنعمة الله إخواناً جميعهم أولاد آدم واحد لا فرق عندهم بين شرق ولا غربى . ولا بين مسلم ومسيحى أو برهمى . وبوذى أو زردوشتي بل تراهم يفدون بعضهم بعضاً . ويقبلون تضحية كل غال وثمين في سبيل معلمهم وهاديهم المحبوب حضرة بهاء الله نور العالمين ومربي الأمم ومهذب الانسانية الجوهرة الفريدة والخريدة المكنونة من لم يسمح الزمان بمثله منذ القرون الأولى . ومن أكبر الأدلة على قوته السماوية هذا الاتحاد الذي حصل فعلا بين أفراد الأقوام المختلفة والأجناس المتنوعة مما لا يمكن حصوله مطلقاً بأى قوة بشرية كما قال تعالى (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) .

أما التعاليم (فأولها) وحدة العالم الانسانى لأنه قال بأن الجميع عبيد لآله واحد وفى ظل مربى الحقيقة . فقد منحهم الله تعالى جميعاً خلقه الانسانية لا فرق بينهم إلا بالتعليم فاذا وجد من بينهم جاهل وجب على المتعلمين تعليمه وتهذيبه كالمرضى يجب معالجته وكالطفل يجب تربيته . (وثانى تعاليمه) تحرى الحقيقة فى كل شىء . فجميع الانبياء أسسوا الحقيقة وروجوا الحقيقة وطلبوا من الناس اتباع الحقيقة . وبما أن الحقيقة فى ذاتها واحدة لا تتعدد فلو تحراها كل شخص بالدقة فلا بد أن الجميع يتحدون . (وثالث تعاليمه) ان الدين هو سبب الألفة فلو كان الدين سبب البغض والعداوة فعدم الدين أولى . (ورابع تعاليمه) مطابقة الدين للعلم لأن الذى يخالف العلم هو الجهل . وحاشا للدين أن يكون مظية للجهل . فالدين الحق لا يخالف العلم ولا العقل السليم . (خامس تعاليمه)

نحو التعصبات الدينية والسياسية والجنسية والوطنية لأنها جميعها هادمة للبنيان الانساني ولا يستريح العالم ما دامت هذه التعصبات فاشية بين الناس ولا يحصل له الفلاح والرقى لأن التعصب يجعل الشخص يميل إلى جهة ويعتقد أنها الصواب وما عداها هي الخطأ فيمنعه من بحث الطرف الآخر . (سادس تعاليمه) المساواة بين حقوق الرجال والنساء وفي جميع الكمالات من حيث العلم والتربية والتأديب والرقى (سابع تعاليمه) تعديل المعيشة بين البشر فيكون لكل فرد في العالم نصيب من السعادة الفقير مثل الغنى وليس ذلك بالمساواة التامة لأن المراتب تختلف ولكن يلزم الغنى مواساة الفقير حتى لا يحرم من القوت الضروري . (ثامناً) منع الحروب وتأسيس السلام العام فالانسان لا يزال واقعاً في الحرب والقتال والنزاع والكفاح - إما بأسباب سياسية او دينية أو مذهبية - فكم من ألوف الأسرات تشنت وانقرضت . وكم من ألوف الأطفال تيمتت . وكم من ألوف الأمهات أتكلت . فالحرب كالوحش الكاسر بل أضل لأن الوحش لا يفترس حيواناً آخر الا لتحصيل القوت الضروري - وأما الانسان فلا ضرورة تقضى عليه بمثل هذه الاعمال الوحشية ونعم ما قال الشاعر .

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا
ومراد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه وأن تتفانى

يندفع الانسان في تيار هذا التوحش لحب الشهرة والطمع وحب الظهور بمظهر القدرة والسطوة فيدأب على سفك الدماء وعلى التوحش . ومع أن أساس الاديان الالهية المحبة والالفة بين الجميع ولكن الناس جعلوه في هذا الزمان سبباً للضعفة والعناد والعداوة والاختلاف . وقاموا على بعضهم بنهاية الاعتساف . وتقاتلوا بالسيوف والسنان تارة بحرب ديني وطورا بحرب جنسي سياسي مع أن جميع الناس من سلالة واحدة ومن نسل آدم واحد وأهل وطن واحد وهو هذه الكرة الارضية التي نعيش عليها فلماذا تقوم الممالك على بعضها البعض بالتدمير والتخريب والحرب والصراع . وما ذنب تلك الامم المسكينة التي ربت طفلها بغاية المشقة والتعب مدة عشرين سنة حتي إذا بلغ أشده أخذوه منها قوة واقتدارا ووضعوه أمام المدفع ليحارب غيره من ابناء جلدته حيث لا جدوى ولا ثمرة .

فالحرب سجل مرة لك ومرة عليك فكم . من دماء سفكت بين المانيا وفرنسا حتى غلبت فرنسا ثم عادت واصبحت مغلوبة لالمانيا . وفي كل دفعة تزهق الار نفوس بلائمر . ويخيم الهلاك والحرب والتدمير والمحو والفناء : أنظر الى مملكة اليونان كم فتحت من الدول فيما غبر من الزمان . وكم هلكت لاجل ذلك آلاف النفوس واخيرا آل أمرها أن صارت مغلوبة فيما بعد مقهورة .

قسما برب العزة ان مثل هذه الوحشية لا تليق بالعام الحيواني فضلا عن العالم الانساني - هذا بعض من كثير مما ورد في خطابات حضرة عبدالبهاء في أمريكا واوروبا وقد تريد هذه الخطب على الألف . وفيها روح تعاليم حضرة بهاء الله .

فانظر الى قوة أمر شريعة حضرة بهاء الله من ذا الذي كان يتصور أن شخصا سجيننا منفيا قامت عليه دولتان قويتان مع قوة الملائات (العلماء) أصبح غالبا لجميع العالم تنفذ تعاليمه في نصف قرن في الشرق والغرب ان في ذلك آيات لمن كان قلب أوالقى السمع وهو شهيد احد فالبهائيه دين هذا العصر وهي روح هذا العصر وهي التاج الفريد على اكليل هذا العصر . وهي العزة الواضحة في جبين هذا العصر . وهي الغاية القصوى لعقلاء وفلاسفة هذا العصر . وهي المرشد لسلاسة هذا العصر . وهي مطمح آمال ملوك هذا العصر تحتوى على أرقى المبادئ واسمى التعاليم الصالحة لهذا العصر .

عبد الجليل سعد
القاضى بالمحاكم الاهلية



أطلب من دار العصور للطبع والنشر
بشارع الخليج المصرى : بالظاهر بمصر

الاشتركية

أقوم بمبحث في حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها



هذه طباع الناس معروضة
نخالطوا العالم أو فارقوا ،
أبو العلا ،

اجتماع الحبيبين

65011059

في زمن حكم غليوم ملك صقلية كان يعيش في مملكته رجل من الاعيان اسمه
السيد امبرى ، رئيس دير « تراباني » وكان ينعم بثروة عظيمة
خلف هذا السيد ذرية كثيرة من الاطفال فأحوجه ذلك الى كثير من الخدم .
وتم عزم على شراء كثير من صغار العبدان الذين اختطفهم من أطراف « أرمينيا » بعض
من يحترفون القرصنة من أهالي « جنوا » وجاءوا بهم من الشرق .
وكان بين أولئك العبدان الصغار الذين هم على ما يظهر من أصل تركي ويشبهون
الرعاة طفل تبدو على وجهه الوداعة أكثر من الآخرين وتلوح على سياه دلائل
النبل والرفعة
وكان اسمه « تيودور » وهو وإن كان عبدا رقيقا إلا أنه نشأ بعد ذلك وترعرع
بين أطفال السيد إمبر وكان لا يأكل إلا معهم .

وكما كبر نمت عواطفه وتيقظ شعوره وتنهب طبيعته الحساسة التي لم تكن تماثل طبيعة العبيد

وجماع القول أنه عرف كيف يهرسده بمزايه النادرة حتى أعتقه واقتنع بأنه من أصل تركي عريق فعمده وأسماه « بطرس » وجعله أمينه

وكان للسيد إمبرى فتاة اسمها « فيولانت » على جانب عظيم من الامانة وهى ذات وجه فاتن جذاب وكانت حينئذ فى المرحلة السعيدة من العمر حيث يبدأ الشعور بالحاجة الى الحب .

لم يكن يفكر أبوها فى تزويجها فألمها هذا الإهمال ووقعت فى حب بطرس - وقد كانت لا تتردد فى إظهار حبها له عن طيبة نفس - لو لم يمنعها الحياء عن ذلك . وكان ما يلقاه بطرس الفتي من إكرامها - مع ما ركب فى نفسه من الصفات الكريمة التى خصته الطبيعة بها - سبباً فى توليد ميل فيه نحوها لم ينشأ ان صار هياماً حقاً بكل معانى هذه الكلمة .

ولكنه لم يجرؤ على اطلاعها على ما يكنه لها قلبه من هوى وتحامى جهده أن يعمل أو يقول قولاً يدل على ذلك

فلم يتسرب الى أحد فى البيت أى ظن ولا حامت حوله أية ريبة . ولكنه كان اذا خلا مع (فيولانت) - أقل حذراً ، فلم تخف عليها حاله وسهل عليها الاهتمام الى حبه اياها من خلال إجلاله واحتراسه الدائمين .

وأرادت أن تشجعه على الحب فأخذت ترعاه منذ ذلك الحين فلا تبتدى له سخطاً أو غضباً اذا رأت تنهده الذى كان يديه أمامها أو نظراته المختلسة التى لم ينقطع عن استراقها منها .

وبالرغم من كل العقبات لجأ الى لغة العيون وان كانا يودان لو أتاحت لهما فرصة الافضاء بالكلام الصريح .

وأخيراً رق لحالهما انزمن فأمكنتهما الفرصة من تحقيق ذلك الأمل المحبوب ، وأزالت الخوف الذى كان يحول بينهما وبين الافضاء بحقيقة هيام كل منهما بالآخر

كان للسيدة امبرى — على بعد نصف فرسخ من « ترابانى » قصر فى الريف على جانب كبير من الفخامة ، تذهب اليه زوجها وابنته مع سيدات اخريات فيقضين فيه اوقات السرور والانشراح

ففى ذات يوم خرجت تلك السيدة ورقفتها — وخرج بطرس فى صحبتهن حسب عادته — ولما حان وقت العودة إلى المدينة غامت السماء وتلبدت فجأة بالسحب — وكان ذلك يحدث كثيرا فى فصل الصيف — وأنذر كل ما فى الطبيعة بقرب هبوب العاصفة .

وخشيت السيدة امبرى ورقيقاتها أن يعوقن ذلك عن الوصول إلى المنزل فأسرعن بالعودة إلى « ترابانى » وظلن يسرن الخطا ليصلن فى أقرب وقت

أما الفتى والفتاة فقد حمسهما الحب وبعث فيهما من القوة والنشاط ما أنساها شدة العاصفة فسارا أمام الجميع مغذين السير إغذاذا وتقدماهما بمسافة كبيرة وما زالا يغذان السير حتى غابا عن الأنظار ثم قصفت الرعود داوية مجلجلة وقامت على أثر ذلك زوبعة هائلة اضطرت الأم ورفيقاتها إلى الالتجاء إلى كوخ مزارع فى الطريق

أما « بطرس » و « فيولانت » فلم يجدا أمامهما ملجأ يحتميان به الاطلالا باليا تهدمت جوانبه فلم يبق فيه الا لوح واحد من ألواح السقف فوقفا تحته يتقيان به هطول المطر واضطرهما ضيق المكان إلى تلاصق جسميهما معا ، وقرب بينهما هذا التلاصق وزاد توثيق عرى الألفة بينهما كما أثلج قلبيهما الهائمين وأتاح لهما فرصة الافضاء بما يحنه قلباهما من الوجد — بصراحة لا مواربة فيها — فبدأها الفتى المحب قائلا: —

« كم أنا مدين لهذه العاصفة بالسعادة و كم يبهجنى أن تطول فلا تنتهى أو تتحول إلى أبد — لو كان ذلك فى حدود الامكان — حتى أظل هكذا سعيدا بالقرب منك يا حبيبتي ،

فأجابته الفتاة

« ليت ذلك فى الامكان »

ولم تكد تم قولها حتى تناول « بطرس » يدها بلهفة المشوق وانهاه عليها بالقبلات ، وأجابت الفتاة انعطافه وتودده بمثلها وأكثر ثم تعانقا والتقت شفاههما المحترقة بنار

الوجد وأسرفا في اجتناء أعذب ثمار الحب منتقمين من تلك الايام الطويلة التي لم يتمكن فيها من.



بطرس وفيولانت

المصارحة بحبيهما .
ولن أتدخل في
تفصيل ما تذوقاه —
حيث — من صنوف
اللذات في تلك الخلوة
المنفردة التي التقيت فيها
رأساً إلى رأس
وحسبي إن أقول
إن العاصفة لم تنته
الابعد أن نعما بكل

ما يمكن أن نعم به حبيبان لا يقل هيام أحدهما عن هيام الآخر، دون أن يحسب اللستقبل حساباً

سكنت العاصفة فسارا في طريقهما الاولى حتى بلغا أبواب المدينة ثم انتظرا
وصول بقية الرفقة، فلما حضرت ذهبوا جميعا إلى المنزل
ولم ينس الحبيبان — بعد ذلك — تلك السعادة التي نعم بها في ذلك الطلل المتهدم
فترقب اسنوح الفرص حتى إذا أمكنتهما لم يدعاهما تقلت من أيديهما دون أن ينتزهاها ،
ولم يرتب في أمرهما أحد، وتكرر ذلك الامر حتى حملت منه الفتاة فحزنهما ذلك أشد
الحزن، وحاولت فيولانت، أن تتخلص من حملها وطرقت في ذلك كل حيلة فلم تنجح
ولم يكن بطرس أقل هما منها فقد أيقن أن ذلك الحادث لن يردون أن يودى بحياته
فصمم على الهرب وكشف حبيته بعزمه فقالت له :
« إذا هربت فاني أقتل نفسي بلا تردد » :

— وماذا تريد أن أعمل يا حبيبتي بعد أن يظهر أمرك وتكشف حيلتنا؟ انهم
سيرحونك لضعفك ويجدون لك من ذلك الضعف شفيعاً. أنا فماذا يشفع لي أنا التمس المسكين
الذي لا يخفف من شناعة جرمه أي اعتبار فهل تريدني على أن استهدف لنقمة أليك العادلة
وأذهب ضحية غضبه الحق ؟

—: لن أستطيع أن اخفي جرمي طويلا ، ذلك أمر مقرر أعترف لك به ، ولكن كن على ثقة يا حبيبي أنك — اذا حافظت على كتمان سرى كما احافظ انا — فلن يستطيع أحد أن يعرف أنك أنت الذى ارتكب هذا الجرم أو اشترك فيه قط ، ثقبذلك واعتمد على حبك وإخلاصى لك . .

وعلى هذا الشرط قبل حبيبها أن يبقى فى البيت وقال
« سأظل مقبيا هنا ، فاذكرى وعدك هذا يا حبيبتى . »

ورأت « فيولانت » ، أن بطنها تعلق قليلا قليلا على مر الايام وعلمت أن من المحال أن تخفى حالها طويلا فكشفت امها بحقيقة أمرها وتوسلت اليها — والدموع فى مآقيها — راجية منها أن تنقذها من هذه الورطة .

ولم تكذب تعلم امها بذلك منها حتى أفعم قلبها ياساً ، فانهاالت عليها لوما وتعنيفاً وسبابا وطلبت إليها أن تخبرها باسم من جنى عليها وهتك عفافها . ولكن الفتاة تحاشت أن تذكر اسم حبيبها حتى لا تعرضه للخطر ، فلفقت لأمها اكنوبة لم ترتب الام فى صدقها وأخذتها حقيقة مسلما بها ، وترقت الام وابنتها فرصة سانحة فرحلا معا الى الريف .

وحان وقت الوضع وأحست الفتاة بالطلق فظلت ترسل صيحات الألم عالية داوية فى اجواز الفضاء ، وانها لكذلك اذ عاد ابوها من الصيد ولم يكذبصل الى منزله ليستريح من العناء حتى قرع أذنيه صوت ابنته المتألمة وصرخاتها العالية فالسرع الى غرفتها توا ، ولم يكذب يرى أمها حتى سألها عن جليلة الأمر .

بهتت الأم حين رآته أمامها ورأت كل انكار لا يجدى فاضطرت الى الافضاء اليه بحكاية ابنتهما كما سمعتها منها بلا تحريف . ولكنه كان أقل انخداعا من زوجها وأقل اغضاء فلم يقتنع بذلك التلفيق وقال لها إن من المحال على « فيولانت » ، أن تجهل الشخص الذى حملت منه . وليس لها عناصر — اذا أرادت أن يصفح عن زلتها — من أن تصارحه بالحقيقة كاملة ، والا كان جزاءها الموت المحقق بلا رحمة .
بذلت الأم كل ما فى وسعها فى تهدئة زوجها وتخفيف غضبه ، أكدت له أنها

ستنفذ اشارته ، محاولة بذلك أن تشغله قليلا أو تهدىء من روعه ولكن شيئا من ذلك لم يجد ولم تستطع ان تترضاه بهذه الوسيلة .

فقد اقترب الزوج من ابنته — شاهرا في يده حسامه — وكانت قد وضعت غلاما أثناء ذلك الحوار ، فلم يرث لضعفها واقبل عليها غاضبا ، فخيرها بين موت وشيك أو تفضي له باسم والد الطفل . وثمة حملها الخوف على خيانة حبیبها ، فاعترفت لآيها بكل شيء . بعد أن ترددت كثيرا في الافضاء اليه بالحقيقة .

اشتد حقن امبرى ، حين عرف مقترف ذلك الاثم فانها لم عليها سبا وتعنيفا وكان ينفذ سيفه في جسمها ، لو لا أنه غالب نفسه مغالبة شديدة مؤجلا انتقامه منها الى وقت آخر .

وظل يصب عليها من اللعنات والسباب ماشاء له غضبه حتى نفس بذلك عن صدره قليلا . ثم ركب جواده عائدا الى « ترا بانى » وكان أول همه — بعد أن بلغ المدينة — أن يذهب الى السيد « كونوراد » الذى كان متوليا القضاء فى ذلك البلد ونائبا عن الملك فيه . ولم يكدر يرفع اليه شكواه حتى أمر بالقبض على « بطرس » فى الحال وشرعوا يحققون معه ولجأوا الى وسائل التعذيب القاسية حتى أرهقوه ارهاقا فأقر لهم بكل شيء . ولم يكدر ذلك التعس يعترف لهم بجرمه حتى حكموا عليه بالاعدام شنقا — بعد أن يجلد أولا فى ميادين المدينة

ولقد سر « امبرى » من ذلك الانتقام وان كان لم يشف كل غليله ويرضى شهوة انتقامه الجاححة كلها ، فصمم على اكمال ظفره بقتل ابنته وولدها فى نفس اليوم الذى يشنق فيه عشيقها وامتلأت نفسه بتحقيق تلك الفكرة السوداء فنادى خادما له يثق به ويعتقد بأمانته ، فخرج أمامه بالسهم بالنيذير وضعهما فى قدح وناولته إياه كما أعطاه حساما أيضا ، ثم قال له - :

« اذهب الى « فيولانت » قتل لها - واحذر أن تخالف أمرى — إنها خيرة بين إحدى الميتين بالسهم أو بالسيف ، فاذا أبت أذقتها ماهى جديدة به من النكال على ملاء من الناس .

ومضى انتهت من ذلك فخذ طفلها الذى أتت به الى هذا العالم فاضغط

رأسه بين يديك وبين الحائط ثم الق به فى أقدر طريق من الطرق .

كان الخادم متوحشاً ميالاً الى الشر والاجرام فذهب لتحقيق أمر سيده دون أن يشعر بشئ من الكراهية لادائه .

وكان لابد من إنجاز كل هذه الاعمال الفظيعة - البالغة أقصى حدود القسوة - فى نفس اليوم الذى يعد فيه «بطرس» .

ولقد أخرجوا «بطرس» من سجنه الضيق - بعد أن جلدوه مائة جلدة - وذهبوا به الى ساحة الاعدام ، فمروا أثناء سيرهم بنزل شير كان فيه وقتئذ ثلاثة من الارمن ذوى الخطر ، وكان ملكهم قد أرسلهم الى «روما» ليقابلوا «البابا» رغبة فى تسوية مسألة هامة عظيمة الخطر ، وعن لهم أن يمضوا بضعة أيام فى تلك المدينة فلما علم بذلك أعيانها وسراتها أسرعوا الى لقائهم والاحتفاء بمقدمهم .

وبلغ اسماع أولئك السفراء نبأ قدوم ذلك المجرم فأطلوا من النوافذ لرؤيته - وكان عارياً من رأسه الى وسطه وكانت يده مغلولتين الى ظهره - ورآه «فينيه» - أحد السفراء الثلاثة وكان شيخاً وقوراً جليل القدر فاهتم لأمره ولمح على صدره علامة كبيرة حمراء اللون حبه بها الطبيعة - من ذلك النوع الذى يطلق عليه النساء هنا اسم (الورد) ويسمونه أيضاً (وحما) - ولم يكد يراها حتى أعادت الى ذهنه فى الحال ذكرى أحد أطفاله وكان قد اختطفه قرصان منذ خمسة عشر عاماً وانقطعت عنه أخباره منذ ذلك الحين ، وذكر أن ولده لوعاش الى اليوم لأصبح فى مثل هذه السن ، فساورته الشكوك والقلق على هذا الغلام وخشى أن يكون ولده ولكى يحسم هذه الشكوك ناداه باسمه ، ولم يكد يسمع «بطرس» نداءه حتى رفع اليه بصره - عن غير قصد - وثمة وقف الجلادون احتراماً للسفير ، فسأل المتهم من أى بلد هو ومن أبوه ، فقال «بطرس» - أنا من «أرمينية» واسم أبى «فينيه» وقد جاءنى الى هنا قوم لا أعرف من هم

وثمة لم يرتب «فينيه» بعد أن سمع منه هذا الجواب فى أنه ولده فأسرع الى ضمه وأقبل زميلاً عليه يهتونه بلقائه ورأى الجلادون ذلك فكفوا عن شق الغلام ، ثم القى السفير على ولده معطفاً ثميناً ليغشى به جسمه ، وأخذ من الضابط أمراً بوقف التنفيذ حتى يصدر أمر آخر ، ولما علم السفير من أفواه الناس السبب الذى حكموا على

ابنه بالشئ من أجله . ذهب ومعه السفيران ورجال الحاشية الي السيد «كونوراد» فقال له - «ان الذى حسبته عبداً ليس إلا حراً وهو ولدي وأنا أبوه وهو مستعد للزواج من تلك الفتاة التى يزعمون أنه غرر بها ، فافرق به من أجل حتى نرى نواياه، فإذا قبلته الفتاة زوجاً لها عفوت عنه دون أن تكون قد خالفت القانون أو عملت ضد نصوصه» .

نجل الحاكم من تسرعه فى الحكم على ابن السفير الذى كان يحسبه عبداً رقيقاً وشعر بدهشة شديدة، وأدرك أن «فينيه» على حق فى طلبه فأقره فى الحال . ثم أرسل الى «امبرى» فأحضره وقص عليه ما حدث، فتعاطمت دهشته ، وكان لا يشك فى أن ذلك الحكم القاسى قد نفذ فى ابنته فندم أشد الندم على تسرعه ولكنه أسرع بإرسال رجل آخر الى ابنه ليحول دون إهلاكها إذا كان فى الوقت متسع : وقد وصل ذلك الرسول — لحسن الحظ — قبل فوات الفرصة فوجد الخادم واقفاً أمام سرير «فيولانت» ممسكاً السيف باحدى يديه والسم بالآخرى محاولاً ارغام الفتاة المسكينة على تخير إحدى الميتين فأظهر له ما قرره سيده، فاطمأنت الفتاة وعاد الرجلان الى سيدهما ليخبراه بما تم .

* * *

امتلات نفس «امبرى» فرحاً بذلك فذهب الى لقاء السفير «فينيه» معترداً اليه بجهده طالباً منه الصفح عن تلك الخشونة التى عامل بها رفيقه القديم مؤكداً له أنه يكون أسعد الناس إذا تزوج «تيودور» من ابنته التى يسمح له بها عن طيبة خاطر، فقبل منه «فينيه» اعتذاره وأخبره أنه شديد الرغبة فى تزويج ولده من ابنته مؤكداً له أنه إذا رفض ذلك لم يكن له من جزاء على رفضه الا الاعدام وكذلك تم الاتفاق بين الأبوين ، فذهب الى تيودور الذى لم يكن قد عاد إلى رشده بعد من الذعر الذى اشتمل عليه . ولم يكده يطلب اليه أن يقترن بفيولانت حتى نسي كل آلامه لفرط ما غمره من السرور والابتهاج وقال له

— : «ليس أشهى الى قلبي من تحقيق هذه الأمنية التى ستجعلني — إذا تمت —

أسعد إنسان فى العالم» .

ثم بعثوا الى «فيولانت» يسألونها عن رأيها فى الاقتران بتيودور ، فلم تنكد تسمع منهم ذلك حتى تبدلت آلامها فرحاً وامتلات نفسها أنساً وابتهاجا وقالت:

لهم انها لا ترى في العالم كله ما يعدل سرورها بهذا الزواج من حبها وتودور، وهكذا
تم عقد الزواج في نفس اليوم وان كانوا قد ارجأوا حفلة العرس حتى يعود فينيه ، بعد
أن يتم مهمته التي جاء من أجلها مع البابا
وقد ابتهج كل من في المدينة بخلاصهما واقبلت فيولانت ، على طفلها ترضعه
وصفا لها الوقت فاشرق جالها واكمل حسنهما ولم تكذ تنتهي من أيام النفاس حتى عاد
، فينيه ، من روما فلم تتوان في القيام بواجب حميها على أتم وجه ، وقد رأى السفير منها
ما بهره من جمال وأمانة فعاملها كما يعامل ابنته وقد تمت حفلة العرس على أحسن ما
تم عليه حفلة من بهاء وروعة

* * *

وبعد أيام قلائل عاد فينيه ، الى وطنه ومعه ابنه وزوج ابنه وطفلها فوصلوا الى
بلدهم سالمين ، وعاش الزوجان عيشة هادئة لذينة ناعمين بين أحضان الحب .
وقد يجمع الله الشيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
تمت



أوبرا ت أبي شادي
ثروة أدبيّة فنيّة
من شعر الغناء والمُثيل
تطلب من المكاتب الشهيرة

مَصْرَعُ الْخَلْفَاءِ

مَشَاهِدٌ رَائِعَةٌ نَقَلَهَا عَنْ التَّارِيخِ

بقلم كامل كيلاني

ويادهر لحال الله • ماهنأت فرحانك
• ابو العلا •

(١)

تمهيد

ليس أروع للنفس من تمثل مصارع الناس والاستماع اليهم في ساعاتهم الاخيرة وتعرف ما قالوه — وقت حلول الأجل — وآخر ما نقوهوا به من الكلم قبل أن يفارقوا هذا العالم — خيره وشره — فراقا أبديا لا عودة لهم اليه بعده .

واذا كان ذلك هو شعورنا نحو الموت ، فلا جرم أنه يزداد ويتعاضد الى اقصى حد ، حين يقترن بعظمة الملك وأبهة السيطرة والسلطان ، فليس أشجى للنفس من تمثل مصرع خليفة أو قائد كبير أو شاعر عظيم أو أى واحد من اساطين هذا العالم الذين نقشوا في تاريخ الانسانية صفحات لا يمحوها الزمن

ولعل خير ساعة يستعرض فيها المتأمل تاريخ حياة انسان هي ساعة احتضاره فانه ليرى — أمام كل صورة من صور الضعف — صورة أخرى من صور القوة . ويلح بجانب تلك الصور المشجية الحزينة ، ما يقابلها من صور حياتهم البسامة المشرقة .

كامل كيلاني

(١) من كتاب للؤلؤ تحت الطبع وقد عنيت بنشره مكتبة الوفد لصاحبها

محمد محمود بشارع الفلكي بجوار باب اللوق بالقاهرة

مصرع المعتر (١)

« ثم ادخلوه سرادبا وجصصوه عليه فمات ،
« المؤرخون ،

سبب مصرعه

قالوا — :

« ان الاتراك طلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده مال يعطيهم ، فارسل الى امه
يسألها مالا ، فقالت له — : ما عندي شيء ،

قالوا — :

فاتفق الاتراك والمغاربة والفراعنة على خلع المعتر ، فصاروا الى بابه فقالوا — :

« اخرج الينا ،

فقال — :

« قد شربت أمس دواء ، وقد أفرطت في العمل ، فان كان لابد من الاجتماع فليدخل

بعضكم الى ،

كيف صرع

فدخل اليه جماعة منهم فجروه برجله الى باب الحجره ووضه بوه بالدبابيس وخرقوه
قيصه وأقاموه في الشمس »

(١) هو ابن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد ، وكنيته ابو عبد الله
وكان ابيض أسود الشعر ، وقد ولد بسرمن رأى سنة ٢٣٢ هـ . ومكثت خلافته
اربعة سنين وسبعة اشهر الاسبعة ايام وكان عمره اربعا وعشرين سنة وثلاثة
وعشرين يوما . وكان اسم أمه « قبيجة »

قالوا : وكان قد سهاها المتوكل ذلك لحسنها وجمالها كما يسمى الاسود كافور قالوا :
وكان لها أموال عظيمة ببغداد ، وكان لها مطمور تحت الارض نحو الف الف دينار
ووجد لها في سبط قدر مكوك زمرد ، وفي سبط آخر مقدار مكوك لؤلؤ وفي سبط

مقدار كبلجة ياقوت احمر لا يوجد مثله ونبتش ذلك كله !

فكان كما يقول المؤرخون — يرفع رجلا ويطيع أخرى لشدة الحر .
 وكان بعضهم يلطمه — وهو يتقى يده ، وأدخلوه حجرة واحضروا القاضي (١)
 وجماعة فأشهدوهم على خلعه .

ثم سلموا المعتز الى من يعذبه ، ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام
 ثم أدخلوه سردابا وجصصوه عليه فمات ودفنوه بسامرا مع المتصر .

(٢) مصرع مروان الجعدي

أو « حمار الجزيرة »

« ولو علم بنو مروان انهم انما يوقدون
 على رصف يلقونه في اجوافهم ما فعلوا »
 « الوليد الثاني »

كيف صرع

« وطعنه رجل من أهل البصرة ، وهو لا يعرفه فصرعه ، فصاح ، صائح : « صرع
 أمير المؤمنين ! » وابتدروه . فسبق اليه رجل من أهل الكوفة — كان يبيع الرمان
 فاحتز رأسه ! » « المؤرخون »

(١) وكان اسم القاضي « أبا الشوارب » ،

(٢) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ويلقب بحمار الجزيرة ، ويكنى
 أبا عبد الملك ، كانت ولايته ، من حين بويج الى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر
 وستة عشر يوما ، وكان قتله يوم الاحد لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢ ،
 وكانت سنة يوم قتل اثنين وستين عاما — في قول بعض المؤرخين ، وكانت موقعة
 « الزاب » المشهورة ، قضاء مبرما عليه وعلى جيشه ، فقد اندحر مروان فيها يوم
 السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ١٣٢ ، وقد اقترن مصرعه
 بمصرع الدولة الاموية فكان مصرعا مزدوجا ، وسنجل في مقال الشهر التالى
 أهم الاسباب التى تضافرت على انجاز هذين المصرعين ، مصرع الدولة الاموية
 ومصرع مروان الجعدي ! »

(١) طلائع الثورة

فراخ عامين ، إلا أنها كبرت لما يطرن ، وقد سربلن بالزغب
فان يطرن - ولم يحتل لهن بها - يلهن نيران حرب ، أيما لهب

« نصر بن سيار »

ولكن الفراخ كبرت وطاروت ولم يحتل لها ، فصحت نبوءة « نصر بن سيار »
وألهبت نيران حرب شعواء ، ذكا أوارها واندلع لهبها ، فكان وقودها مروان الجعدي
والدولة الأموية معاً ، ولم تخمد جذوة هذه النار المستعرة ، إلا بعد أن أتت على الأخضر
واليابس ، وغيرت وجه التاريخ ، وأحدثت انقلاباً هائلاً في كل مرافق الأمة العربية
وشئوننا تقريباً !

لقد رأى « نصر بن سيار » خطر المنافسين يتعاظم يوماً بعد يوم ، وشاهد اتباعهم
في ازدياد ، ودعوتهم في ذبوع وانتشار ، فلم يدخر وسعاً في تحذير الأمويين من
أعدائهم واحتاثهم ليقضوا على الثورة وهي في مهدها ، وكان يرى نجاح دعوة
أبي مسلم الخراساني واتساع نطاقها ، فيبعث التحذير بعد التحذير ، والانذار تلوا الانذار
حتى بح صوته وذهبت صيحاته كلها أدراج الرياح !

ولعل أحداً لا يجهل آياته الصادقة التي ختم بها إحدى كتبه التي بعث بها إلى
مروان الجعدي ، حين رأى انتشار الدعوة إلى بني العباس وذبوعها في خراسان
سنة ١٢٩ هـ ، وهي قوله :

أرى خلل الرماد وميض جمر فأحج بأن يكون لها ضرام

فاز النار بالعودين تذكي وإن الحرب ، مبدؤها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعري ! أيقاظ أمية ، أم نيام ! ،

ولكن بني أمية كانوا نياماً عن عدائهم ، منهمكين في أشباع شهواتهم الحقيرة
مشتغلين بالانتقام بعضهم من بعض ، لاهم لهم إلا التباغض وإثارة الفتنة الداخلية بينهم
حتى جاءهم أمر الله فاحمى ملكهم من المشرق ، وقضى عليهم قضاء مبرماً في سنة ١٣٢ هـ
وصدق قول القائل : ولكل أهل بيت مشائيم ، يغير الله النعمة بهم و . لن ينتقل
سلطان قوم قط إلا في تشيت كلتهم ! ، وصح فيهم قول من قال :

أوتيت ملكاً ، فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك بخلفه

(٢) موقعة الزاب سنة ١٣٢ هـ

« كل شيء قاتل حين تلقى أجلك ! »

ليس أدل من هذه الموقعة على الفوضى الضاربة أطنابها في جيش الامويين والتخاذل الشامل ، وسوء الرأي ، فقد تجلت في هذه الموقعة صفات النذالة والاحجام في أكثر الجيش الاموي واضحة جلية ، كما تجلى فيها ارتباك مروان وخوره ، وتوانيه في رسم خطة يسير عليها جيشه قبل أن يلتحم في المعركة ، وكان لاحجام قواده ومخالفتهم أوامره أسوأ النتائج وابتعد الاثر في هزيمتهم الشاملة ، أما الوليد بن معاوية بن مروان « صهر » الجعدى « فقد أذكرتنا حماقته وتهوره ، بصهر عثمان رضى الله عنه وما أبداه من خرق في مخالفة رأيه !

لقد أمر « الجعدى » جيشه ألا يبدأ بالقتال ، وقرأه على ذلك ولكن صهره الاحمق « الوليد بن معاوية » بدأ القتال لحمل على الميمنة فاشتبكت الحرب — على رغم الجعدى ، واستعرت لظاها فجأه أيما استعار ، ونفذ قضاء الله وهنا يسرع « مروان الجعدى » — بعد أن نفذ السهم ، فيقول لقضاة : « احملوا ، فيقولون له : « قل لبني عامر فليحملوا ! »

فيرسل الى « السكون » أن احملا ، فيقولون : « قل لغطفان فليحملوا ! » فيقول لصاحب الشرطة : « انزل ! » فيجيبه : والله ما كنت لاجعل نفسى غرضاً ! ، فيقول له الخليفة متوعداً : « أما والله لأسوءنك ،

فيجيبه صاحب الشرطة هازئاً : — « وددت والله أنك قدرت على ذلك ، وثم زاد ارتباك مروان ، وتعاضم خباله ، أمام جيش اخراسانيين ، فكان — كما يقول المؤرخون — لا يدبر شيئاً الا كان فيه الخلل والفساد ، أراد أن يشجع رجال جيشه — وهم يقتلون — فأمر بأموال فأخرجت ، وقال للناس : « اصطبروا وقاتلوا فهذه الاموال لكم ،

فانعكست الآية ، وتهافتت فئة منهم على ذلك المال فجعلت تصيب منه ، فلما قالوا له : « إن الناس قد مالوا عن هذا المال ، ولا تأمنهم أن يذهبوا به ، أراد أن يتدارك هذا الخطأ ، فوقع فيما هو شر منه ، فقد أرسل إلى ابنه عبد الله ، أن

يسير في صحابته إلى مؤخر عسكره فيقتل من أخذ من ذلك المال ويمنعهم!

فإذا كانت النتيجة

رأى الناس «عبدالله» وقدمال برايته وأصحابه، فحسبوه مولين؛ فصاحوا الهزيمة،

فكانت الهزيمة الشاملة!

وبمثل هذه التصرفات العجيبة المربكة الخاطئة، اندحر الجيش الاموى وانهزم

مروان في موقعة «الزاب» شر هزيمة

قالوا: «وقطع الجسر، فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل

(٣) فرار الخليفة

«كذبتهم أمير المؤمنين لايفر»

قالوا: «وانهزم مروان حتى وصل مدينة الموصل، فزادهم أهل الشام: هذا

مروان! فقالوا: كذبتهم أمير المؤمنين لايفر

طريق الفرار

ولكن أمير المؤمنين قد فر وأمعن في فراره، فما كاد يستقر بموضع حتى

تداهمه طلائع العدو، فيغادره هارباً إلى موضع آخر

فر إلى «حران» فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً، ومضى منهزماً حتى مر بقنسرين

و«عبدالله بن علي» متبع له، ثم هرب «مروان» إلى «حمص» فأقام بها يومين أو ثلاثة

ثم شتخص منها وهو مرعوب منهزم، ومضى حتى مر بدمشق وتركا حتى قدم

«فلسطين» وتابع فراره حتى وصل إلى مصر

(٤) مطار دته في مصر

وجاء كتاب «أبي العباس» يأمر بتوجيه «صالح بن علي» في طلب «مروان» فصار

صالح بن علي في ذى القعدة حتى نزل بالرملة، وسار «صالح» بجيشه حتى نزل ساحل

البحر وتجهز يريد «مروان» الهارب «بالغرماء» حتى نزل صالح «بالعريش» فلما

علم «مروان» بذلك أحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب، قالوا:

ومضى صالح بن علي فنزل النيل، ثم سار حتى نزل الصعيد وبلغه أن خيلاً مروان

بالساحل يحرقون الأعلاف فوجه اليهم قواداً، فأخذوا رجالاً فقدموا بهم على «صالح»

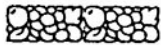
وهو بالفسطاط فعبر مروان، النيل وقطع الجسر و حرق ماحوله ، ومضى « صالح »
 يتبعه ، فالتقى — هو وخيل «ل مروان» على النيل فاقتلوا ، فهزمهم صالح
 وهكذا ظل يطارد «صالح» حتى اهتدى إلى مكانه الذى لجأ إليه فى كنيسة بوصير
 خاتمة مروان — كيف صرع

قالوا : فوافوهم فى آخر الليل ، فهرب الجند ، وخرج اليهم «مروان» فى نفر يسير فأحاطوا به
 قالوا : وطعنه رجل — من أهل البصرة ، وهو لا يعرفه فصرعه
 فصاح صائح : صرع أمير المؤمنين
 وابتدروه فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتزر رأسه ٤

*

* *

وهنا يروى لنا بعض المؤرخين ، رواية أقرب إلى القصص والخيال وان
 كانت غير مستحيلة الوقوع فيقول
 إنهم لما أحضروا رأسه قدام صالح بن على أمر أن ينفذ فاقطع لسانه فأخذته هر
 وأرسله صالح إلى السفاح وقال
 قد فتح الله مصر عنوة بكم * وأهلك الفاجر الجعدى إذ ظلمنا
 وذلك مقوله هر يجره * وكان ربك من ذى الكفر منتقيا
 قالوا ولما وصل الرأس إلى (السفاح) وهو بالكوفة سجد شكرا لله !



الاعتراف (١)

أو أم رتبة ،

SCOTT'S

ليس حسنًا بالرائع ، ولا قوامها بالقوام النادر الفذ ، ولكنها مع ذلك جميلة جذابة ، يتناسق شكلها الاجمالى فى مجموعته فيغطى على ماقد يلححه المتفرس المنتبه من هنات طفيفة فى بعض الاجزاء

عينها وفوها وأنفها ، هى سر كل سحر ، ومصدر كل فتنة ، وهى كافية باشتغال الناظر عن كل ماعداها ، ولصوتها رنة موسيقية تفعم قلب السامع بالسرور وتملاه طربا ونشوة ، ولها ذوق نادر فى اختيار الأزياء ، واهتداء موفق فى انتقاء هندامها قصيرة القامة ، رفيعة الجسم ، جذابة الحديث ، ولكنها غريرة طيبة القلب فارغة العقل ، قابلة للتأثر بما تسمعه ، يسهل استهواؤها ، ولا يتطلب التأثير عليها عناء كبيرا زوجت من مزارع غنى وهى فى السادسة عشرة ومكثت معه نحو عامين ثم مات تاركا لها ثروة متوسطة ، يربو ايرادها السنوى على المائة جنيه

وعن لها أن تترك بلاد الريف لتقيم فى القاهرة ، ثم لم تتردد فى انفاذ هذه الفكرة فاستأجرت شقة أقامت فيها بضعة أشهر ، تعرفت فى خلالها بسيدة فاضلة تسكن المنزل المقابل لبيتها ، ولم يمض زمن طويل حتى توثقت أواصر المودة ، ووصل الحب بينهما الى أقصى حد ، وكان لتلك السيدة أخ وديع لين العريكة ؛ يكره اللجاج ويمقت المغامرة وكانت زوجته عاقرا مكث معها ستة عشر عاما فلم تلد له ، فقطعت نفسه الى الزواج من أخرى ، فلم ترأختها أليق من الست (أم رتبة) صديقتها المخلصة ، ولا أصلح لأخيها ظلت أخته ترغبه فيها وتصف له محاسنها ، مبالغه له فى سمو اخلاقها ، ووفرة أدبها ، ناعته اياها بكل ما خيله لها اخلاصها وحبها

أقدم أخوها على الزواج منها ، فرأى من جمالها ما بهره وهيمن على قلبه ، وملك عليه له ، ورأت فى زوجها من كرم الاخلاق وجمال العشرة ما حببها فيه ، وقد

عنى بابنتها «رتيبة» التى خلفتها من زوجها الأول عناية الأب بابنته لا الزوج بابنته وزوجه
أقبل السيد «حسن» على الست أم «رتيبة» بكل جوارحه كما أخلصته له ، ولم
تدخر وسعاً فى سبيل السعادة والولاء له ، وقضى معها أسعد الاوقات وأهنأ الساعات
ناسياً زوجه الأولى التى اشتغل قلبه عنها بزوجه الجديد ،

صبرت زوجه الأولى على هجرانه مدة طويلة ، ثم اضناها السقم وبرت بها الآلام
فانهكت جسمها وانتهت بها الى الموت ، فقضت نحبها غير مأسوف عليها من زوجها
وتركت بعدها جواً صافياً ، تطيف به السعادة ولا يكدر صفوه مكدر

عاش السيد «حسن» مع الست (أم رتيبة) عيشة راضية هنية وخلف منها عدة
بنات ، وماتت أخته بعد مدة قصيرة فخلاً الجو لها وأصبحت وحدها ربة البيت الآمرة
الناحية المتصرقة بلا شريك واستمر الزوج وزوجه ينعمان بالاخلاص والحب فى
عيشة راضية ، لا يدخل بينهما سوء ، ولا يفرق عليهما إلا جناح السلام سبعة
أعوام كاملة

وفى السنة الثامنة جدت لها مشكلة قضائية دعته الى الاستعانة بالاستاذ «ناشد»
المحامى ، الذى أقامته وكيلاً عنها بطريق المصادفة ، على غير معرفة سابقة

أظهر الاستاذ «ناشد» اهتماماً بقضيتها ؛ ولم تكد تمر أيام قلائل حتى أكثر
من تردها على مكتبه ، وأكثر من طلبها للحضور عنده

يسألها الزوج : « لم طلبك المحامى ؟

فتقول له :

— قال لى إن الخصم قد انتقل الى مكان مجهول ،

فاذا سألتها فى اليوم التالى ، قالت له : « انه أخبرها أنه لايزال مهتماً بالبحث عنه ،

فاذا سألتها فى المرة الثالثة ، اجابته : « انه أخبرها انه سيهتدى الى العثور عليه بعد

زمن قصير

وهكذا من المعاذير التى لا تقنع أحداً ، والتى تخلق الريبة فى نفس سامعها ،

وتدعوه الى الشك فى صحتها لأول وهلة

لقد أحبها المحامي وأحبه ، وزين لها طريق الفساد واستعمل لباقة في التأثير على تلك الغريزة البلاء ، فاهي الانظرة وابتهامة حتى استهواها اليه
انخدعت الفتاة به ، وركنت اليه ، وأصاغت الي كلمات حبه الكاذبة ، فاستسلمت له متفاداة غير مترددة في مطاوعة أمره

وأراد الاستاذ « ناشد » أن يتقن تمثيل الدور فربط أو اصر الصداقة بينه وبين زوجها المسكين ، وتظاهر له بالموددة والاخلاص . فلم يرتب الزوج في حسن نواياه ، وطهارة نفسه ، وشرف مقصده

بدأ بزيارة الزوج في منزله وتناول عنده طعام العشاء ، ثم زاره الزوج مع زوجته في بيته وبعد اسبوع زارتهم أم المحامي وأخته في بيتهم ، وأرت الزوج زوجها أن من الحتم عليها أن ترد لهم الزيارة ، فلم يخالف لها أمراً ، ولا رأى بأساً في زيارتها اياهم

وهكذا اقتنت « أم رتيبة » في خلق الاعذار والتماس الحيل لخروجها من منزلها لزيارة المحامي ، يوماً بعد يوم تتظاهر اليوم بأنها ذاهبة لزيارة احدى صديقاتها . وفي اليوم التالي بأنها ذاهبة لاحدى قريباتها وفي اليوم الثالث لقضاء امرها ، وفي الرابع بأنها تود شراء ملابس جديد ، وهي في كل يوم لا تؤم الا مكتب عشيقها الاستاذ الذي ملك عليها لبها وسمعها وبصرها ، وأنساها واجبات الزوجية المقدسة ، واذهلها عن كل اعتبار آخر ، الا الرضوخ لاوامر عشيقها المخادع ، الذي كان يتظاهر أمامها بأنه يحبها الى حد الجنون . وانه يقدسها . ولا يرى في الوجود ما يضارعهما في الجمال والحسن وكان يتقن تمثيل هذا الدور أمامها فتخدع به مصدقة لان أذنيها لم تتعودا من قبل سماع مثل هذا الثناء ولانها كانت - لسلامة قلبها - تظن ان كل ما يقال صدق . وان مثل هذا المحامي الشاب لا ينطق كذبا ، ولا يقرر إلا حقا

مرضت ابنة السيد « حسن » فزين لهم الاستاذ (ناشد) السفر الى دمياط عند أخيه . وظل يضرب لهم على هذه النغمة كل يوم وأخذت الزوج تلحف على زوجها ضارعة اليه أن يجيب طلبها ملحفة عليه أشد الاخلاف حتى اذعن آخر الامر بتنفيذ رغبتها - رغم ارادته سافر الزوج مع زوجته وبناته الى دمياط واستأجروا كوخا مشرفا على البحر

قريب من اخي المحامي . ولكن لشد ما ادهش الزوج انه رأى الاستاذ ناشد في
التالى قاطنا كوخا على مسافة قريبة منه

قتساءل امام زوجه عن سبب حضور الاستاذ . فأجابته « لعل امرأها ما
استدعاه . على انه ماذا يهمننا حضوره ؟ »

وبعد قليل اقترحت على الزوج ان يأدب للاستاذ مأدبة بمناسبة حضوره . فنفذ اقتراحها
وفي اليوم التالى ادب لهم الاستاذ مأدبة لم يتردد في حضورها واستمروا على
ذلك عدة ايام يتزاورون ويأكلون ويمرحون كأنهم اسرة واحدة . وقد تجبب
المحامي الى الزوج . وتصنع له الولاء والاخلاص الكاذب وكثيرا ما دارت الكؤوس
والاقداح وتمل الزوج والمحامي

الزوج غريرة ، والزوج طيب القلب ، والمحامي لبق ظريف ولكن لكل شئ
حد ، وللرياء ثوب شفاف مهلهل ، فقد كانت تبدر من المحامي حركات طائشة في
بعض الاحايين ، وكانت تلوح منه غمزات واشارات ذات مغزى خاص ، يأتيها بلا
احتراس ، فلم يلبث الزوج أن داخلته الريبة في أمر زوجه وصديقه
يشمل المحامي فيداعب « رتيبة » مداعبة تثير الشكوك ، يقبلها ويدخل بها في
الحجرة الثانية ، ويخلو بها وقتاً ما ، ثم يضمها الى صدره متظاهرا بانها كابنته على
مرأى ومسمع من الزوج وزوجه ، وكانت رتيبة قد بلغت الرابعة عشرة ، ولكن
الاستاذ أبى إلا ان يعدها طفلة صغيرة . تقبل وتعانق وتضم الى الصدر بلا حرج ولا
مبالاة

فاذا امتعض الزوج الساذج من هذا العمل هونت عليه زوجه الامر ونفت له
سوء نية الاستاذ . مؤكدة له أنه طاهر الذيل نقي الذمة . بعيد عن الدنس . فيسكت
الزوج المسكين على مضض

وفي ذات يوم قامت (أم رتيبة) مبكرة من نومها قبل أن يستيقظ زوجها
فأوصت الخادم أن تخبر سيدها — اذا استيقظ — انها ذاهبة الى السوق لشراء دجاجات

وأطلعته على حقيقة أمرها هامة في أذننا انها ذاهبة الى حيث يقيم المحامى .
وسألته ان لاتأنيها حتى تنتهى من غسل الملابس وانهاء اعمال المنزل الكثيرة
التي يستغرق عملها وقتا طويلا من النهار مؤكدة عليها ان تكتم عن زوجها خبر ذهابها الى المحامى
خرجت الزوج مبكرة الى المحامى وقضت معه ساعة ناعمة مغتبطة . ولما قام الزوج
نادى زوجه فلم تجبه . فسأل الخادم عن مكانها . فلم تكذبه القول . ولا كتمت عنه
حرفا واحدا بما قاله لها سيدتها

ارسل الخادم لتجسس له . فما وصلت المنزل حتى علمت أن سيدتها جالسة مع
عشيقتها فى مخدع نومه . فنقرت على الباب . فسألته الزوج :

— هل انتهيت عملك

— نعم

— كف انتهيت بهذه السرعة

— لا أعلم !

— هل صحا سيدك

— لا

المحامى — حذار ان تخبريه انها عندي

— لن اخبره بذلك

المحامى — هى ! هى ! يلعن ابوك !

* * *

جاء الزوج فرأى زوجه واقفة فى النافذة تصلح ما أفسده المزاح والعبث من
شعرها ، فاهتاج ولكنه سكن من نفسه الثائرة قليلا
سألها غاضبا أن تعود الى منزلها فاستعطفته أن يمكث معها فى منزل المحامى ريثما
يشرب القهوة فأبى البقاء وحتم عليها مغادرة ذلك المكان ، فاطاعته ، وعادت
معه الى الكوخ

حاول الزوج أن يقنعها بالسفر معه الى القاهرة فأبى ، فأظهر لها غضبه وسخط
من مزاح الاستاذ مع ابنتها (رتيبة) فأجابته منفعة :
(ذلك أمر يعينى ولا يعينك ، فأنا أمها المتصرفة فى أمورنا وليس لك فيمشان)

وقامت بينهما لجاجة وخصام ، وثار ثائر الزوج الحليم ، فكسر الاطباق وحطم
الاولانى وأصبح فى حال من الغضب انسته كل شىء .

— لا بد من السفر معى فى الحال

— كلا لن اسافر معك

— هل تجرئين على ذلك

— ولم لا

— إذن اتركك

— فى الف داهية

أخذ معه بناته الصغيرات مصمما على السفر الى القاهرة ، ولم يكد يصل الى
المحطة . سائلا عن موعد سفر القطار الى القاهرة حتى علم أنه يقوم بعد ساعتين
ونصف ساعة

لبث مدة مع بناته الصغيرات يداعبن بقلب مكلوم حزين حتى اذا لم يبق على
موعد سفر القطار الا ساعة واحدة خرج لياتهن بطعام فقابله عربى شهيم من أصدقائه
القدماء . فعلم منه القصة بخدايرها . فرثى لحاله . وأقسم عليه ليأخذنها معه رغم
انف عشيقها وما زال به حتى اضطره الى العودة اليها مع بناته وذهبوا جميعا الى
الكوخ . ولما رأت الزوج تصميم العربى على مساعدة زوجها التفتت اليه مغضبة :

— ماذا تريد يا شيخ احمد

— اريد أن تسافى مع زوجك

— وماذا يهمك من أمرى

— يهمنى أنه صديقى الوفى .

— هون عليك . فقد اتهمك من قبل بأنك كنت تغالبنى .

لم يكد العربى الشهم يسمع من فيها هذه التهمة الكاذبة حتى استعاذ بالله من سوء
ظن الزوج . وفترت همته فى مساعدته

وفى اليوم التالى بحثا عنها فى دمياط فلم يجدها . لقد هربت الى اين ، لا يعرفان
سألا عنها المحامى فظاهر بأنه لا يعلم مقرها ، كأنه لم يدبر لها خطة الهرب .

واصل الزوج البحث حتى علم انها ذهبت الى اهلها في الريف فاسرع بالسفر اليها . فوجدها عند عمها . فسأله الاخير عن سبب سفرها . فلم يستطع الافضاء اليه بالحقيقة كاملة . ولكنه لمح له بطرف منها واخبره انها كثيرا ماتسمح لابنتها رتبة بالمزاح مع المحامى

فوبخها عمها على ذلك وارغمها على السفر معه
وبعد لائى ماسافرت معه الى القاهرة

* * *

عاد الزوج وزوجه الى القاهرة فوجد المحامى قد سبقهما الى العودة ومضى الاسبوع الاول بسلام

واحتاج الزوج يوماً الى من يقرأ له عقداً مكتوباً بالفرنسية ويترجم فواه ، فعثر في طريقه بكتاب عاطل كان يعمل في مكتب الاستاذناشد ثم طرد منه منذ أيام قلائل ، فطلب اليه الزوج أن يترجم له العقد فسأله : —

— « ولم لم تذهب الى الاستاذ ناشد ليترجمه لك ؟ »

— « لقد قاطعته نهائياً فقد كاد يخرب بيتى ويفسد على امرأتى ، »

— « لقد طالما ترددت فى اخبارك بتهتك هذا الاستاذ الخليع ، ولكننى خشيت

أن لاتصدقنى ، »

— « لبتك فعلت ، »

— « ولكن ألم تلاحظ على زوجك شيئاً حين كانت تعود متأخرة من

مكتب المحامى ؟ »

— « لم ألاحظ شيئاً سوى أنها كانت تغيب أحياناً الى ساعة متأخرة من الليل

— « ألم تلاحظ عليها أنها كانت تعود ثملة ! ... »

— « ثم ... لة . ثم ... لة . رباه . أحق ذلك ؟ أتجد ؟ أكانت تسكر معه ؟ »

لا أعلم ، لا أعلم ، لا . لا . لا . نعللى أخطأت القول ، آه . لقد قادتنى السرعة

وعدم الاحتراس الى قول ما لا ينبغى قوله

* * *

عاد الزوج ناطر النفس الى بيته ، ولم ينبس ببنت شفة ، وانتهر الكاتب

المطروء هذه الفرصة . فذهب الى مكتب استاذہ متملقا . وانبأه أنه قابل الزوج .
وانه سبه وطعن عليه متهما اياه بمحاولته افساد زوجه . ولكنه دافع عنه امامه
دفاعا مجيدا .

غضب الاستاذ المحامى من وقاحة الزوج وقلة ادبه . كيف يجرؤ على مس شرفه
كيف يتهمه بافساد زوجه . الى الانتقام اذن الى الانتقام اذن من ذلك الزوج الوقح
نعم فان من ينتهك حرمة الزواج المقدسة . ويتخذ من الواجب وسيلة للافساد
والاغواء . ومن الصداقة سيلا الى تدنيس اقدس رابطة انسانية . جدير ان يغضب
إذا بلغه ان مثل ذلك الزوج الحليم قد دفعه الألم الى التفوه بكلمة تشعر بارتياحه من
ذلك القانونى البارع !

وكم فى الحياة من غرائب ومدهشات !

غضب الاستاذ وبعث رسولا الى « رتبة » يحثها الى الذهاب اليه فى الحال ،
فلبى الرسول الأمر . وبلغها اياه — وكانت جالسة مع زوجها — فغضب الزوج من
هذا الطلب الحثيث المشوب بلهجة الأمر المتصرف ، وأمر الزوج ان لا يخرج فأبت
فكرر عليها الامر ، فلم تدعن ، فمكث فى المنزل لينعما من الخروج فتظاهرت بعد
قليل بالعدول عنه حتى اذا اطمأن الزوج الى بقائها فى المنزل ، ذهب الى عمله ، ولم
يكذب يخرج حتى أسرع الى مكتب المحامى الذى نفث فيها سحره . وزين لها
طريق الغى . واختط لها سبيل الفرار من ذلك الزوج

عادت الى منزلها متشعبة بنصح المحامى . وقضت مع زوجها ليلة صاخبة . ثم قامت
صائحة فى منتصف الليل منادية الخفير لينقذها من زوجها الذى يريد قتلها بخنجره . صعد
الناس فوجدوا الزوج يستيقظ من نومه مذعورا ووجدوا الخنجر فى يدها فوبخوها
بلطف على ذلك التجنى الجرى . وفى الصباح هربت مع ابنتها الى حيث لا يعلم الزوج

واصل الزوج البحث عنها شهرا فلم يهتد الى مكانها . توسل الى المحامى أن يرشده
الى طريقها . فسبه المحامى ولعنه وطرده طردا ، عاد الزوج الى منزله مكتئبا حزينا
ولكنه لم يئأس . بل واصل البحث متنسما الاخبار . يسمع انها فى شبرا . فيذهب منقبا

باحثاً بلأجدوى . ثم يسمع انها في العباسية . وأخرى انها في حى القلعة وثالثة انها في حى مصر القديمة . ورابعة انها في الظاهر . وهكذا ظل يدأب نحو ثلاثة اشهر من غير أن يصل الى نتيجة بحدية !

وفي ذات يوم قابله خباز منزله — وكان عارفاً بالقصة متأثراً بوقائعها — وبينما هما سائران اذ ملح الزوج المحامى سائراً في الطريق . فلقت اليه الخباز . وسأله أن يتبع سيره متخفياً . ففعل حتى اذا وصل الى محطة حلوان التفت الاستاذ يمينه ويسرة فلم يجد احداً يتعقبه فقطع تذكرة في الدرجة الاولى وقطع الزوج والخباز تذكرتين في الدرجة الثالثة . فلما وصل المحامى الى حلوان نزل ونزل الخباز والزوج يتعقبانه وخشى الزوج أن تحين من المحامى التفاته اليه فيفسد عليهما التدير ، وثم جلس في حانوت جزار يعرفه ويخلد اليه بالثقة

أما الفران فسار متبعاً المحامى مدة طويلة حتى اذا قرب المحامى من منزله ، التفت يمينه ويسرة فلم يجد سوى الخباز ، فداخلته الرية في أمره ولكن الخباز لم يدع الرية تثبت في نفسه ، فأسرع ينادى — :
« يا أولاد الحلال ، بنت اسمها عزيزة ، وولد اسمه على ... الخ ،

اطمان المحامى ودخل المنزل فعرفه الفران ، وأسرع غائداً الى الزوج والجزار وأخبرهم بمكان المحامى والزوج الخائنة فأطبقوا جميعاً عليهم واستاقوهم الى القسم ، حيث لقي الاستاذ والزوج جزاءهما العادل .



اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

ماتخ الفكر العربى

فى نسوة وظوره بالترجمة والنقل عن المفضاة اليونانية

بَيْنَ الْأَدْبَاءِ

تنشر في هذا الباب الرسائل التي دارت بين كبار الأدباء والطرف التي تقال في مجالسهم، تكميلاً للناحية الناقصة، وسداً للفراغ الناشئ عن إهمال هذه النواحي التي يعتمد عليها المؤرخون في تسجيل تاريخ العصر الحديث. ومن مميزات هذه الرسائل أنها كتبت عفواً الخاطر، فلم يتعمد كاتبوها ولم يتكلفوا تزويقها وتنميق عباراتهم لأنهم لم يكتبوها للجمهرة من الناس بل لأصدقائهم خاصة. وستعرف القراء من هذه الرسائل نواحي كثيرة كانت جد خافية عليهم. فلعل أكثر القراء يجهلون مثلاً أن للأستاذ العالم الجليل فريد وجدي بك شعراً، والعصور ترحب بكل ما يردها من حضرات الأدباء من هذه الطرف،

من الأستاذ الزين إلى الأستاذ وجدي بك

غرام كل يوم في ازدياد ونأى منك برح بالفؤاد
وأشواق يذكها ادكاري ويورى نارها ورى الزناد
إذا قال الخلى خبت لظاها رأى جبرا كميناً في رماد
وإن قلت: اكتفت غير الليالى رمانى رائح منها وغادى
تفرق بين أحبابى وبينى وتسلىنى إلى عيش الواحد
تهون نوائب الايام الا نوى الأحباب أو قرب الأعادى

أصحبى منذ نبت عنكم ديارى نبا عنى الكرى ونبأ وسادى
وكان بقرىكم اسعاد عان وسلوة واله وشفاء صادى
سأذكركم إذا غبتم فانى أرى ذكراكم خير العتاد

فلا تحسب محمد أن عيشي يطيب على صفاء وابتعاد
 فريد - إن نفسه بمن سواه فبهيات الثماد من الوهاد
 نقيس - ضلالة - نجما بشمس إذا طلعت يضيء على البلاد
 فدمت فريد للظلماء نورا ودمت تناج آمال العباد
 أحمد الزين

من الاستاذ وجدى بك الى الاستاذ الزين

كانك قد علمت بما أعانى من الأشواق والغير العوادي
 فبحثت منفسا عنى بعذب من الكلمات والفقر الهوادي
 فرب عشية لك أذكرتني من التاريخ عهدا من اباد
 ورب قصيدة لك خلت انى - اذا رويت - أحدث عن زياد (١)
 أعدت الى القريض حلى التبدى وصنت الشعر من وهم الفساد
 وجردت اللغا عما أقلت من اللحن الزرى المستعاد
 وأحييت الرواية فى حوض وأنت عليه تروى كل صادي
 وبعد، فقد بعثت الى شعرا فما أغلى وما أحلى لشادى
 شوارد لا تنذل لغير فخل وغر دونها خرق القناد
 فاكث من نظائرها فانى اراها منك آيات الوداد
 وعش يازين مصر تعيد مجدا وتبني سؤودا سلمى العباد
 محمد فريد وجدى

قاطع من يقاطعك

من الاستاذ الزين إلى صديق له

ابخلى ياعين بالدمع على من بصافى الود منه بخلا
 طالما أسهدتني فى حب من نام عن ليل قريرا وسلا
 وشغلت ألجفن بالدمع إذا بان من عن ودنا قد شغلا

مرة تبكين عهدا ناضرا وارف الظل وأنا منزلا
غضى من دمك الآن فقد غاض ماء الود منه وقلا

أفؤادى طالما كلفتى ودمى يبنى بودى بدلا
تحفظ العهد لمن ضيعه وترى المعرض وجهها مقبلا
طالما حملتني في حبه زفرة حرى وسقما معضلا
ماعسك اليوم تجنى منهم تغرس الكرم وتجنى حظلا
حال من أحبته عن عهده لم تزل تتبع من قد رحلا
فاقطع اليوم حبلا وثقت إنه قد شاء ألا توصلا
أحمد الزين

استدراك

سقط بيت من قصيدة الاستاذ أحمد الزين التى كتبها الى الاستاذ وجدى بك وقد
نشرناها فى العدد السابق ونحن ننشر ذلك البيت والذى قبله وهما :

وما زلت حتى جذرت قديمه بحبك وازدان الطريف المولد
ولاحت لراجيه المعالم بعدما عفت فواميه طريق معيد



ظهر الجزء الاول والثانى من

اصِلُ الانواع

وَنُسُونَهَا بِالْإِنْخَابِ الطَّبِيعِيِّ وَحَنِظَ الصُّبُوفِ الْغَالِبَةِ فِي الشَّجَرِ عَلَى الْبَقَاءِ

يطلب من دار المصور والمكاتب الشهيرة

سَنَابِلُ وَأَرْهَافُ مَخَارِجُ مِنَ الْأَدَبِ

هَيْنِ المطايا

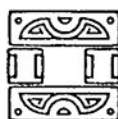
دع المطايا تنسم الجنوب (١)
إن لها لنا عجيا

حينها - وما اشتكت لغويا
يشهد أن قد فارقت حيا

**

ما حملت الا قى كئيا
يسر مما أعلنت نصيا !

لو ترك الشرق لنا قلوبا
إذن لآثرنا بهم النيا (٢)
إن الغريب يسعد الغريا
بعض الأعراب



ذكرى مى

ذكرت - فاهتاج السقام المضمر
وقد يهيج الحاجة التذكر -
ميا (١) ، وشاقتك الرسوم الدثر

* * *

أم الدموع سجم ؟ أم تصبر ؟
وليس ذو عذر كمن لا يعذر ! ،
وما إلى مطموسة مستعبر
قفر ، يعفيا العجاج الأكدر
قد مر أحوال لها ، وأشهر
وقد يرى فيها لعين (٢) منظر
مجالس ، وررب مصور
جم القرون (٣) ، آتسات خفر
أتراب مى - والوصال أخضر
ولم يغير وصلها المغير
وقد عدتني عاديات شجر (٤)
عنها ، وهجر - والحبيب يهجر
ذوالرمة (٥)

(١) مفعول ذكرت أى ذكرت ميا

(٢) النساء الحسان وأصل معناها البقرات الوحشية

(٣) ليس لها قرون

(٤) موانع

(٥) اسمه غيلان بن عقبة العدوى الربابي

اعراية تندب ابنها

لئن كنت لهوا للعيون ولذة لقد صرت سقما للقلوب الصحائح
وهون حزني أن يومك مدركي و أنى - غدا - من اهل تلك الضرائح

أعرابية أخرى تندب ابنها

أبني ! غيبك المحل الملحد - اما بعدت فاين من لا يبعد
أنت الذى - فى كل مسمى ليلة تبلى ، وحزنك فى الحشا يتجدد

أعرابية ثالثة تندب ابنها

يا فرحة القلب والاحشاء والكبد يا ليت امك لم تحبل ولم تلد
لما رأيتك قد ادرجت فى كفن مطيا للنيايا آخر الابد
أيقنت - بعدك أنى غير باقية وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

« رثاء رابع »

يا ساكن القبر الذى بوفاته عميت على مسالك الرشد
اسمع أبشك علتى ، ولعلنى أطفى بذلك حرقة الوجد
اعرايه

أما فى بنى حصص من ابن كريمة من القوم طلاب التراث - غششم
فيقتل جبرا - بامرئ لم يكن له بواء ، ولكن لا تكايل (١) بالدم

من لقلب شفه الحزن ولنفس ما لها سكن
ظعن الا برار ، فانقلبوا خيرهم من معشر ظعنوا
معشر قضوا نحو بهم كل ما قد قدموا حسن
صبروا عند السيوف - فلم ينكلوا عنها ، ولا جنبوا

(١) المسكيلة بالدم منعها الاسلام فاصبح لا يقتل بدل الواحد الا واحد - شريفا
كان أو رضيعا.

فتية باعوا نفوسهم لا ورب البيت ما غنوا
فأصاب القوم ما طلبوا منة — ما بعدها من

لعمرك ما خشيت على أبي متالف — بين قو فالسلي
والكنى خشيت على أبي جريرة رحمه في كل حي
قتى الفتیان محلول عمر وأمار بارشاد وغى
فيالهف الارامل واليتامى ولهف الباقيات على أبي

جزمى وفضلى (١)

زعمت تماضرأتى — إمامت — * يسدد أينوها الأصاغر خلتي

تربت يدك ا وهل رأيت لقومه * مثلى — على يسرى وحين تعلقى
رجلا إذا ما النائبات غشينه * اكفى لمعضلة — وان هى جلت

ومناخ نازلة كفيت ، وفارس * نهلت قناتي من مطاه وعلت
وإذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فلت (٢)
دارت بأرزاقي العفاة (٣) مغالق (٤) * ييدى من قع العشار الجلة (٥)

ولقد رأيت ثأى العشيرة بينها * وكفيت جانبا اللثيا والتي
وصفحت عن ذى جهلها ، ورفدتها * نصحى — ولم تصب العشيرة زلتى
وكفيت مولائى الأحم (٦) جريرتى * وحبست سائمتى على ذى الخلة

(١) قالها سلبى بن ربيعة الشاعر الجاهلى

(٢) اذا لبست العذارى قناعا من الدخان الذى يغشيها فأسرعت تدخل قطعة

من اللحم أو الخبز فى الملة (الرماد الحار) لتأكله بسبب القحط

(٣) السائلين (٤) قدام (٥) من أعلى سنام النياق العشار (٦) القريب

زوج كليب ترثيه (١)

ياقتيلا قوض الدهر به سقفتي جميعا من عل
ورماني فقهه من كشب رمية المصحى به المستأصل
هدم البيت الذي استحدثته وسعى في هدم بيتي الأول
مسنى فقد كليت بلظي من ورأى، ولظي مستقبلي
ليس من يبكي ليومين كمن إنما يبكي ليوم ينجلي
درك الثائر شافيه، وفي دركي تأرى ثكل المشكل
ليته كان دمي، فاحتلبوا دركا منه دمي من أكل

أشمل لظي الحرب (٢)

قلت لزيد : لا تترتر ، فانما يرون المنايا دون قتلك أو قللي
فان وضعوا حربا فضعها ، وإن أبوا فعرضه عض الحرب (٣) مثلك أو مثلي
فان رفعوا الحرب العوان التي ترى فشب وقود الحرب بالخطب الجزل ،

أكرم الأقوام (٤)

القائلين إذا هم بالقنا خرجوا من غمرة الموت في حوماتها: عودوا
عادوا ، فعادوا كراما ، لا تنابلة عند اللقاء ولا رعرش رعاديد
لا قوم أكرم منهم يوم قال لهم محرض الموت: عن أحسابكم ذودوا

البعيث بن حريث يفخر بنفسه

خيال لائم السلسيل ودونها مسيرة شهر للبريد المذبذب (٥)

-
- (١) زوج كليب هي جليلة وقد رثته بهذه الأبيات حين قتله أخوها جساس
(٢) قالها موسى بن جابر الحنفى الشاعر الاسلامى النصرانى مخاطبا أخاه زيدا
(٣) أى المتعرض لنا بالحرب
(٤) قالها عمرو القنا التميمى الأموى المعاصر لعبد الملك بن مروان
(٥) الذى لا يستقر

فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبا ، فردت بتأهيل وسهل ومرحب

معاذ الآله أن تكون كظيية ولا دمية ولا عقيلة رب رب (١)
ولكنها زادت على الحسن كله كالا ، ومن طيب على كل طيب

وإن مسيرى فى البلاد ، ومنزلى لبالمزىل الاقصى — اذا لم أقرب
ولست — وإن قربت يوما — بيا نغ خلاقى (٢) ، ولادنى ابتغاء التجب
ويعتده قوم كثير تجارة ويمعنى من ذاك دنى ومنصبي

دعاني يزيد — بعد ما ساء ظنه وعبس ، وقد كانا على حد منكب
وقد علما أن العشيرة كلها سوى محضرى — من خاذلين وغيب
فكنت أنا الحامى حقيقة وائل كما كان يحمى عن حقائنها أبى

ذ كرى أيام الوصال (٣)

تعذبني بالود سعدى ، فليتها تحمل منا مثله ، فتذوق

ولو تعلين الخبر ، أيقنت أنتى ورب الهدايا المشعرات صدوق
أزود سوام الطرف عنك وماله إلى أحد الا عليك — طريق
أهم بصرم الحبل ثم يردنى عليك من النفس الشعاع فريق
تهيجنى للوصل أيا منا الالى مررن علينا والزمان وريق
ليالى لاتهوين أن تشحط النوى وأنت خليل لايلام — صديق
ووعدك إيانا وقد قلت — عاجل بعيد — كما قد تعلين — سحيق
فأصبحت لا تجزىنى بمودتى ولا أنا للهجران منك مطيق

(١) بقرة وحشية (٢) حظى أونصبي

(٣) قالها ممرض المزنى

وأصبحت عاقتك العوائق، انها كذاك ووصل الغايات يعوق

وكادت بلاد الله يا أم معمر بما رحبت يوما على تضيق
تتوق اليك النفس ثم أردھا حياء ومثلى بالحياء حقيق
ولانى وإن حاولت صرمى وهجرنى عليك من احداث الردى لشفيق

وان كنت لما تخبرينى فسائلى — فبعض الرجال للرجال رموق
سلى ، هل قلانى من عشير صحبته وهل ذم رحلى فى الرجال — رفيق
وهل يحتوى القوم الكرام صحابى — إذا اغبر مخشى الفجاج عميق
واكنتم أسرار الهوى فأميتها اذا باح مزاح بهن تروق

شهدت رب البيت أنك عذبة الكنايا وأن الوجه منك عتيق
وأنت قسمت الفؤاد فبعضه رهين وبعض فى الجبال وثيق
صباحى - إذا ما ذرت الشمس - ذكركم وذكركم - عند المساء - غبوق

وتزعم لى يا قلب أنك صابر على الهجر من سعدى، فسوف تذوق
فت كندا، أو عش سقيما، فانما تكلفنى ما لا أراك تطيق

ألم (١)

وأدنينى حتى اذا ما استبيتنى بقول يحل العصم سهل الأباطح
توليت عنى - حين لالى مذهب - وغادرت ما غادرت بين الجوانح

توبة غير صادقة

أليس وعدتى يا قلب أنى اذا ماتبت عن لى تتوب
فها أنا نائب عن حب لى فمالك كلما ذكرت تنوب!

(١) ما يروون أن جريراً حين سمع هذين البيتين قال لمنشدهما: «لولا أنه لا يحسن
بشيخ مثلى النخير لنخرت حتى يسمع هشام على سريره!»

أمل

وإني لأرضى من بثينة بالذى لو أبصره الواشى لقرت بلبله
بلا، وبأن لا أستطيع، وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى، وبالحول ينقضى أواخره لانتقى وأوائله
ثأرى قطع لسانه (١)

معاوى إلا تعطنا الحق تعترف لى الازد مشدوداً عليها العماهم
ويشتننا عبد الارقم خلة وماذا الذى تجرى عليك الارقم
فالى ثأر دون قطع لسانه فدونك من يرضيك منه الدراهم

**

وإني لأغضى عن أمور كثيرة سترقى بها يوماً اليك السلام
أصانع فيها عبد شمس، واتى لتلك التى فى النفس منها أكاثم
فما أنت والامر الذى ليس أهله ولكن ولى الحق والامر هاشم
رزه فادح (٢)

يريب علينا دهرنا فيسوؤنا ويأبى، فما نأتى بشيء تغالبه

(١) قالها النعمان بن بشير مؤنباً معاوية على هجو الاخطل الانصار، وموجز
الخبر أن معاوية أراد الطعن على الانصار — لانهم أصحاب على بن أبى طالب خصمه
لالد — فلم يجرؤ أحد على ذلك حتى اهتدى معاوية الى الاخطل فدعاه وأمره بهجائهم
فقال له: «على أن تمنعنى»، قال: «نعم»، فقال فيهم قصيدة منها قوله:

لئن الاله من اليهود عصابة بالجزع بين صليصل وصرار
قوم — إذا هدر العصير — رأيتهم حمراً عيونهم من المسطار
خلوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مسائحكم بنى النجار
إن الفوارس يعلمون ظهوركم أولاد كل مقبح أكار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللوم تحت عمام الانصار
فلما بلغ ذلك النعمان بن بشير دخل على معاوية وأنبه بهذه القصيدة

(٢) من كلام هند القرشية بنت عتبة أم معاوية وامرأة ابى سفيان وكانت تنغى
بهجاء النبي فأمر بقتلها يوم فتح مكة ثم عفا عنها بعد اسلامها ثم شهدت واقعة
اليرموك مع زوجها وماتت سنة ١٣ هـ فى أول خلافة عمر بن الخطاب

أبعد قتيل من لوى بن غالب يراع امرؤ - إن مات أو مات صاحبه ؟

ألا رب يوم قد رزئت مرزاً تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عني مألكا ، فان ألقه - يوما فسوف اعابه
فقد كان حرب يسعر الحرب ، إنه لكل امرئ في الناس مولى يطالبه
هند بنت عتبة

مات إخوتي (١)

إخوتي ! لا تبعدوا ! أبدا وبلى والله ! قد بعدوا !
لو تملتهم عشيرتهم لاقتناء العز أو ولدوا
هان من بعض الرزية ، أو هان من بعض الذي أجد
كل ما حي - وإن أمروا - واردو الحوض الذي وردوا
فاطمة الخزاعية

إن تبكيا ، لا تبكيا هينا وما بما مسكا من خفا
إذ يخرج الكاعب من خدرها يومك ، لا تذكر وفيه الحيا
هند بنت معبد

مات أبي

أميم ! هيهات الصبا ! ذهب الصبا وأطار عني الحلم جهل غرابي
أين الآلى بالأمس كانوا جيرة ؟ أمسوا دفين جنادل و تراب
ماتوا - ولو أنى قدرت بحيلة لأحدث صرف الدهر عن أحبابي

ما حيلتي إلا البكاء عليهم إن البكاء سلاح كل مصاب
هند بنت معبد

(١) من كلام فاطمة الخزاعية زوج الجراح وسليمة أحد سادات العرب، تزوج أبوها من خالدة بنت هاشم بن عبد المطلب

النقد والتأليف

مصرع كليوباترا

تأليف أحمد شوقي بك

تعد هذه الرواية الشعرية التمثيلية غاية ما بلغتة عبقرية أمير شعرائنا أحمد شوقي بك، وإذا قلنا أمير شعرائنا أو حذفنا هذا النعت المصطلح عليه تقليدياً منذ نرعرع شوقي بك في ظل أمير مصر السابق، ومنذ كان شاعره الخاص، فما نحن بذلك نرفع ولا نخفض من قدر الشاعر المصري الكبير مؤلف (مصرع كليوباترا)، وهى وحدها كفيلة بأن تصون له منزلة ممتازة بين شيوخ شعرائنا البارزين.

يقع كتاب هذه الرواية في ١٥١ صفحة من القطع الصغير، منها ١١٣ صفحة خاصة بقسمها الشعري التمثيلي والباقي وقف على نظرات تحليلية بقلم المؤلف في موضوع الرواية وتاريخها وشخصياتها. ويبلغ عدد شعرها زهاء ما تثنى وألف من الأيات وهى مطبوعة طبعاً نفيساً وموضحة بطائفة من الصور بريشة الاستاذ صاروخان وإن لم يكن موقفاً في بعضها بسبب جهله العربية وعدم إلمامه الوافى بدقائق الرواية على ما نقدر، لأن منزلة هذا الاستاذ الرسام فنياً في المرتبة الأولى في مصر.

وقد قرأنا أوصافاً شتى لهذه الرواية التى هى نتيجة مجهود سنوات متتابعة، ونحن نوافق من نعتوها «بميلودرامة» ونخالف من اعتبروها صالحة لأن تكون أوبرا، ودلينا على ذلك التنوع المحدود في نظمها، وما فيها من الالتفات الى نواح ودقائق لاتعنى بها الأوبرات، فضلاً عن كبر حجمها نسبياً، حينما الأوبرات تستدعى الإيجاز مطاوعة للغناء. وكيفما كان نوع هذه الرواية التمثيلية فعندنا أنها كانت جديرة بالتقدير من لجنة المباراة التمثيلية لأنها صنف من التجديد في الشعر قين بكل تشجيع.

وفى الواقع أن شوقي بك أنصف سمعته بين المجددين باخراج هذه الرواية وإن كنا نعترف بأنها ليست الأولى من نوعها، كما نعترف بأن مؤلفها الكبير اتفهم

بمجهود من سبقوه في التأليف الشعرى للسرّح . ولكن هذا كله لا ينقص من قدره .
حتى وإن لم يحىء لنا شوقى بك بأسلوب فنى جديد ، وآية ذلك أننا ما نزال مفتقرين
الى الشعر التمثيلى ، فلا يسعنا الا الترحيب بكل أثر يضاف الى ما عندنا من آثار قليلة
لنفر معدود من شعرائنا الجريئين ، لأن هذه الآثار ما تزال ضئيلة العدد ، لا تكفى
لتكوين هذا النوع من الأدب التمثيلى بدرجة نعتز بها اعتزازاً بين الأمم المثقفة .
بقي علينا أن نشير الى دفاع شوقى بك عن كليوباترا وقد انتقده كثيرون من
أجله ولكنا نعهده حقّه الفنى كمؤلف وشاعر ، وأن نشير الى أسلوبه الذى امتاز
فى مواقف متعددة بالسلاسة والصفاء وبالرنة الموسيقية وإن جنح أحياناً الى التعابير
البدوية المملولة ، ثم الى تصرفه فى اخراج شخصيات الرواية فنقول إنه كان فى الجملة
موفقاً ، وبعد هذا نهنته ونهته الأدب العصرى بهذا الأثر الجليل .



يطلب من

مكتبة الوفد بشارع الفلكى بباب اللوق ومن جميع المكاتب الشهيرة

قَصَصُ لُطْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ
كَامِلٌ كَيْسٌ لَدَانِي

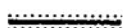
أسلوب جديد فى التربية

به أكثر من ٣٥ صورة مشوقة

و ثمنه ٣ قروش

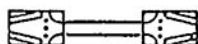
مختار القصص

تأليف الاستاذ كامل كيلانى



يعرف قراء (العصور) وغيرها من المجلات العربية نفثات يراعة الكاتب المتفنن الاستاذ كامل كيلانى فهى فى غنى عن التعريف بها وإن تنوعت وكثرت . ولكن الذى يستحق التنويه به هو نشاطه الذى لا يكل الجدير بأن يحتديه أدباؤنا، فبينما أكثرهم يؤثر السخط والتذمر من غير إنتاج مشرف وآخر ما استمتعنا به من تصانيف الاستاذ كامل كيلانى كتابه الشائق (مختار القصص الذى عنيت بنشره مكتبة الوفد بالقاهرة جامعا لخبذة ممتازة من قصص مصرية وضعية وأخرى مترجمة عن بولسواتشو وغيرها ملخصة عن السينما فكان متناسب الوضع والاختيار والتنسيق، جميل الطبع، كثير التوضيح نبيل الغاية بما فيه من نزعات تهذيبية سامية مبسوبة فى غير موارد؛ مكشوفة للمصريين النابهين

فاذا هنا الاستاذ كامل كيلانى بمصنفه هذا البديع فانا فى الوقت ذاته نهىء معه أنصار الادب الجديد؛ وسوف ننشر مغتبطين فى العدد الآتى من (العصور) مقالا نقدياً ممتازا لكتابه من قلم الناقد المعروف الاستاذ على محمد البحر اوى فنكتفى الآن بهذه الاشارة الحققة بجهده المتسامى وفضله المتواصل على الادب
العصري



النيل في السودان

مصدر للقواقع المسببة لانتشار مرض البلهارسيا في القطر المصرى

يقلم الدكتور محمود مصطفى حلى

(دبلوميه فى الصحة العامة ودبلوميه فى أمراض المناطق الحارة من جامعتي موبلييه وباريز)
يدين الباحثون عن كيفية استئصال مرض البلهارسيا من مصر للاستاذ ليبر باكتشافه
للدور الهام الذى تقوم به قواقع خاصة فى نمو طفيليات البلهارسيا وانتشار المرض
بين الأفراد .

ولقد استفزت البلهارسيا منذ عهد بعيد — نظراً لسعة الإصابة بها بين سكان القطر
المصرى وخطورتها — هم كثير من الباحثين لاستكمال البحث فى ادوار نموها وذلك
ملا بالوصول الى طريقة تضع حدا لضحاياها . ولقد استعصى الامر طويلا عليهم
وتضاربت اقوالهم ، حتى ذهب البعض الى القول بأن البلهارسيا توجد فى الاسماك
النيلية والخبز والحبوب حتى الفواكه لا تكاد تخلو من جرثومتها .

ولكن قضت ابحاث الاستاذ ليبر على كل هذه الفروض ، وأبان الاستاذ بوضوح ان
ابويضات البلهارسيا — التى تفرزها المرضى فى بولهم او برازهم — اذا لحقها الماء
تنطلق منها اجنة تسبح فيه ولا تصيب الانسان ، فاذا صادف هذه الاجنة قواقع خاصة
دخلت اجسامها ونمت فيها نحو شهر ، ثم خرجت منها وقد تضارب عددها حائزة
هذه المرة على المؤهلات التى تمكنها من دخول جسم الانسان من أية جهة فيه ، مسببة
بذلك انتشار المرض ، وقد ظهر من هذا ان المرض ليس من الامراض التى تنقل مباشرة
من المصابين الى الاسحاء بل ان الطفيليات المسببة له لا بد لها من دورة نمو فى القواقع .
وقد بدأ على نور هذه الحقائق تحليل معدنية البلهارسيا فرأى بعض المؤلفين امكان
القضاء على المرض بواسطة علاج المرضى وهذا بما يتعذر تطبيقه اذا لاحظنا ان عدد
المصابين بالمرض يقدر بنحو عشرة ملايين ، وان اقصى عدد تمكنت مستشفيات
البلهارسيا من علاجه سنويا الى الآن لا يتجاوز نصف مليون شخص ، خصوصا وان

المريض اذا عولج وشفى وعاد الى قريته لا تمضى عليه سنوات قليلة — بل عدة اشهر احيانا — الا ويصاب بالبلهارسيا ثانية وتكاد تعود الحالة اذ ذاك الى ما كانت عليه . واقتراح الآخرون طرقا لوقاية الاشخاص من الاصابة وايقاف انتشار المرض وذلك بحث الناس على تلافى مس المياه في المناطق الموبوءة أو باستعمال الملابس الواقية، وهو أيضا مما يصعب تطبيقه اذ أن الفلاح المصرى حالياً يضطره عمله دائما الى ملامسة الماء مباشرة ولا يسمح له فقره من استعمال أحذية المطاط الخ ، وهو عدل ذلك لا يمكن الاعتماد عليه — وقتيا على ما أعتقد — في الكف عن تعريض غيره لعدواه لانه لا يدري عاقبة تلويث مياه الترع ، ويلزم لهذا افهامه خطورة ذلك ، وتعليم أمة يتطلب عشرات السنين وبجهوداً هائلة .

ولما كان محتما عمل شيء لايقاف انتشار المرض فقد استقر رأى بعض الباحثين على اعتبار القواقع الناقلة للعدوى ايسر مكان يقضى فيه على الطفيلي ، اذ لو أيسدت هذه القواقع لما تسرله هذا الانتقال من المريض الى السليم أى لزال خطر العدوى ، وقد تسارع المؤلفون الى ابتكار الطرق لآبادة تلك القواقع فأشار الاستاذ ليبر بآبادة هذه بتجفيف ترع الرى كما أشار باستعمال سلفات النشادر (وهى المستعملة فى الاسمدة) للقضاء على القواقع فى الجهات التى لا يتيسر نجفيتها تماما، الى غير ذلك من الطرق التى لا تخلو من قيمة كبيرة والتى اذا لم تقض على القواقع قضاء مبرما فهى تقلل كثيرا من انتشارها .

واعتمد آخرون على نتائج أبحاث شاندلر عن تأثير سلفات النحاس فى القواقع والحيوانات المائية الرخوة فأشاروا باستعمالها لتطهير المناطق الزراعية ، كما ذهب آخرون الى القول بتقسيم القطر المصرى الى عدة مناطق تجفف كل منها بالتوالى لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر، وكل هذه الطرق قد قامت بلاشك على فكرة أن القواقع لا توجد إلا فى ترع الرى الصغيرة ، وإنى لا أدرى لماذا تعذر على هؤلاء المؤلفين رؤية القواقع تتربى وتتوالد فى مجرى نهر النيل فى أشهر إبريل ومايو ويونيو ويوليو حيث ترى بكثرة فائقة تجعل من نهر النيل نفسه بؤرة خطرة لانتشار البلهارسيا يتعذر مقاومتها باستعمال الجفاف ، أو بسلفات النحاس مثلا الخ .

وقد كان لى من الحظ أن تمكنت من إثبات — عدا ما ذكر — أن القواقع الناقلة لعدوى البلهارسيا تدخل إلى ترع الرى باستمرار مع المياه خصوصاً في وقت الفيضان إذ تكتسح المياه القواقع على طول مجرى النيل — في نيل مصر كما في نيل السودان — وتدفع بها إلى ترع الرى مسببة بذلك تجدد عامل عدوى هذه الترع بالقواقع فجاء ذلك مباغتة قاسية أنهار أمامها صرح تلك النظريات الخلابة كما كان فيه تنبيه إلى الحقيقة المرة وهي أن معضلة البلهارسيا في مصر أشد خطورة بكثير مما كانت تظن.

وبدت الضرورة إلى تفهم معضلة البلهارسيا بتحليل أدق، وكان أهم ما يجب الوقوف عليه معرفة أصل تلك القواقع لمحاولة درء شرها بقطع دابرها من مصدرها. وبالرغم من أن أبحاث المؤلفين في البلهارسيا قد أخفقت مراراً في العثور على قواقع ناقلة لعدوى المرض في مجرى النيل نفسه في مصر — وقد ذكروا ذلك مراراً في مؤلفاتهم — فقد اتفقوا على أن مصدر القواقع المنتشرة في ترع الرى لا بد أن يكون النيل نفسه، وقد بنوا نظرياتهم على النتائج التعليلية التي أدت إليها ملاحظاتهم عن ظهور القواقع في جهات أثبت الفحص خلوها منها قبل، ذلك فقد شاهد الاستاذ ليبر مثلاً وجود قواقع ناقلة للعدوى على المصافي الموضوعة على الأنابيب التي توصل المياه من النيل إلى أحواض شركة المياه بروض الفرج، فجاء ذلك برهاناً على أن مياه النيل أمام روض الفرج بها قواقع ناقلة للعدوى. كما شاهد آخرون انتشار القواقع في جهات كانت صحراء جرداء كأرض منطقة كوم امبو ظهرت القواقع فيها بعد عمل مشروعات الرى بها وهذه ترجع إلى عهد حديث. وشاهد آخرون أيضاً في كوم امبو وجود قواقع في أحواض الترسيب المستعملة لترشيح مياه النيل توطئة لاستعمالها في إدارة الطلبات الرافعة للبياه في المنطقة المذكورة، وهو برهان أيضاً على أن مياه النيل أمام كوم امبو تحوى في وقت ما تلك القواقع أيضاً.

وليس هناك أدنى شك في أن هذه القواقع جاءت مع مياه النهر من جنوب كوم امبو أى السودان، وهي بديهة ملموسة تبدو للأنظار في أول وهلة، يؤيدها مانعها من انتشار نفس القواقع الموجودة في مصر وفي السودان (٥) وما تودى إليه الملاحظة البسيطة عن

(٥) انتشار القواقع الناقلة لعدوى البلهارسيا في النيل الأبيض والأزرق في السودان

هجرة القواقع والأعشاب والأشياء عامة مع تيار المياه. وقد بينت الدور الهام الذي تقوم به الأعشاب المائية وأخصب نبات البوتاموجان الذي ينتشر على مقربة من ضفتي النهر في مصر والسودان من إيواء القواقع وحمايتها من التيار بما يؤكد إمكان هجرتها. هذه الحقائق ليست بوليدة اليوم بل لقد تقدم عنها اقتراح أمام البرلمان المصري بأنه ما دامت جميع مياه النيل تحجز في خزان اسوان وفي القنوات المختلفة فيمكن عمل طريقه في هذه الأماكن لحجز القواقع الآتية من السودان.

وقد ورد ذكر هذا الاقتراح في تقارير اللجنة الاستشارية للبلهارسيا كما ذكره الاستاذ لير في تقريره الأخير عن أبحاثه في أوائل سنة ١٩٢٨ وعلق عليه بأن مثل هذا الاقتراح لا يمكن تحقيقه من الوجهة العملية

والقد تمكنت بعد تصفح كل هذه الحقائق من تكوين نظرية خاصة كان لي حظ ابدائها أمام مجمع الأطباء في الايام الطبية بالاسكندرية في شهر مايو الماضي، وهي تسمح بتفهم معضلة البلهارسيا وتتلخص في أن مجرى النيل يمكن تقسيمه من وجهة انتشار القواقع الناقلة للعدوى فيه الى قسمين:

(١) قسم تنتشر فيه المياه في شكل مستنقعات كبيرة تكاد تكون راكدة وبحيرات غاصة بمختلف الأعشاب المائية وغيرها.

وهذا القسم هو مخزن للقواقع، تعيش فيه هذه وتتوالد وتتكاثر باستمرار، ويتسرب

ليس من اكتشافات اليوم بل أنه حقيقة طالما ردها المؤلفون العديدون. وقد اشار الاستاذ لير في كتابه المطبوع في سنة ١٩١٨ إلى ان المسز Lonstaff قد عثرت على قواقع ناقلة للعدوى في النيل الابيض عند بحر الظراف وبحيرة نو وحلة النور وجبل احمد اغا ومنطقة السدود الخ. كما عثرت البعثة السويدية على هذه القواقع ايضا منذ عشرات السنين.

اما عن النيل الازرق فقد ذكر الاستاذ لير ان القواقع الناقلة للعدوى معروف وجودها وانتشارها بكثرة فائقة في الحبشة، كما اشار إلى ان المسز Lonstaff قد عثرت على قواقع في بحيرة شامب وجزيرة مصوان. وقد علمت من محادثتي مع الاستاذ برمت والدكتور هيس ان القواقع تنتشر في السودان بكثرة في النيل الابيض والازرق.

جزء منها مع المياه المنصرفة الى مصر خصوصاً في وقت سقوط الامطار (الفيضان) إذ تزداد سرعة التيارات فيه مما يساعد على انتقال كمية كبيرة من القواقع . هذا القسم هو نهر النيل في أعلى السودان حيث البحيرات والمستنقعات الكبيرة ومنطقة السدود الخ.

(٢) وقسم آخر هو النيل في جزء من السودان ومصر حيث تجري المياه في مجرى خاص . والمياه في هذا القسم سريعة الجريان نسبياً لاتدع للقواقع فرصة للسكن في النهر بل تحملها معها في سيرها .

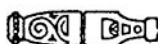
وان انتشار النباتات المائية في ذلك الجزء من النهر في بعض أشهر السنة هو أكبر العوامل التي تجعل ذلك الجزء المذكور ملجأ للقواقع النازلة من القسم الاول تحتوى فيه من تأثير التيار وتعيش وتوالد وتتكاثر فيه .

وتتسرب منه الى ترع الرى العديدة حتى إذا ما أتى الفيضان تقذف المياه المتدفقة الاعشاب بما عليها من القواقع على طول المجرى الى ترع الرى وإلى البحر ، ثم ينقضى الفيضان ويعود النبات ثانية للنمو وتعود الحالة الى ما كانت عليه .

والآن وقد انتهينا من بيان النقاط السالفة فلاشك أننا نملك من الحق ما يمكننا من القول إن بلهارسيا مصر هي وليدة بلهارسيا السودان ، وإن معضلة البلهارسيا في القطرين عامة وواحدة ، وأنه إذا أريد مقاومة البلهارسيا بمهاجمة القواقع الناقلة لعدواها فلا مراء أن المجهود يكون حظه أكبر في النجاح لو تضامن القطران ، إذ أن مصر والسودان أمام تلك المعضلة جزء لا يتجزأ ؟

محمود مصطفى حلى

القاهرة:



الاحلام الشاردة



تمضي الليالى غير تاركة لنا
 وتمرُّ بالإنسان أحلامُ المنى
 كالطير لا تدرى أين جزع به
 لا يستقرُّ على الفصون ولا على
 فإذا تبسّطتْ المنى فبدتْ كما
 ورمتْ بإشعاعٍ يجول كخاطر
 طلعتْ سحاباتُ الهموم فغيبتْ
 ورمتْ على طرب الحياة سوادها
 فأرى الرياضَ الزاهياتِ مواحشاً
 وأرى الذبولَ مع الذواء مع الفنا
 وتعود أحلامي كأحلام الأتلى
 لا يعرفون سوى الصخورِ مساكناً
 وتمرُّ ساعاتُ الحياةِ سريعةً
 فإذا انتهتْ لمفازة الأحران لم

إلا أسى ، وتوجعاً ، وحنيناً
 تبدو له حيناً ، وتخفى حيناً
 أم من سرور لا يودُّ ركونا؟!
 أو كاره فكان فيه جنونا!
 تبدو النجومُ الباعثاتُ فتونا
 أطفال لا تشتمُّ منه مجونا
 ذاك الضياء وأخلفته دُجونا
 وهمومها حتى استحال شجوننا
 وأرى الطيورَ خوافتاً وسكوناً
 يُصنّون زهراً يانعاً ، وغصوناً
 تسكنوا قصيِّ العالمين قرونا
 وسوى الوحوشِ صواحباً وقرينا
 كالبرق يخطف بالسناء عيوننا
 تخطُّ الحياةُ فكان ذاك كميناً

فى أىِّ فوهةٍ ، وأىِّ مغارةٍ تخفى الليالى كي تُضِلَّ عيوننا؟

وهل الوصول الى قرارة بئرها صعب كقبض الريح ليس مكنيا ؟ (١)

يا مَنْ صُحِبَتْ سَعَادَتِي وَهَنَاءَتِي وَتَرَكْتُ لِي الْاِحْزَانَ خِلَاءُ دُونَا
هَلَا بَعَثَتْ بِهَا إِلَيَّ فَأَنْتَنِي جَذِلًا أَغْرَدَ كَالطَّيُورِ حَنُونَا ؟
وَأَرْتَلُ الشُّكْرَانَ شِعْرًا خَالِدًا يَبْقَى كَمَا يَبْقَى الْغَرَامُ سَنِينَا ؟
حَسَنَ كَامِلِ الصَّيْرِ فِي



العاصفة

للشاعر العالمي ولیم شکسبیر

نقل هذه الدراما البديعة إلى العربية الدكتور أحمد زكي أبو شادي
وسوف تظهر في (المقتطف) ابتداء من عدد اكتوبر على ثلاث
مرات ، ثم تصدر في كتاب مستقل مزدانة بالكثير من الصور ،
ومذيلة بشروح ودراسات قيمة متنوعة . وستكون ميزة هذه الطبعة
الأمانة المتناهية في الترجمة ، وحسن الاخراج في التنسيق والطبع .
وتطلب جملة من إدارة (المقتطف) بالقاهرة ، وفرادى من المكاتب
الشهيرة .

صور تحليلية

المخلوق المعجيب

(١)

كنت طالباً باحدى المدارس المصرية — وكنت فى السنة الرابعة حينذاك — ولّى صديق معمم لم أر فى كل حياتى إلى الآن مثله فى الغباء والجهل والوقاحة والادعاء ، فهو رجل قد أصبح الافتراء فيه ديناً وطبعاً واختلط الكذب بلحمه وامتزج بدمه سألنى هذا المعمم — ذات يوم — أن أعلمه القسمة البسيطة لأنه انتهى منذ أيام — كما يقول — من حفظ « جدول الضرب » ، ويريد أن يتعلم القسمة ، أو — على حد تعبيره الظريف — يريد أن يكون عنها فكرة ولو إجمالية .

لبيت طلبه ، ولم أكّد أشرع فى تعليمه القسمة حتى ظهر لى أنه لم يتقن حفظ « جدول الضرب » بعد ، فكتبته له ليحفظه أولاً ، فخرج من منزلى شاكرًا . وما راعنى فى اليوم التالى إلا مفاجأة صديقى « س » بقوله : —

« أصبح أن الشيخ فلاناً قد شرع فى تعليمك القسمة — بعد أن طلبت إليه ذلك — وأنه وجدك جاهلاً بجدول الضرب ، فكتبه لك لتحفظه أولاً قبل الشروع فى تعلم القسمة ؟ »

ولم أكّد أسمع قوله حتى اعترتنى دهشة وحيرة ما لبثنا أن تحولنا إلى ضحك عال ، من تعرف هذا النوع الجديد من الأخلاق . وقد رأيت أن خير عقاب أعاقبه به على هذا التدليس هو أن أحرمه من الدرس بعد هذا اليوم .

(٢)

وحدثت لهذا المعمم نادرة أخرى مع صديقى « س » ، أيام كان طالباً فقد عن لهذا المعمم أن يتعلم النحو — أو على الأصح — أن يتظاهر بتعلم النحو ، وحسب أن أقرب طريق للوصول إلى هذه الغاية ، أو — على الحقيقة — لادعاء الوصول إلى هذه الغاية ، أن يستظهر عدة جمل وأن يحفظ — عن ظهر قلب —

طريقة لمعراها ، ومتى تم له ذلك عرف النحو كله من أوله إلى آخره ، وهل النحو كله إلا إعراب جملة أو جمل ؟

وبدأ بتعلم إعراب الجملة المشهورة التي أنكرها طول ترددها على الأفواه واستعمالها عند الطلبة ، وهي جملة « جاء زيد » ، فطلب إلى صديقي « س » أن يعلمه إعرابها — وكانا سائرين في الطريق — فشرع صديقي « س » يعربها له فيقول : —

« جاء فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ، وزيد فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره ،

ولم يكده صديقي « س » ينطق بآخر كلمة من إعراب هذه الجملة حتى قابلهما صديق ثالث فياهما وسار معهما في الطريق ، وما كاد يراه صاحبا « المعمم » حتى سأل سيد أفندي بلهجة عجبية : —

كيف تعرب « جاء زيد » إذن ؟

فأعاد عليه ما قال ولم يكده ينتهي من إعراب هذه الجملة حتى ظهرت على فم صاحبا ابتسامة الاستاذ الراسخ في العلم لتليذه الصغير إذا رغب في تشجيعه على إتمام دروسه ، ثم قال له موهما رفيقهما الثالث أنه يعلم صاحبه ولا يتعلم منه :
« أحسنت كل الاحسان ، فتح الله عليك يا ولدي ! »

قلب الحقائق

قال لي أحد معارفي :

« إذا أردت أن تقتل خصمك قتلا ادبياً ، فافتزعليه رذائل ليست فيه ، وإذا أردت أن يذيع اسمك بين الناس فالصق بنفسك فضائل مخترعة ، وتغن بها في كل فرصة بمناسبه وغير مناسبة ،

فأما ان الافتراء سلاح فاتك فذلك في رأي أمر يترفع عن التشكك والجدل وكثيراً ما أودى ناس من افاضل المصلحين بسبب ما عزاه اليهم خصوصهم من النقائص ونحلوه من اياه من المثالب

واما ان يلصق الانسان بنفسه فضائل مخترعة تكبره في اعين سامعيه ، فلا اشك لحظة انه الوسيلة الفعالة التي اشتهر بها كثير من ادعياء هذا البلد ممن تسنموا ذروة الشهر بعد ان سلكوا للوصول الى ذلك اقذر طريق

ولكن جزاء عادلا ينزل بهؤلاء واولئك جميعا
فأما مفتري الاكاذيب، فهو وان صعب اتقاؤه واحرج الصدور افتراؤه، وأمض النفس
ما يلفقه من التهم الباطلة التي لاحيلة للانسان فيها ولا في رد اذى مختلقها الذي عناء القاتل:
لى حيلة فى من ينم وليس فى الكذاب حيلة
من كان ما يقو ل حيلتى فيه قليلة
الا ان عقابه العادل هو افتضاح سره وشيكا، وظهور امره، وعدم تصديق الناس
ما يرويه لهم ولو كان صميم الصدق ولباب الحقيقة، وربما اتخذ ذمه معيارا لفضل
المذموم على حد قول ابى العلاء:

وإذا اتتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لى بأنى كامل
وتم يذهب كل جهد يبذله فى انتقاص الناس بلا جدوى وتنعكس الآية.
واما ذلك المتهاوت على الشهرة، الذى يكثّر من التغنى بما ينحله نفسه من الصفات
الكاذبة، فله جزاء ان

الاول احتقار العقلاء إياه، وإن أكبره جمهور العامة حيناً والجزء الثانى هو عقاب
الزمن الصارم، الكفيل بضيايع الزبد وإبقاء ما ينفع الناس، وكم من الناس ذاع
صيتهم فى عصرهم، ثم دار الزمن فاذا بهم خاملون وإذا آثارهم الغثة قد بادت أدرأج
الرياح وظهرت آثار أناس آخرين كانوا أقل شهرة ولكنهم عم نفعاً، وأغزر فضلاً
، أبو مصطفى،

تحفة أدبية لكم ولأولادكم

السهم النسالى المصرى

وشهيرات نجومه

ليس الرواج العظيم الذى ناله هذا الكتاب راجعا فقط الى كونه أحسن تأليف
للمحفوظات لمدارس البنات الابتدائية والثانوية، بل يرجع كذلك الى أنه تصنيف
أدبى شائق يرتاح اليه كل أديب وجدير بان لا تخلو منه مكتبته.
ثمن العدد ٣ قروش مصرية وأجرة البريد قرش.

ويطلب فرادى من المكاتب الشهيرة فى العالم العربى، وبالجملة بأسعار خاصة
للمدارس، من مكتبة الوفد بشارع الفلكى بجوار مكتب بريد باب اللوق بالقاهرة.

اسمى يوسف

(ثم ماذا؟)



خطر ليوسف الثانى امبراطور النمسا أن يزور شقيقته ماري انتوانت ملكة فرنسا بخفاد عاصمته فينا فى جوقه كبيرة من الأعوان والحشم حتى اذا أوشك أن يصل الى حدود فرنسا صرف المعية على أن توافيه الى باريس واتخذ له سيلا آخر ولم يستصحب إلا الكونت روزنبرج فتكرا وسافرا كأنهما من عامة السائحين حتى اشرفا على جسر عند الحدود . فقال الامبراطور:

— أرجو أن تصح أحلامى وان يسم لى المستقبل . أما الآن فاتى امبراطور مقيد بارادة سواى (١) وانما أذهب الى فرنسا الآن باسم الكونت فالكينستين هيا بنا نجتاز الكبرى الذى يصل بين فرنسا والمانيا وفى الوقت نفسه يفصل بينهما (٢) ووصلا الى الفندق الصغير فى بلدة (فيترى) الصغيرة وهى أول بلدة فرنسا وبلغاها بعد أن تجاوزا الحدود . وكان مدير الفندق فى الوقت نفسه مدير بوسنة تلك الناحية وكانت خادمتا الفندق فى أبهى ملابسهن وهن فى شغل شاغل يحولن صالة الفندق الى مائدة كبيرة ازدانت جدرانها بالأزهار والتحف وتحولت ناحية منها الى مقصف ترتب عليه الحلويات والصحون . وكان مدير الفندق وناظر البوسنة يراقب هذه الترتيبات والزينات والطهاة يهيئون الطعام وقد مدت الموائد لثلاثين مدعواً وقد أعدت قناتى الخمر للمدعوين . وكان المسيو (اتيان) يراقب هذه الترتيبات باسم الثغر هنىء البال حتى اذا رأى كل شىء حسناً فى قاعة الطعام انتقل الى المقصورة المجاورة وفيها امرأة استلقت على ديوان عند النافذة وهى حسناء ولكنها صفراء اللون وملابسها جميلة وبجانبتها سرير لشبه طفل حديث الولادة . وهى زوجة المسيو اتيان صاحب الفندق وكل هذه الاستعدادات لأجل تنصير الغلام . فقال الرجل

(١) اشارة الى أنه مقيد بارادة والدته الامبراطورة ماريا تريزا

(٢) كلمات الامبراطور بعينها . راجع « تحارير يوسف الثانى » صحيفة ١٧٥

— أرجوك أيتها العزيزة اثناسيا أن تقاومي ضعفك وأن تلبثي مع ضيوفنا اليوم
لقد مضت ٣ أسابيع على الولادة
— سأبذل جهدي يا عزيزي :

— إن حفلة التنصير اليوم ذات شأن وأهمية وهي عيد كبير بشرط أن لا يأتينا أحد
من السائحين ولوجاؤا لما عرفت أي ن أجد محلا لنزولهم فإن أفضل من يأتي فندقنا
ليس أهلا للاجتماع بضيوفنا الكرام فضلا عن أنني محتاج الى جميع عرباتنا وخيولنا
فلنقل المدعوين . ولكن ماهذا . أنني أسمع صوت عربة ونفير السائق . أنها عربة
المحطة وفيها قوم غرباء

وأسرع الى الباب الخارجى فرأى عربة المحطة ومن ورائها عربة أحد ضيوفه
فساءه أن السياح حضروا وقت حضور المدعوين فشى الى المدعوين يحسن استقبالهم
وأهمل غيرهم وكان أهم ضيوفه كاهن القرية والمأمور ثم عاد وتذكر واجباته ورجع
الى السائحين فرأى رجلا عليه هيئة الأعوان بجانب السائق وإذا برجلين فى العربة
ففتح بابها وقال

— أتريدون ياسادق الذهاب الى المحطة الثانية

— لا . وإنما رأينا فندقك حسناً فتريد غرفة وطعاماً

— أرجوكم أن تواصلوا سيركم الى البلدة المجاورة

— ولماذا ونحن نرى القوم يدخلون فندقك أفواجا . فكيف ذلك

— سيدى أن هذا اليوم سيدى لاتواخذنى هل أنت أب

فقال السائح بحزن — لقد كنت أباً (١) ولكن مامعنى هذا السؤال

— إذا أنت تشعر معى متى أخبرتك . أننا اليوم نحتفل بتنصير ولدنا الاول

— وهؤلاء الناس ؟

— هم الذين دعوناهم للحفلة ولذلك تلتمسون لى عذراً

— إذا أنت تطردنا ؟ لا . أنتى وصديقى لانستطيع القبول لانتنا نفضل

(١) كان ليوسف الثانى امبراطور النمسا ابنة من زوجته الاولى فماتت وحزن

عليها كثيراً

الاقامة مع ضيوفك فاسمح لنا أن نحضر وليتك وأن نشترك في حفلة التنصير فانها حفلة تستوجب الفرح ونريد أن نشترك معك في فرحك

— على الرحب والسعة إنكم ضيوف ولدى الصغير

فدخلوا واختلطوا بالمدعوين . فقال المسيو اتيان :

— انتمحالى أن أقدمكما الى زوجتى مدام اتيان فانها تسر باستقبال وجهاء نظيركما ولما رأتهم مدام اتيان أدركت للحال أنهما من الأعيان فأحسنت استقباليهما وعهدت الى زوجها أن يجلس الكاهن بجانبه وأجلست أحد الضيفين عن يمينها على المائدة والآخر عن يسارها وأخذت تحدثهما عما وقع لها في مرقص المحافظ في العام الماضى أما أحد السائحين فانه تحول الى محادثة جيرانه وسأل الكاهن والمأمور عن أحوال الأهالى

فلما انتهى الطعام بدىء بتنصير الغلام وذلك في فسحة مهيأة لذلك فقدم أحد السائحين ذراعه لمدام اتيان . وقال :

— أسمحين لى ياسيدتى أن أكون عراباً لطفلك ؟

فأجابته الى ماطلب مسرورة وقالت فى نفسها « سنعرف اسمه » وبدأت حفلة التنصير الكنسية وبعد أن أتم الكاهن تنصير الغلام تحول الى العراب . وقال :

— ما اسم حضرة العراب

فتحولت أبصار الجميع اليه وهم ينتظرون أن يسمعوها لقب كونت . فقال الرجل :

— اسمى يوسف

— يوسف ماذا ؟

— كنت أظن ان اسمى الأول يكفى

— لا ياسيدى بل يجب تدوين الاسم كاملاً فى سجل الكنيسة

— اذا فاسمى يوسف الثانى

— الثانى . . الثانى . . هل هذا هو لقب عائلتك

— نعم اسمى الآخر هو « الثانى »

— كما تشاء يوسف الثانى . والآن ماهى صناعتك . لا تؤاخذنى فانتى ألقى عليك

الاسئلة العادية القانونية

فتردد الرجل قليلا ودرر الكاهن سؤاله قائلا

— ما هي مهنتك

فأجاب الرجل باسمًا

— امبراطور النمسا

فصاح القوم صيحة الدهشة وسقط القلم من يد الكاهن واستلقت مدام اتيان على كرسيها وقد تغلب عليها الفرح وتناول المسيو اتيان غلامه من ذراعي الخادمة وأسرع الى الامبراطور فركع أمامه فاقتدى به الجميع وجثوا رجالا ونساء فقال المسيو اتيان بصوت تخنقه الدموع

— يا جلالة الامبراطور أنك صيرت ولدى شهيراً وسيبقى الشرف الذي وهبته لنا الآن موضوع حديث الأهل الى مابعد مائة سنة . وأهالي (فيتري) لا ينسون تنازلكم الى الجلوس معهم كواحد منهم . مولاي : ان ولدى فرنساوى ولكنه سيكون نمساويا في قلبه مثل جلالة ملكتنا الحسنة فهي نمساوية وفرنساوية في وقت واحد . وأسأل الله أن يحرسكما بعنايته فلتحى ملكتنا ماري أتوانت . وليحى شقيقها الكريم امبراطور النمسا

فهتف الجميع بذلك الدعاء وانتهت مدان اتيان فنهضت وسارت الى الامبراطور فأسرع جلالتة اليها وأجلسها بلطف قائلا

— ليس بين الوالدة والعراة تكليف . ثم دفع اليها علبة سعوط مرصعة وقال — أرجوك أن تقبلي هذه الهدية تذكراً لزيارتي السارة وعليها صورتى ، وقد قيل لى أن جميع الحسان فى فرنسا يتشققن السقوط فأرجو أن تذكرنى كلما استعملت هذه العلبة

ثم تحول الى المسيو اتيان وقال :

— والآن أرجوك أن تهيب لنا عربة تنقلنا الى المحطة الاخرى

« عن مجلة الاخاء »

فهرست العدد

ص	
٣٢١	الثقافة اليونانية
٣٣٦	شعر التصوير
٣٣٧	شعر شكرى
٣٤١	شيطان بنتاؤر
٣٥٣	العقاد على السفود
٣٦٢	على سفود آخر
٣٦٦	هنرى هين
٣٦٩	خطرات فى السياسة والتاريخ
٣٨٥	أباطيل الأديان
٣٨٨	مشروع اتفاق
٤١٤	شناعة « Enormity »
٤١٦	الجمجمة
٤٢١	تعاليم البهائية
٤٢٥	قصة من بوكاتشو
٤٣٤	اجتماع الحبيبين
٤٤١	مصارع الخلفاء
	الاغراء
	اسماعيل مظهر
	احمد زكى ابوشادى
	مؤرخ
	أحمد شوقى
...	
	عبد الرحمن خليفة
	رحمن صيون
...	
	سليم خياطه
...	
...	
	عبد اللطيف النشار
	عبد الجليل بك سعد
	ك . ك
	كامل كيلانى
	ك . ك

تابع الفهرست

الاستاذ الزين	٤٥٠	بين الادباء
والاستاذ وجدي بك		
.....		
أحمد شوقي بك	٤٥٣	سنابل وازهار
كامل كيلاني	٤٦٢	مصرع كليوباترا
محمود مصطفى حلمي	٤٦٤	مختار القصص
حسن كامل الصيرفي	٤٦٥	النيل في السودان
أبو مصطفى	٤٧٠	الاحلام الشاردة
عن مجلة الأخاء	٤٧٣	صور تحليلية
	٤٧٥	اسمى يوسف

